

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

أمير المؤمنين جلالة الملك في خطاب عيد العرش المجيد:

• لقد دخل المغرب دائرة الحضارة يوم دخل في دين الله ويوم جعل كتاب الله وسنة نبيه ورسوله دليل حياته الذي لا يخطئ ولا يزيغ.

## التواصل بين المغرب ومصر في رحاب القرآن الكريم

الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

من التراث العلمي في الغرب الإسلامي

## رسالتان في علم المساحة لابن الرقام وابن البناء

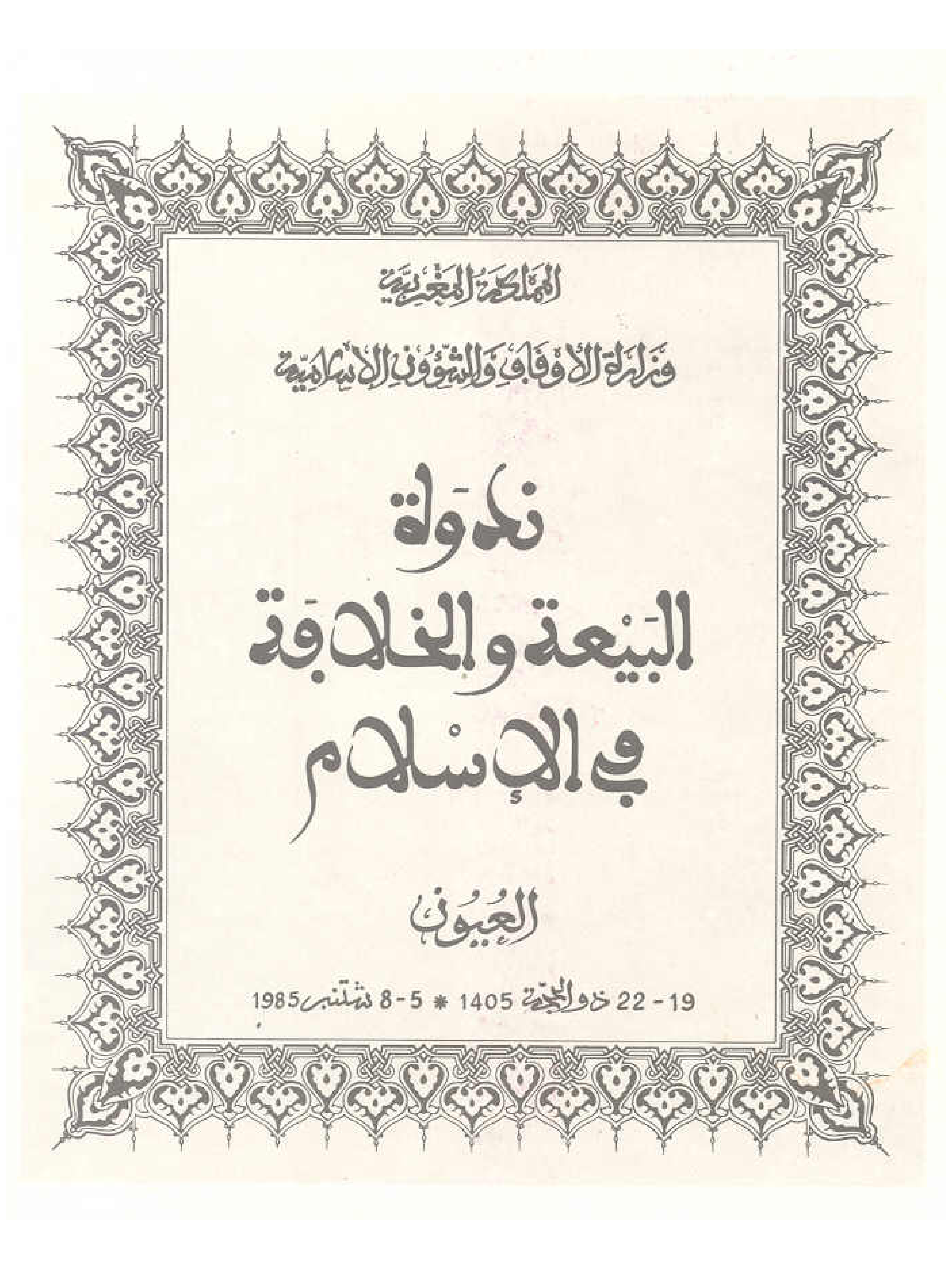
للأستاذ محمد العربي الخطابي

رجال وكتب:

## أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الفاسي وفهرسته

للأستاذ عبد الله المرابط الترغي

العدد ● 256 ● رجب - شعبان - رمضان 1406هـ / أبريل - ماي 1986



المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# ندوة البيعة والخلافة في الإسلام

العيون

19 - 22 ذو الحجة 1405 * 5 - 8 شتنبر 1985




شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور له
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات: في المملكة المغربية: 70 درهماً
في العالم: 80 درهماً

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat



## فهرس العدد 256

## أمير المومنين جلالة الملك في خطاب عيد العرش المجيد :

# • وهذا العرش العريق الثابت على تبدّل الظروف والأزمان لا يحمله غير القلوب، ولا يحرص عليه ويحميه بعد الله سوى ما يكتنز في رحاب وجدان الأمة المغربية من أعلاق المحبة وذخائر الوفاء والولاء.

احتفلت الأمة المغربية، يوم ثالث مارس، في جو من البهجة والحبور، بالذكرى الخامسة والعشرين لتربع مولانا أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله ونصره - على عرش أسلافه الميامين، وبهذه المناسبة ألقى جلالته خطاب العرش، وفيما يلي النص الكامل لهذا الخطاب :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز :

ألفنا كل عام، وما أجمل وأسنى ما ألفناه أن نحتفل في مثل هذه الأيام بذكرى حلول عيد العرش، وهو العيد الذي أسسه النضال الوطني تحت أسنة الاستعمار، وشرعه الطموح إلى استئناف حياة الكرامة والحرية والاستقلال، وإن احتفالنا اليوم بذكرى جلوسنا على عرش أسلافنا المقدسين إن كان امتدادا للعادات الجميلة التي سنها والدنا جلالة الملك محمد الخامس - طيب الله ثراه ورضي عنه وأرضاه - وتمجيدا لذكرى ذلك اليوم الذي تم فيه اللقاء المعلم الكريم بيننا وبينك، وأنعم الله علينا باستلام مقاليد أمورك - إن كان احتفالنا هذا كله - فهو احتفال وسمته العناية الإلهية

# • لقد دخل المغرب دائرة الحضارة يوم دخل في دين الله ويوم جعل كتاب الله وسنة نبيه ورسوله دليل حياته الذي لا يخطئ ولا يزيغ.

في يومنا الأغر هذا بسمة خاصة، وأضفت عليه حلة من الرواء سابغة ممتازة، ذلك أن طلعة عيدنا هذا شاء الله العزيز الوهاب أن يصادف إشراقها انصرام خمسة وعشرين عاما على إسناد الله إلينا مسؤولية تصريف شؤونك واجتلاب الهناء والسعادة لك ولأبنائك.

وإذا كنا نحتفل كل عام في مثل هذا الوقت فرحين مستبشرين، أشد ما يكون الفرح والاستبشار، بجميع ما يرمز إليه عيد العرش من معاني اجتماع الكلمة واتحاد المقاصد والغايات وتوافق الإرادات وتبادل الثقة والإخلاص والوفاء وتقاسم المحبة والإعزاز والالتزام المشترك بين الراعي والرعية بالقيم والمثل التي كانت وما تزال قاعدة أصيلة لأمجاد البلاد طريفها وتليدها، إذا كنا نحتفل كل عام وقلوبنا طافحة بالارتياح والابتهاج بجميع هذه المعاني، فإن هناك اليوم سببا آخر يكسب هذا الارتياح وهذه المسرة بعدا مديدا لا تحده حدود ولا يحيط به مقياس، ذلك هو الاستمرار الثابت المكين المحفوف من البركة واليمن بأوفى نصيب، السائر على طول خط مستقيم على امتداد خمسة وعشرين عاما.

فالحمد لله الذي أسدى نعمة هذا الاستمرار، ووالى لنا خلاله من جزيل أياديه البيضاء وبديع عوارفه الغراء ما هيأ لنا أسباب العمل المثمر، وكفل لجهودنا المتلاحقة المتكاثفة الأثر الذي تراه الأبصار، وتدركه البصائر، والعاقبة التي تحمدها العقول والضمائر، ولولا ما أفاض الله عليك شعبي العزيز من عطاء الشيم والمزايا، وألهمنا إياه بمنه وكرمه من صواب ورشاد، وهدانا إليه من فعل قويم وسداد، لتعذر المطلوب واستحال وخابت المقاصد والآمال.

لقد أشاع الله في قلبك الرغبة في العمل الجاد، وحبب إليك الإجادة والإتقان، ومكن من نفسك الطموح إلى الغايات البعيدة، وطبعك على الإخلاص والوفاء لأسمى المبادىء والمثل وأكرم الأخلاق والقيم، وقضت مشيئة الله أن يتعبأ لصالح الوطن والمواطنين كل ما أقسم الله لنا ولك من خصائص وخصال وجميع ما أشاع بيننا وبينك من عاطفة متبادلة راسخة قوية، وأنشأ بيننا وبينك من آصرة وثيقة مستحكمة.

فما أكثر ما مهدناه نحن وأنت من سبل، ومددناه من أسباب، وأقمناه وأثرناه من معالم، وأعليناه من بنيان وانتهينا إليه من مكاسب ناضرات في مختلف الوجوه والمجالات، على رغم ما اعترض في بعض الأحيان من مصاعب، وانتصب في الطريق من عقبات، وما أكثر ما صعدنا نحن وأنت على امتداد هذه الفترة البالغة من شبابها خمسة وعشرين عاما إلى المرافق الرفيعة والقمم الشامخة. وكنت ركنا في دأبك ودأبنا وحرصك وحرصنا ومواقفك ومواقفنا، مصدرا لتألق البهجة والسعادة في نفسنا ونفسك، ومنبعا للإحساس الغامر بالفخر والاعتزاز.

إن تاج المغرب شعبي العزيز لا تقدر قيمته ولا تقاس بقيمة النضار أو الفرائد الثمينة والأحجار الكريمة، ولا بمهارة الصائغ وقدرته على الابتكار والإبداع، فما تاج المغرب بمصوغ من عسجد وزمرد ولآلىء ويواقيت، ولا هو وليد فن صناع، وإنما هو تاج اكتسب على توالي الأعوام واختلاف الظروف والأحوال قيمته الكبرى من ذخيرة النقائب والفضائل الشائعة في عامة أمة هذا الوطن وخاصتها، ومن الرصيد الثري الفاخر المتألف من المشاعر العميقة المتبادلة بين الملك وشعبه، ومن الأواصر الوطيدة الواصلة بينهما.

وعرش بلادك شعبي العزيز شأنه وشأن تاجها سيان لا يختلفان، فهذا العرش العريق الثابت على تبدل الظروف والأزمان لا يحمله غير القلوب، ولا يحرص عليه ويحميه بعد الله سوى ما يكتنز في رحاب وجدان الأمة المغربية من أعلاق المحبة وذخائر الوفاء والولاء.

وإذا كانت البلاد تستمد مآثرها وأمجادها من عرشها الذي أضاء وما زال يضيء بحمد الله فصول تاريخها، فإن هذا العرش قوي مكين بما أمده الله به من قوة، وبما أودعه الله وغرسه في قلوب الشعب من حب مقصور على العرش لا يتناقص ولا يتضاءل.

وإن وطنا شعبي العزيز تقوم على شؤونه وترعى مصالحه وحدة متراصة كهذه الوحدة التي تضافرت أنت وعاهلك على إحكامها لخليق بأن يبلغ أعز مطامحه وأغلى أمانيه.

فهنيئا لنا جميعا شعبي العزيز بهذا العيد السعيد الذي أصبح علما بارزا في مرابع أفراحنا ومسراتنا، وهيأ الله لبلادنا بتوفيقه وتيسيره أسباب التقلب المتواصل في نعماء رخاء العيش وطمأنينة القلوب.

تابعت شعبي العزيز من خلال ما قدمته وسائل الأعلام المختلفة، ما قمنا به طوال العام المنصرم من أعمال متلاحقة، في الميادين التي تتصل بشؤوننا الداخلية أو بالمجالات الأخرى التي تصطبغ قضاياها بالصبغة الدولية، وقد لاحظت شعبي العزيز أن نشاطنا في هذه الميادين والمجالات كان كثيفا شديد الكثافة، امتد إلى شؤون بلادنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما امتد إلى القضايا التي تسترعي اهتمام العالم بأسره، وبصورة أخص اهتمام العرب والأفارقة والمسلمين.

وليس في نيتنا أن نستعرض في خطابنا هذا جميع ما اتجهت إليه العناية، ووقف عنده الاهتمام مدة عام كامل، فذلك أمر يقتضي الإسهاب والوقوف الطويل، وتفاديا من الإطالة فإننا كعادتنا في مثل خطابنا هذا، سنجمل القول ونركز الحديث حول بعض المواضيع فحسب، تاركين للنشرات والمراجع التي تعدها وتسهر على طبعها ونشرها وزارتنا في الإعلام مهمة تقديم الصورة الكاملة معززة بالإيضاحات المفصلة.

عقب احتفالنا بالذكرى الرابعة والعشرين لجلوسنا على عرش أجدادنا المقدسين، ولما يمض على عيد العرش إلا بضعة أيام، قمنا كما تعلم شعبي العزيز بزيارة لأقاليمنا الجنوبية، برا بوعد كان صدر، وتجديدا للزيارة التي قام بها لأرض الصحراء جدنا المقدس المولى الحسن الأول، طيب الله ثراه، ونزولا على عالج شوق كان يلح علينا إلى لقاء أبنائنا في الأقاليم الجنوبية.

ومنذ اللحظة التي شرعنا نطأ فيها تراب هذه الأقاليم، أخذ هؤلاء الأبناء كبارهم وصغارهم رجالهم ونساؤهم يفتنون ما وسع الافتنان في الإعراب لنا عن ترحيبهم الحار المتحمس، وعن حفاوتهم العظيمة التي يعز نظيرها ويستعصى على الوصف نعتها وتصويرها. وقد رافق ركابنا في كل مكان سيل عارم من مشاعر الحب والتعلق والولاء، تدفقت متقدة متأججة في كل مسلك سلكناه، لم تضعف ولم تخب في لحظة من لحظات مقامنا بديارنا الصحراوية، واتخذ أبناؤنا هذه الزيارة وسيلة جديدة ناهضة بالبرهان القاطع الذي لا يقبل الجدال، لتأكيد مغربيتهم عبر احتفائهم المشهود بما يرمز إليه شخصنا دينيا ودنيويا ودستوريا وتاريخيا.

وقد كان لهذه الحفاوة وهذا الترحيب مكانة استفتاء لتقرير المصير. كما كان له عميق الأثر في نفسنا وبليغه ولم يفاجأ في الواقع بهذا البيان العاطفي الذي أعلنه سكان الصحراء للعالم أجمع، وبهذه الأفراح التي أثارها اللقاء التاريخي المتمثل في الزيارة التي قمنا بها، إلا الذين لا يعرفون المغرب معرفة وافية ولا ينفذون إلى أعماق المغاربة وحقائقهم الراسخة، أما نحن فقد كنا نتوقع متفائلين مستبشرين أن يتخذ أبناء صحرائنا الأعزاء من زيارتنا مناسبة لكتابة هذه الصفحة الناصعة المشرقة، وضمها إلى سجل مفاخرنا وأمجادنا.

وفي غمرة هذه الأفراح اجتمعنا برعايانا الأوفياء في الأقاليم الجنوبية، وتعرفنا إلى أحوالهم واستمعنا إلى رغائبهم وأمانيهم، ودشنا جملة من المنجزات العمرانية والاجتماعية والاقتصادية لصالحهم، وألقينا أمام المجلس الملكي الاستشاري لشؤون الصحراء، والمجلس الجهوي للمنطقة الاقتصادية الجنوبية، خطابا استهدفنا من ورائه توعية الأفكار وتنويرها، ورفع الستار عن طائفة من الحقائق التاريخية كانت مطوية لم يكشف عنها قبل ذلك.

وفي أثناء هذه الرحلة الميمونة تفقدنا أحوال ضباطنا وضباط الصف وجنود القوات المسلحة الملكية الذين يرابطون في الصحراء، متأهبين باستمرار للدفاع عن التراب الوطني وصد كل معتد أثيم، وقمنا بزيارة للمواقع العسكرية الأمامية لخط الدفاع جنوبي بوكراع، كما تفقدنا بعض نقط

الدعم في الجدار الأمني العتيد، واستفسرنا عن الأحوال وظروف العمل العسكري، فاستخلصنا من اتصالنا بأبنائنا الضباط وضباط الصف والجنود ومما شاهدناه وسمعناه ما قرت به العين وانشرح له الصدر، وستبقى الذكريات التي حملناها من هناك عالقة في الوجدان.

وكانت رحلتنا فرصة مواتية اغتنمها مجلس النواب فعقد بمدينة العيون دورة استثنائية، وفي جلسته التاريخية هذه استمع المجلس إلى مداخلات رؤساء الأحزاب السياسية وممثلي المنظمات النقابية الذين أكدوا بالإجماع مواقفهم المبدئية من الوحدة الوطنية ووحدة التراب ووحدة المصير، وهكذا اجتمع المغرب كله في عاصمة الساقية الحمراء بمناسبة حولنا بالأقاليم الجنوبية، ممثلا في السلط والهيئات والجماعات والأفراد، وبرز للناظرين ملتئم الشمل والكلمة، متحد المواقف من القضايا المصيرية.

**شعبي العزيز :**

ليس بعازب عنك ما نعقده من آمال بممارسة الديمقراطية في بلادنا، أننا مقتنعون أشد الإقتناع بفضائل الديمقراطية الحقة، ولذلك فإننا نطمح إلى أن تنتهج الديمقراطية في وطننا أقوم السبل، وأن تصل إلى ما نبتغيه لها من غاية، ومن أجل هذا أيضا فإننا نتابع باهتمام كبير نشاط مجالسنا المنتخبة، ونراقب عن كثب ما تسهم به من حظ في تعزيز وتوطيد الاختيار الديمقراطي

إن المغرب الذي اختار أن يعيش في كنف القانون وفي ظل سلطانه، وحدد لأبنائه الحقوق والواجبات، وشرع لهم الحريات، ووسع صدره لتعدد المنظمات السياسية والنقابية، وأحاط هذه الحريات والحقوق بسياج من الصيانة القانونية والاحترام، إن مغربنا هذا لحريص كل الحرص على أن تقوم المؤسسات الدستورية بالمهام الموكولة إليها بحكم الدستور الذي هو أسمى قانون.

وفي نطاق اهتمامنا هذا، سايرنا بعناية فائقة منذ الانتخابات التشريعية الأخيرة، وانطلاق أعمال مجلس النواب الذي تولد منها، أعمال هذا المجلس، سواء منها ما تم في مستوى اللجان البرلمانية، أو في مستوى الاجتماعات والمناقشات العامة، والأسئلة والأجوبة والاتصالات الدولية المباشرة داخل حدود التراب الوطني أو خارج هذه الحدود، ولقد سررنا سرورا كبيرا أن يعكف المجلس في لجانه أو جموعه على دراسة مشاريع القوانين، ومقترحات القوانين ويستمع إلى وجهات نظر الحكومة، ويناقش آراءها بحرية كاملة، كما سررنا سرورا بالغا أن يمارس مجلس النواب ما له من حق مراقبة الجهاز التنفيذي من خلال الأسئلة المختلفة التي يوجهها إلى أعضاء الحكومة، فيما هو منوط بهم من إدارة وتدبير، ومن خلال الأجوبة التي يتلقاها، ولقد أسفر عن محمود النتائج هذا الحوار الذي استمر إيجابيا بين الحكومة ومجلس النواب الذي نرغب رغبة أكيدة في أن يتواصل

مثمرا مزدهرا، في مجال دراسة المشاريع والمقترحات القانونية وفي مجال الاستفسار والتفسير والاستيضاح والتوضيح.

وإن من أسباب ابتهاجنا إلى هذا أن مجلس النواب شارك بصورة تدعو إلى الارتياح، في مؤتمرات دولية وفي أعمال الاتحادات البرلمانية، وباشر اتصالات ببرلمانات في العالم كله، واستقبل شخصيات سياسية عالمية، وزار أعضاؤه عواصم كبرى، حيث استقبلوا من رجالات السياسة فيها.

ولنا راسخ اليقين بأن أعضاء مجلس النواب سيستفيدون أجل الفوائد من ممارسة الأعمال النيابية، ومن ملابسة واقع البلاد ومشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن المشاركة في اللقاءات الدولية، ومن الاتصالات بالشخصيات المرموقة ذات الخبرة والتجربة السياسيتين.

ولنا اليقين من جهة أخرى بأن الفوائد التي يستفيدونها على هذا النحو، ستعود بأحسن العوائد على مستوى أعمالهم، وبالتالي على شؤون بلادهم.

ولا مراء في أن هذه الوجوه المختلفة من نشاط مجلس النواب، من شأنها أن تقدم الممارسة الديمقراطية وتفضي بها إلى الشأو الذي يرضى طموحنا، ويجعلها حقيقة طبيعية ملازمة لحياة مجتمعنا.

جدت شعبي العزيز خلال السنة المنصرمة في الساحة العربية أحداث جعلتنا ونحن نضطلع برئاسة قمة الدول العربية، نعتقد ضرورة اجتماع مؤتمر قمة عربية استثنائية، وبعد مشاورات واتصالات تم انعقاد هذا المؤتمر في مدينة الدار البيضاء، ومضت بضعة أشهر فجدت أحداث في الساحة الإسلامية اقنعتنا بوجوب اجتماع لجنة القدس، وتم بالفعل كما تعلم انعقاد هذا الاجتماع بمدينة مراكش، بيد أننا في الفترة الفاصلة بين الاجتماع الأول والاجتماع الثاني، قمنا بزيارة رسمية لفرنسا، ونود شعبي العزيز أن نلم في خطابنا هذا بموضوع مؤتمر القمة الاستثنائية، ثم بموضوع اجتماع لجنة القدس، وسنقف إن شاء الله بعد ذلك عند موضوع زيارتنا لفرنسا، وإذا كان هذا الترتيب لا يراعي النسق الزمني، فما ذلك إلا لما بين الاجتماعين من صلة نسب وقرابة.

لقد اعتمدت أول الأمر دعوتنا إلى عقد القمة الاستثنائية، على الحالة التي كان يمر بها لبنان الشقيق آنذاك، والعواقب الوخيمة التي كان من المتوقع أن تنجم عنها، كما اعتمدت على وضع الفلسطينيين في لبنان، ثم تبين لنا بعد تحليل عميق لما نقله إلينا مبعوثونا، ولما راج من محادثات مباشرة بيننا وبين كثير من أشقائنا، أن حالة لبنان ووضع الفلسطينيين إن هما إلا مظهر من مظاهر وضعية عامة، تنتظم وضعية الأمة العربية في مجموعها، والحالة التي توجد عليها العلاقات القائمة بين دولها. وصح لدينا بعد الفحص والتحليل وبعد الاستخلاص والاستنتاج أن القضايا التي تتصدر الأولويات في نظر الجميع، ويجب أن تكون موضوع مناقشة صريحة بيننا هي :

- أولا : الأوضاع السائدة في حظيرة الأمة العربية، وضرورة تنقيتها من كل ما يشوب صفوفها.

- ثانيا : القضية الفلسطينية التي يجب أن تكون محل دراسة في ضوء مخطط قار وضمن إطاره.

وانطلاقا مما سلف، ومن الضرورة الحتمية القاضية بتوافر الأمة العربية على وزن، تحديد مصير العالم، ومن وجوب إسهامها بنصيبها في الإنفراج الدولي في وقت كانت الاستعدادات جارية لاجتماع يضم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وزعيم الحزب الشيوعي السوفياتي، وحتى لا تعرض نفسها إلى أن تكون غائبة عن الساحة الدولية، وأجنبية عما يتقرر دون مشاركتها، فقد وجهنا إلى أشقائنا الدعوة إلى عقد قمة بالمغرب، وضمناها كأساس لجدول الأعمال النقط التي استقر عليها رأينا ورأي كثير من أشقائنا، مشفوعة على وجه التفصيل والتوضيح بالاعتبارات الآنفة الذكر.

وانعقدت القمة في مدينة الدار البيضاء، وتوالت أعمالها طيلة ثلاثة أيام دراسة أهم القضايا العربية، في جو الإخاء والتفاهم والحرص على الحقوق والمصالح العربية المشتركة، وأولى المؤتمر موضوع تنقية الأجواء كامل عنايته، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، وأكد إيمانه بضرورة التضامن بين الدول العربية، لا سيما في الظروف العصيبة التي تتطلب حشد طاقات الأمة ونبذ خلافات بين دولها، وأصدر المؤتمر في نهاية أعماله بيانا مستفيضا حافلا، تضمن القضايا والمشاكل التي تسترعي الاهتمام، وتقض المضاجع كما تضمن الوسائل والتدابير الكفيلة بتقوية الصف العربي وتوطيد عرى التضامن بين الأقطار العربية، والمساعدة على تحقيق العدل والإنصاف ونشر الأمن والسلام.

وفيما يتصل بهذا المضار، عهدت القمة الاستثنائية إلينا بمواصلة الاتصالات على الصعيد الدولي، لتوضيح القضايا العربية، وخاصة بمناسبة اجتماع الرئيسين الأمريكي والسوفياتي بجنيف، فراسلنا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وزعيم الحزب الشيوعي السوفياتي، ووافانا من كل واحد منهما نص الجواب على خطابنا.

وما نظنك شعبي العزيز في حاجة إلى أن نذكرك اليوم بجميع ما اشتمل عليه البيان الختامي، فقد وقفت لا محالة عنده طويلا فور صدوره، حتى استوعبته، ويكفي أنتعلم أنه كان حصيلة اجماع الأشقاء الذين شرفوا المغرب وشاركوا في أعمال القمة الاستثنائية.

لقد أسفنا أسفا كبيرا لغياب بعض الأشقاء وبقاء مقاعدهم شاغرة، غير أن هذا البيان صدر وكأنه نتيجة إجماع الأقطار العربية قاطبة، ذلك أنه يجسد ما للعرب أجمعين من اهتمامات ورغبات وتطلعات، فلم يرد فيه ما يمكن أن ينكره أو يعارضه عربي يبتغي الصلاح والخير لأمته، بل هو ربح وانتصار للعرب، وهو من أجل هذا يعكس ارتقاء الأمة العربية المجتمعة في

الدار البيضاء بالحاضرين في قمتها وبالغائبين عنها على حد سواء إلى مستوى الأحداث ومستوى المستقبل الذي تريد أن تصنعه لنفسها ولأمم الدنيا جمعاء.

أما اجتماع لجنة القدس فقد انعقد كما هو معلوم في مدينة مراكش، خلال الأيام العشرة الأخيرة من شهر يناير الماضي، بدعوة منا بوصفنا رئيسا لهذه اللجنة.

ولقد أهاب بنا إلى توجيه هذه الدعوة ما أقدمت عليه مجموعة من أعضاء الكنيست الإسرائيلي من اقتحام للمسجد الأقصى، تحت حماية الشرطة الإسرائيلية، وانتهاك لحرمته، وشعرنا عندما وافانا هذا النبأ بأن الصهاينة ماضون في تطبيق خطة مدبرة لتهويد القدس، واستئصال هويتها العربية والإسلامية، وطمس المقدسات الإسلامية والمسيحية فيها، وحز في نفسنا هذا الاعتداء كما حز فيها ما تعرض له المسجد الأقصى من قبل، وأبينا إلا أن تقوم الأمة الإسلامية ممثلة في لجنة القدس، بما يجب من مواجهة لهذا التحدي الجديد، وتدارست لجنة القدس هذا الموضوع بإمعان، واقتنعت كل الإقتناع، بما يمكن أن يترتب على هذه الاعتداءات الصهيونية المتكررة، من أخطار ومن آثار عميقة سيئة في النفوس، ومن ردود فعل حادة.

واقتنعت من جهة أخرى، بضرورة تحلي الأمة الإسلامية باليقظة والحذر والإيمان، وبوجوب الاتصاف بمزية المصداقية ومزية الحفاظ عليها، فاستعرضت جميع الطرق والوسائل الخلقية بفضح الانتهاك الصهيوني، وإقناع الرأي العام العالمي الديني والسياسي والفكري بأن هذا التصرف الهادف إلى تغيير معالم القدس وتقويض الهوية العربية والإسلامية فيها عمل مخالف للقرارات الدولية..

كما استعرضت الطرق والوسائل الكفيلة بدعم نضال الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، تعزيزا لصموده فوق أرض وطنه، وضمنت جميع ما استقرت عليه آراء أعضائها توصيات عملية، طبعها في نهاية المطاف طابع الدلالة الكبيرة، على تبصر الأمة الإسلامية ووعيها واستمساكها بمقدسات أولى القبلتين وثالث الحرمين.

وحللنا شعبي العزيز، في أواخر شهر نونبر السالف بعاصمة فرنسا، ملبين بهذه الزيارة دعوة وجهها إلينا صديقنا الكبير فخامة الرئيس السيد فرانسوا ميتران رئيس الجمهورية الفرنسية، ومهما نقل مشيدين ومنوهين فيما قوبلنا به عند وصولنا لباريس وطول مقامنا في هذه العاصمة المتألقة المشعة من ترحيب حار جميل وحفاوة بالغة كريمة، فلن نوفي الاستقبال الذي أحاطتنا وخصتنا به فرنسا رئيسها ومسؤولوها وشعبها حقه من عطر الثناء وواسعه.

لقد حللنا بباريس ملكا لبلد تصله بفرنسا صلات صداقة عريقة متينة، واستقبلت فرنسا فينا بالإضافة إلى ملك البلد الصديق رئيس القمة العربية ورئيس المؤتمر الإسلامي ورئيس لجنة القدس، وتفضلت فأبرزت ما نضطلع به مخلصين من أدوار في الصعيد الوطني، والصعيد العربي والصعيد الإسلامي، وسعدنا نحن بالاتصال من جديد بصديقنا الكبير فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية السيد فرانسوا ميتران، وهي الدولة الأوروبية العظيمة ودولة البحر المتوسط ذات الشأن

المرموق، والدولة الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وسعدنا من جهة أخرى بأن يتجدد لقاؤنا بالرئيس الذي احتج بشجاعة غاضبا مستنكرا الاعتداء الذي أقضى سنة 1952 بجلالة محمد الخامس رمز السيادة المغربية وأعضاء أسرته إلى المنفى السحيق، سررنا سرورا عظيما خلال مقامنا بفرنسا بالاتصال مرة أخرى بصديقنا الحميم السيد جاك شيراك عمدة باريس، الذي استقبلنا بقصر بلدية العاصمة استقبال مودة خالصة وتقدير كبير.

وصادف وجودنا في باريس انعقاد القمة الفرنسية الإفريقية، فشاركنا في أعمالها كعضو كامل العضوية بعد قبولنا فيها بإجماع الدول الافريقية، وكانت هذه القمة مناسبة طيبة تأكدت فيها عرى المودة بيننا وبين إخواننا وأصدقائنا رؤساء الأقطار الافريقية. وكان من أسباب ابتهاجنا بالإضافة إلى ما سلف، تجديد العهد بعدد كبير من الأحباء والأصدقاء الفرنسيين، الذين طال صيتهم وذاع ذكرهم في عالم السياسة أو عالم الفكر والثقافة.

ولست في حاجة شعبي العزيز إلى أن نؤكد لك أن شوقنا كان كبيرا إلى أفراد جاليتنا المقيمة بفرنسا، ولقد أنعم الله علينا فيسر الاتصال بهم مرتين هناك. وأسعدنا بالتحدث إليهم والتعرف إلى ظروف حياتهم وحياة أبنائهم، والاطلاع على سائر أحوالهم، وأثلج صدرنا كثيرا ما بلغنا عنهم من طيب الذكر وجميل الأحدوثة، وقد أتاح لنا هذا الاتصال فرصة استرعاء انتباههم إلى ما ينفعهم، واسداء النصح لهم وتوجيه اهتمامهم في مهجرهم، الوجهة الكفيلة بتقوية ما يتمتعون به من سمعة حسنة.

أما المواضيع التي دارت حولها المحادثات بيننا وبين فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية وبيننا وبين السادة المسؤولين الفرنسيين والسيد عمدة باريس، فقد تعلقت بقضايا التعاون الثنائي وتوسيع المجموعة الاقتصادية الأوروبية بانضمام اسبانيا والبرتغال إليها، وقضايا الشرق الأوسط، والمشاكل الجهوية والافريقية. كما تعلقت بقضية صحرائنا المغربية وقضية الهجرة ومشكل الإرهاب.

وعلى رغم تعدد هذه القضايا والمشاكل واختلافها، فقد امتلأت نفسنا بالارتياح الكبير إلى نتائج المحادثات التي أجريناها. ذلك أن جو التفاهم قد سادها كلها، وامتازت بالحوار البناء وتجاوب المشاعر والأفكار.

**شعبي العزيز :**

يتفق اليوم احتفالنا بالذكرى الخامسة والعشرين لجلوسنا على عرش أجدادنا المقدسين مع إحيائنا لذكرى مرور ثلاثين عاما على استقلال المغرب، وإذا كنا نستحضر كل عام في عيد عرشنا الملحمة التي كتبها جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه بإيمانه وصبره ومصابرته وجهاده، فإن هذه الملحمة أقوى حضورا اليوم في نفوسنا، وأكثر إشراقا في أجوائنا، وقد استكمل الظفر بالاستقلال ذكراه الثلاثين، لقد كان جلالة والدنا محمد الخامس ـ نور الله ضريحه ورضي عنه وأرضاه ـ النور

الوهاج الذي أشع في حياتنا الوطنية، فأشرقت به آفاق النفوس، واستنارت بنوره رحاب العقول والضمائر، فعرفنا وما أكثر وأعظم ما عرفنا بإرشاده وهدايته، وما أجل وأسنى ما أدركنا على نبرات بذله وعطائه، لقد يسر العسير، وقرب البعيد، وسهر لننام، وكد لنستريح، وكابد الشدائد والآلام ليأمن سربنا، ويهنأ بالنا، ويسعد حالنا، فتهدلت الغصون اليانعة بكفاحه ونضاله، ودنت لقطافها ثمار الكرامة والسيادة والحرية والاستقلال.

فرحم الله جلالة والدنا محمد الخامس، وكافأه وجازاه أكبر وأوفى مكافأة وجزاء، على ما أعطى فجزل وأسدى، فأتم وأكمل وأثابه أعظم وأحسن ثواب، وأفاض عليه من نعيمه بغير حساب، وتغمده بواسع غفرانه، وشامل رضوانه، وأسكنه دار الخلد في جناته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

**شعبي العزيز :**

جرت عادتنا في مثل هذا اليوم من كل عام أن نتجه بأفكارنا ومشاعرنا نحو قواتنا المسلحة الملكية وقوات الدرك والأمن والقوات المساعدة المرابطة في أقاليمنا الجنوبية، وإننا إذ نتجه صوب قواتنا بملء أفئدتنا لنرسل في هذا اليوم الأغر السعيد تحياتنا مقرونة بما نكنه جميعا نحن وأنت لها من عطف وتقدير وإكبار. إن قواتنا هذه التي ترابط في صحرائنا الجنوبية منذ سنين طويلة لتسترخص كل التضحيات وتبذل قصارى ما يمكن أن يبذله إنسان حماية لأرضه ودفاعا عن وطنه وحفاظا على وحدة ترابه، لقد صدت غارات المعتدين وأحبطت كيد الكائدين، وحمت الديار بذكاء وإقدام وشجاعة واستماتة وبطولة نادرة، أثنى عليها القريب والبعيد، وإننا لنغتنم فرصة عيد العرش الذي هو عيد الاعتزاز بالقيم الدينية والوطنية لنعرب لها عن رضانا ورضاك واعتزازنا واعتزازك وحمدنا وحمدك لأدائها العسكري الذي يستدعي الإشادة والتنويه ويثير الإعجاب والإكبار.

ومن الله العلي القدير نلتمس في هذا اليوم المبارك المجيد العون الدائم والمدد المتواصل والتوفيق والتسديد المتواليين بتوالي الأعوام والأحقاب لقواتنا الصامدة في الصحراء، والله المسؤول أن يتغمد بواسع رحمته ومغفرته شهداءنا الأبرار ويسكنهم في جنات عدن أرفع المنازل والديار.

**شعبي العزيز :**

خلال هذه المدة التي استرسلت محمودة ميمونة طوال خمسة وعشرين عاما، انصرفت جهودنا المشتركة المؤتلفة إلى تطوير البلاد وتحديثها، وجعلها تدور في مدار الدول الطامحة إلى رقي يزداد ويطرد، فبنينا وشيدنا وجددنا وحررنا التراب، وترامت الجهود إلى كثير من المرافق والوجوه، فانتظمت التجهيز والتكوين والتثقيف والعلاج والتشغيل والتحسين والتجميل، ولم يند عنها مجال من مجالات الاقتصاد، ولا مجال من مجالات الاجتماع. بيد أن أعمالنا هذه المسخرة لصالح التطوير والتحديث، لم تستبد باهتمامنا ولا بتفكيرنا، فقد وجهنا عناية موازية إلى المحافظة على ما تجب المحافظة عليه، ذلك أننا حرصنا حرصا شديدا على أن يتمسك المغرب

بالقيم والخصائص والمميزات التي تمنحه ما ينفرد به من طابع، ويختص به من عبقرية، وما كنا لنترك المغرب الذي تألقت فيه الحضارة على امتداد العهود والقرون، وتكونت ملامحه الحضارية أحقابا بعد أحقاب، ينفرط عقده بانفراط الأيام، وتؤول ملامحه إلى الشحوب والضمور والانحلال والانقراض.

ولقد كانت مسيرتنا الإنمائية تحث الخطى وتحقق المكاسب تلو المكاسب، ولكن تابت الدنيا مصاعب وحلت بكثير من أقطارها أزمات، ونلنا حظنا من الشدة بعد الرخاء ومن العسر بعد اليسار، فتباطأ سيرنا وتقاصرت خطانا. غير أن مشاكلنا ستخف إن شاء الله وطأتها وتتقلص لأواؤها، فقد شاءت عناية الله الكريم الجواد أن يعاملنا بإحسانه المعهود فأرسل السماء علينا مدرارا وأفعم القلوب بهجة واستبشارا، فالحمد لله على ما أولى من نعمة وأسبغ من تفاؤل وبسط من آمال.

والأزمات والشدائد شعبي العزيز امتحان عسير للأفراد والمجتمعات والشعوب فقد يقصر وقد يطول، ولكنه حال تحول، لقد غالبت شعبي العزيز الكثير من التحديات وصاولت مرارا الوعر الشاق من المشاكل، ونجح سعيك فيما طلبت بحزم، وابتغيت بإصرار، ونفذت من الامتحان وقد أضفت تجربة جديدة إلى مالك من خبرات وتجارب.

ويقيننا شعبي العزيز إنك تستقبل الأيام القادمة والغد الشاخص المطل بما نعهده فيك من روح نضالية وثقة راسخة بالله وبما آتاك من مواهب وكفايات، لقد قطعنا ولله الحمد نحن وأنت بنجاح عظيم وتوفيق من الله كريم أشواطا أخرى تعقبها مراحل ناجحة ومسيرات مظفرة، وستتابع بالحجم المأمول والاتساع المطلوب أعمال التجهيز والتكوين والتثقيف والعلاج والتشغيل والتحسين والتزيين وجميع الأعمال التي يستفيد منها المجتمع سلامة وقوة وثراء، وبلادنا ستظل بعون الله وبفضلك وفضلنا طرية العود غضة الشباب قشيبة الإهاب موسومة بسماتها الثابتة التي لا يطرأ عليها تبديل، وهي سمات الحكمة والاعتدال والتسامح والتفتح والتطلع إلى التعارف والتعاون والحوار، وستظل بحول الله بلادنا التي كانت وما تزال ملتقى لعبقريات الشرق والغرب والشمال والجنوب بما ستبذله من مساع وجهود مشتركة أرض الدفاع عن العدل والسلام، وأرض الانتصار للعروبة والإسلام، وستظل إلى هذا وذاك متشبثة بوحدتنا الترابية حريصة على مقدساتها متمسكة بقيمها الروحية والحضارية، لاقتناعها بأن بقاءها كدولة لها خصائصها وشخصيتها الأصيلة وطابعها المتميز رهين بإخلاصها ووفائها لماضيها وللقيم الدينية التي استمد الشعب والوطن منها المفاخر والأمجاد.

لقد دخل المغرب دائرة الحضارة يوم دخل في دين الله ويوم جعل كتاب الله وسنة نبيه ورسوله دليل حياته الذي لا يخطىء ولا يزيغ، وما دام كتاب الله وسنة رسوله الأمين المصباح الذي يضيء مسالكه بنوره الوقاد فلن يضل ولن يخيب.

**﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾.**

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

# حكم برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر

للدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة

تلقينا من إدارة مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة بعد انعقاد الدورة الثامنة لمؤتمر المجمع ملفا يتعلق بحكم برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر. وطلب منا المجلس قبل ذلك إعداد بحث حول هذا الموضوع.

وقد أفدنا كثيرا من محتوى الملف وعلمنا :

**أولا :** أن مثار البحث ما قامت به «مؤسسة مسجد توسان بأمريكا» لبرمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر. وقد وردت على الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي رسالة بهذا الشأن من «الشيخ هاشم وهبه عبد العال» من جدة يطلب فيها إيقاف المحاولات التي تبذل من أجل المساس بقدسية القرآن الكريم.

**ثانيا :** أن رئاسة مجلس القضاء الأعلى أدلت برأيها في الموضوع حين أفادت أن المجلس بالأكثرية قرر عدم مناقشة الموضوع، أو إصدار شيء فيه لما تقتضيه المصلحة.

**ثالثا :** أن مجلس المجمع أصدر في دورته السابعة توصيته رقم (5) يتحرى بها الأمر، ويستهدي فيه بآراء المختصين، حين طلب من الهيئات العلمية المتخصصة بجامعة أم القرى وجامعة البترول والمعادن وجامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الملك عبد العزيز بيان آرائهم في هذا الموضوع، وذلك بالإجابة عن أسئلة محددة تتضمنها الاستفسارات التالية :

1 ـ كيفية البرمجة في الكمبيوتر.

2 ـ الفائدة المرجوة منها.

3 ـ بأي لغة تكون البرمجة.

4 ـ بأي الحروف تكون كتابة اللغة.

وقد لاحظنا أن وراء هذه الآراء الثلاثة مواقف متباينة :

**الأول منها يقتضي الحرمة.**

**والثاني يجنح إلى التحفظ والتوقف.**

**والثالث يدعو إلى بحث الأمر بحثا دقيقا موضوعيا، وذلك برده إلى أصحاب الاختصاص فيما يتقوم به ويتحقق عن طريقه أثره، حتى إذا تبين ذلك واتضحت صورته، طبقت عليه قواعد الشرع وانتهى فيه إلى حكم اجتهادي يكون بإذن الله هو المختار والمعتمد.**

ونحن على علم بالمحاولات المنكرة التي يتعين شجبها في كل مرة يعود المبطلون إلى طرحها على الساحة. وذلك مثل تغيير كتابة المصحف باعتماد الرسم القياسي واستبداله بالرسم العثماني، كما أننا على علم بالاتجاهات الخبيثة مثل التأويلات الخاطئة لآيات القرآن الكريم التي لا تعتمد الأثر الصحيح، أو لا تحتكم إلى قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن، ولا تخضع لأحكامها، ولكنها تقوم على مدارك باطنية وتعليلات مبنية على أعداد الحروف وما تتضمنه هذه الأعداد من أسرار لدى المتأولين.

وكل ما يتصور أن يعرض أو يحدث من تحريف لكتاب الله الكريم، في مبانيه أو معانيه، بسبب تبديل أو تلفيق، أو بسبب تأويل يقوم على الهوى والجهل، أو بسبب القول في كتاب الله بغير علم، فكل ذلك مردود وباطل. والله قد وكل بكتابه حفاظا يحفظونه، وأئمة يدرسونه ويبينونه للناس في كل زمن وجيل. فلا يقوم أحد من أصحاب الأهواء أو غيرهم بأدنى محاولة من المحاولات العدائية المغرضة، أو يصدر عنه شيء في كتاب الله يخالف كلام الأئمة من العلماء بالقرآن وبالشريعة، إلا انتصب له مؤمنون موكلون بحفظ القرآن ومسخرون لحمايته، وقام أهل المعرفة الدقيقة بالتنزيل يواجهون الملحدين في آيات الله بالنقد والتجهيل والتشنيع والتكفير، حسب أقوالهم وافتراءاتهم إبطالا لمكرهم، ونقضا لادعاءاتهم، ودرءا لأوهامهم وجهالاتهم، وحماية للقرآن الكريم الذي صانه الله بحفظه من كل تحريف وتبديل، وتكفل سبحانه بهذا العلم في قوله عز وجل : ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾.

وأما المساعي الكثيرة والحثيثة التي ظهرت خارج العالم الإسلامي وبداخله لبرمجة القرآن الكريم، وأمام المحاولات الفردية والجماعية في ذلك، وحرص الطلاب والجامعات والهيئات العلمية والمؤسسات التجارية وغيرها على استخدام الحاسب الآلي والاستفادة منه، يتعين على الفقهاء أن يصدعوا بالقول الفصل الذي تطمئن إليه النفوس، ويحقق مصالح الناس، ويأخذ بالاعتبار التطورات العلمية والتقنية التي تهيمن على حياتنا وتميز واقعنا الذي نعيشه في كل المجالات، كما عليهم أن يبينوا حكم الله في برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر، مع تحديد الطرق الضرورية والكفيلة بتحقيق الحاجة من ذلك.

وقبل الرجوع إلى أقوال الاخصائيين المستأنس بآرائهم وملاحظاتهم في هذا الشأن ينبغي أن نعرف الكمبيوتر أو الحاسب الآلي.

يقول الدكتور محمد الفيومي - دائرة الحاسب الالكتروني بجامعة اليرموك :

«**الحاسب** هو مجموعة من الآلات الإلكترونية تقوم بمجموعة مترابطة ومتتالية من العمليات على مجموعة من البيانات الداخلة، تتناولها بالتصنيف والحسابات وفقا لمجموعة من التعليمات والأوامر المتسلسلة في شكل يسمى **برنامجا**، بغرض الحصول على نتائج ومعلومات معروضة تفيد في تحقيق أغراض معينة. والشخص الذي يصمم البرنامج يسمى **مبرمجا**».

ويتركب هذا الجهاز الآلي الإلكتروني من ثلاثة أجزاء مختلفة الدور والوظيفة.

**الجزء الأول هو :** **الدماغ أو العقل أو مركز التفكير**، وهو الذي يقوم باستقبال وتحليل كل ما يقدم للجهاز من برامج وتعليمات معدة مسبقا، قصد تخزينها به على أي وجه من الوجوه.

**والجزء الثاني هو :** **وحدة أو وحدات الإدخال والإخراج**، وهو عبارة عن جهاز شبيه بجهاز التلفزيون، وبه مفاتيح تشبه مفاتيح الآلة الكاتبة يستخدم في مخاطبة الدماغ، وشاشة تظهر عليها المعلومات المطلوب تقديمها بصورة واضحة مقروءة، وجهاز طباعة تنقل به المعلومات المعروضة على الشاشة إلى أوراق مرقونة يحصل عليها المستخدم للحاسب الإلكتروني بغاية السرعة والدقة.

**والجزء الثالث هو :** **وحدة التخزين**، وهو عبارة عن صندوق عادي به أسطوانة ممغنطة متصلة بالدماغ، فإذا حصل الوثوق والاطمئنان بصحة المعلومات المعطاة للدماغ وأريد التوفر عليها، أصدر الأمر للدماغ الذي يقوم بتسجيلها فورا وفي ثوان على الأسطوانة التي تتسع في المتوسط لنحو مائتي مجلد، ولا ينال بعد ذلك ما يسجل على الأسطوانة محو أو إتلاف، كما يمكن أن تستنسخ منها نسخ لأكثر من مكان، وعلى أشرطة ممغنطة يتيسر معها تكرار النسخ للحفظ والأمان.

ويقوم الجهاز بعد ذلك بقدرة فائقة بالتعامل مع المخزون في كل الوحدات في وقت واحد، فيؤلف ويفرق ويختار ويترك ويحلل ويعلل مستعينا في ذلك بكل المعلومات التي شحن بها في جميع الوحدات في لحظة واحدة.

وبهذا البيان تتضح الوظيفتان الخطيرتان للحاسب الآلي اللتان فصل القول فيها الدكتور عبد العظيم الديب :

**أولاهما :** تخزين المعلومات بكميات هائلة في حيز ضيق مع بالغ الأمانة في الاحتفاظ بها، وكمال العطاء عند بذلها للمتعامل مع الكمبيوتر حيث يتم له ذلك حسب اختياره وطلبه في دقة تامة وبسرعة عجيبة وسهولة كاملة.

والملاحظ أن الأسطوانة الواحدة تتسع لثلاثمئة مليون حرف، فإذا أضيفت إلى الجهاز وحدات تخزين أخرى تضاعف بقدرها حجم المخزونات، وأصبحت طاقة الاستيعاب فيه رهيبة، **ويمكن تخزين المخطوطات بصورتها الأصلية، لتعرض على الشاشة، فيعين ذلك على جمع أكبر قدر منها، كما ييسر المقابلة والضبط والتصحيح والتحقيق**. ويمكن تخزينها بالعنوان وبالمحتوى على النحو الذي يريده الباحث ويعده له المبرمج.

**ثانيتهما :** تحليل المعلومات وتصنيفها والاستنتاج منها وإبداء الآراء في أعقد الأمور بناء على ما توفر أو يتوفر عليه الجهاز من معلومات سابقة. وهذا الأمر مذهل حقا لكن الدلائل عليه قائمة وكثيرة، في كل مجالات الاستخدام للحاسب الآلي والاستفادة منه في العلوم بأنواعها وفي حياتي الحرب والسلم.

وقد كثرت أجهزة الكمبيوتر وتعددت أنواعها، رغم التشابه الكبير بينها في الهيكل العام من جوانب معينة.

فهي من حيث القدرة على التخزين والكفاءة في العمل، تتنوع إلى أجهزة صغيرة جدا وصغيرة ومتوسطة وكبيرة وضخمة.

ومن حيث طريقة العمل تختلف الأجهزة من حاسبات إلكترونية تناظرية، وحاسبات إلكترونية رقمية، وحاسبات إلكترونية مختلطة تجمع بين خاصتي الحاسبين الآليين السابقين، وهما خاصية العد والرقابة من جهة، وخاصية القياس من جهة ثانية.

وتختلف أنواع أجهزة الكمبيوتر أيضا من حيث طبيعة أغراض الاستعمال إلى حاسبات الأغراض العامة، وحاسبات الأغراض الخاصة.

وتلك الكثرة وهذا التنوع يشهدان في هذا الظرف باكتساح الحاسب الآلي جميع مرافق الحياة والعمل في أكثر المجالات. وهو لما يتسم به من طاقة ودقة وسرعة قد أصبح من الضروريات التي لا يستغني عنها أحد بحال في هذا الزمن البالغ التطور والتعقد، والمتميز بالسرعة المذهلة وبالإلحاح المتزايد على كثرة الإنتاج.

وبعد، فالحاسب الآلي أرقى المكتشفات وأبلغها أثرا، وأهم الوسائل وأدقها نتائج. وهو يعد ظاهرة العصر والمقياس الذي يفرق به اليوم بين المتخلف والنامي الذي لا يواكب الحياة، أو لا يقدر على مواكبتها، وبين المتقدم والمتطور الذي امتطى العلم فلكا ليهيمن عليها ويحكم سيرها.

وقد جاءت تقارير الجامعات العلمية والإسلامية هنا في المملكة العربية السعودية مؤكدة لهذا الاتجاه، ومنادية بجني فوائد استعمال الكمبيوتر ببرمجة القرآن الكريم فيه. فقال تقرير جامعة الإمام محمد بن سعود :

«إن إمكانات الإفادة من الحاسب الآلي كبيرة جدا، تكاد تكون غير محددة، فكل ما يحتاجه الإنسان من معلومات يمكن أن يوضع له البرنامج المناسب، ويخزن في الذاكرة، ويمكن استدعاؤه بالصورة التي خزن بها، أو على ترتيب آخر، كما يمكن استدعاء أي نوع من المعلومات من كل الموضوعات المخزنة».

وأضاف تقرير اللجنة :

«إن الاستفادة من الكمبيوتر من الأهمية بمكان في جميع المجالات العلمية وغيرها بما في ذلك خدمة البحوث القرآنية».

وقال تقرير جامعة أم القرى :

«إننا متحمسون لفكرة البرمجة في الأبحاث الدينية والشرعية».

كما أشار إلى الإنجازات التي تمت في هذا الصدد، ودعا إلى تأييدها في قوله :

«وقد تمكن مؤخرا الباحث العربي والمسلم بحمد الله وتوفيقه، من اختراع جهاز حديث، أمكن من استخدام اللغة العربية في البرمجة تناظر لغة البيسك... وبدأوا بحمد الله التفكير في إنتاج برامج دينية، وقد وفقوا في بداية خطواتهم، وأرى أن يمدوا بالدعم والمساندة».

ثم نبه إلى تأكد الحاجة إلى استخدامه في الأوساط الطالبية وبفروع الجامعة حيث قال :

«إن الأبحاث التي يقوم بها طلبة العلم والدراسات الشرعية العليا عديدة ومتنوعة. وقد يحتاجون في دراساتهم إلى الحاسبات الآلية، لمساعدتهم في إنجاز عملهم، اختصارا للوقت وتسهيلا للعمل والدقة في الإنجاز. وما من شك بأن هنا فوائد كبيرة في استخدام الحاسبات اللآلية في هذا المجال، مثل الفوائد التي عادت من استخدامها في أي مجال آخر».

ووقف نفس الموقف من استخدام الكمبيوتر في الأغراض الدينية وفي برمجة القرآن الكريم تقرير جامعة الملك عبد العزيز، حين أجاب عن بعض أسئلة المجمع، ووصف ما لحق الحاسب الآلي من تطور في هذا العصر بقوله :

«وتوجد حاليا وحدات شاشات مرئية، ووحدات طباعة تستخدم الحروف العربية».

ومن ذلك انتقل إلى القول بأنه «يمكن الاستفادة من هذا الإنجاز التكنولوجي، في كل ماله علاقة بالقرآن الكريم، من تسجيل له، ولألفاظه الكريمة حسب ورودها، ثم الانتقال إلى معاني المفردات الخ».

وجرى على نفس النسق تقرير جامعة البترول والمعادن، حين أجاب عن سؤال مجلس المجمع ما هي الفائدة المرجوة فقال :

«يمكن حصر الفائدة المرجوة من برمجة القرآن بالحاسب الآلي في أربع نقاط رئيسية هي :

أ - استخدامات المجمع الفقهي التي تتركز على تصنيف آيات الأحكام تحت مواضيع رئيسية، مثل العبادات والمعاملات ونحوها، أو تحت مواضيع فرعية كالبيوع

والربا. مع إمكانية إضافة آراء الفقهاء وأقوال المفسرين في القضية الفقهية التي تعالجها الآية.

ب - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

ج - تصنيف الآيات حسب مواضيع مختلفة مثل العقيدة وقصص الأنبياء والأمم والأماكن.

د - استخدامات عامة تشمل :

1 - الحصول على سورة بذكر اسمها.

2 - الحصول على آية برقمها في سورة معينة.

3 - الحصول على آية لمحتواها أو بكلمة معينة في السورة.

4 - الحصول على آية بالموضوع.

5 - الحصول على سورة بالموضوع.

6 - الحصول على عدد السور والآيات والحروف.

7 - الحصول على ترتيب الآيات حسب النزول.

وغير ذلك من التطبيقات الهامة».

ورغم هذه المواقف وأمثالها المعلن عنها من طرف الأخصائيين، والتي حملت عددا من الهيئات والعلماء من أصحاب الخبرة على اللجوء إلى استخدام الكمبيوتر في الأغراض العلمية الدينية، مثل الأستاذ محي الدين عطية من أسرة مجلة المسلم المعاصر ومن أعضاء الندوة العالمية للأنشطة الإسلامية، والمعهد الإسلامي بلندن، وكلية الشريعة بالجامعة الأردنية، والاتحاد الإسلامي بأمريكا الشمالية وغيرها، وأمثال الدكتور عبد الفتاح الحلو أستاذ علم المكتبات بجامعة الإمام محمد بن سعود، والأستاذ عبد القادر أحمد عبد القادر خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والدكتور محمد مصطفى الأعظمي، والدكتور علي لاظ، فإن تخوفات كثيرة ومحاذير ما تزال قائمة على الطريق خصوصا في هذه المرحلة التأسيسية الانطلاقية، التي سوف تبرز نتائجها بإذن الله برمجة الحاسب الآلي واستخدامه في الأغراض المختلفة، وفي مقدمتها القرآن وعلومه.

وطبعي أن تلابس كل جديد المخاوف. وهذا ما حصل فعلا مع الهاتف عند ظهوره، وجهاز الإذاعة بعد اختراعه، والتلفزيون عندما غزا المحلات العامة والخاصة، وأشرطة الكاسيتات التي يسجل بها كل شيء صوتا وصورة. ولا يلزم أن يكون انتشار هذه الوسائل المستخدمة في الخير وفي الشر مبررا لوجود الكمبيوتر أو بالأحرى لبرمجة القرآن الكريم وعلومه فيه، فإن جماعة من العلماء نبهت إلى جملة من المحاذير تمنع من استخدامه في هذا الغرض، أهمها ما ورد في الملف الموضوع بين أيدينا. وهي :

**أولا :** أن في برمجة القرآن الكريم في الحاسب الآلي تقليلا من الاهتمام بدراسة القرآن الكريم وحفظه واستذكاره، لأن برمجته في الكمبيوتر توفر للباحث الحصول على مطلوبه منه، دون إلمامه بالقرآن قراءة وحفظا.

**ثانيا :** تعريض له للإهانة، وتقليل من قدسيته واحترامه، بحيث يصبح كأي معلومات تخزن فيه. ولاشك أن بقاءه في المصاحف والصدور أدعى للمحافظة على كرامته وقدسيته.

**ثالثا :** احتمال دخول التغيير على النص القرآني عن قصد أو عن غير قصد، وذلك ما نص عليه بوضوح تقرير أم القرى حين قال : «إن الكتابة أو الطباعة على الورق العادي لا يمكن شطب الكلمة أو تعديلها دون أن تلاحظ، في حين يمكن عمل ذلك في الحاسبات الآلية بسهولة، وربما تمحى بعض الأجزاء أو عند تعرضها لمجال مغناطيسي قوي، أو للأشعة السينية». وقد عقب على قوله هذا بطلب «منع تداول المصاحف المطبوعة على الأسطوانات المغناطيسية والأشرطة المغناطيسية لأنه يمكن تغيرها بسهولة، وبعد إجازتها من اللجان وذلك بين العامة من القراء وصغار الباحثين». وقد أجاز ذلك للمؤسسات التعليمية والدينية ومراكز البحوث التي يشرف عليها علماء ومختصون.

**رابعا :** يحصل تسهيل الرجوع إلى الآيات التي يستدل بها في موضوع ما أو الكلمات القرآنية

عند الحاجة إليها باستخدام المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وهو مطبوع ومتداول.

وبعد التأمل في هذه المخاوف والمحاذير تبين لنا :

1 - أن دراسة القرآن الكريم وحفظه واستذكاره نعمة خص الله بها الصفوة من عباده المسلمين في كل زمان. فلم يكن ذلك ظاهرة عامة بين الناس جميعا. ولو لا ذلك لما تمايزت الأقدار وتفاوتت المنازل. وفي برمجة القرآن الكريم وعلومه في الحاسب الآلي دعم للحفاظ والباحثين والذاكرين لكتاب الله، وإعلاء لمنازلهم وترغيب للمتعلمين لأن يكونوا أمثالهم من أهل الذكر والعلم بالقرآن، ليزدادوا بالحفظ خيرا وبتلاوته وتعلمه أجرا وبضمان وجود الحفاظ والأئمة الذاكرين لأحكام القرآن الكريم وعلومه وقراءاته وأسرار تنزيله تتمكن هذه الصفوة الخيرة المتكاثرة بإذن الله من أن تنشر العلوم القرآنية بأيسر الطرق وأدقها وأحكمها. فلا تلجأ إلى المحاضرة والدرس أو الكتابة والنشر فحسب، بل تضيف إلى ذلك كله تخزين جملة هذه المعلومات الحاصلة من الوسائل المتقدمة ومن أمثالها الغير المتناهية نوعا وعددا، كالمؤلفات العلمية والتفاسير والأحكام الشرعية وكل ما صنف في القرآن الكريم وعلومه. فإذا أودعت ذلك كله الحاسب الآلي لم يبق على الباحث، مختصا كان أو غير مختص، ومن الخاصة كان أو من العامة، إلا أن يضغط على زر للحصول على مطلوبه من المعلومات مهما دقت أو كثرت، وكان في قدرة العالم الواحد الإجابة عنها، أو كانت تحتاج إلى جملة من آراء العلماء والخبراء بكتاب الله وما وسعه من علوم وفنون وأحكام وهداية. فالحاسب الآلي بعد برمجة القرآن فيه يكون قادرا على الوفاء بجميع ذلك، وقد يكون من أول المستفيدين منه والمنتفعين به في هذا الشأن الحفاظ والعلماء أنفسهم.

2 - أن قدسية القرآن واحترامه لا تقل ولا تنزل بحسب اختلاف الوسائل والأوعية الحافظة له. فالمسلمون يوقرونه في الذكر وفي الحفظ، وفي الصحف المخطوطة والتساجيل المضبوطة وفي اللوحات تضيء به وتعرضه، وفي الأوراق ترسم عليها آياته وفواصله، ويجد العلماء المسلمون في اختلاف الوسائل لعرضه وتعليمه ونشر حكمه وأحكامه وعلومه بين الناس العناية الربانية به المتمثلة في إذاعته وحفظه وهداية الأولياء المتبعين لطريق الحق، ومحاجة وإعذار الغافلين والمنكرين المعطلين الذين لا يبغون عن ضلالاتهم حولا. فلا تتعدد صور ذكره وعلمه وقراءاته وسماعه إلا كانت على جميع الأشكال، ومع اختلاف الصور مدعاة لمزيد التوقير والتقديس والاحترام والخشوع تزكية للنفوس وتطهيرا لها، وتمثلا ومراقبة دائمين له، وخضوعا لحكمه وانقيادا لندائه ودعوته.

3 - تغيير المكتوب بعد إصلاحه، وإمكانية عدم تردد القارئ مع ذلك في صحته واحتمال انطماس النصوص متى تعرضت لمجال مغناطيسي أو للأشعة السينية، مما يحمل على عدم الاطمئنان على صغار الباحثين وعامة الناس أمران جائزان وقليلان، وقد يحصل مثل ذلك عند طباعة المصاحف وصدور نسخ رديئة بسبب سوء الطبع أو كثرة الحبر، ويحصل مثله عند مقابلة الصور بأضواء تعشي النظر أو تغالطه بما تخيله من بقع سوداء يختفي معها المنظور في الصورة، وهذه الحالات ليست الأصل، ولكنها قد تحدث في البداية عندما يكون الإعداد الفني للأجهزة ناقصا أو غير مضبوط، ولم يتردد مع ذلك أحد في استخدام الطباعة العادية ولا التصويرية، والمعروف الآن بشأن الحاسب الآلي أنه مر بتجارب فنية وتطورات فائقة ومتقدمة تضمن سلامة معروضاته، وتطمئن على الاستفادة من استخدامه في كل المجالات مهما بعدت أو دقت، فلا يعقل الاستغناء عنه لمجرد احتمالات مدفوعة بالمراقبة الفنية والعلمية.

4 - أن المعجم المفهرس المتداول لا يغني بحال عن الحاسب الآلي لضيق آفاق استعمال الأول وانحصار فوائده في أشياء محدودة، واتساع مجالات الاستفادة من الثاني في الجمع والتحليل والاستنباط، وبما

فصلنا القول فيه تتلاشى بإذن الله المخاوف والمحاذير كلها.

ويمكن استعمال الكمبيوتر في هذا الغرض الشريف، خصوصا بعد أن وجدت الحاسبات الآلية باللغة العربية. صرح بذلك تقرير جامعة البترول، وبشر بتقدم هذه الآلات تقرير أم القرى الذي جاء فيه :

«إن الحروف أصبحت عربية وجميلة الشكل، بالإضافة إلى مميزات جديدة، وهي وجود التشكيل عليها، من فتح وجر وضم وتشديد وتنوين ومد، مما يساعد - في رأي جامعة الإمام - على ضبط الآيات ضبطا محكما، غير أننا لضمان الاستفادة المطلوبة من برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر لابد من مراعاة شروط، من اللازم والضروري توفرها في كل مراحل استخدامه :

**أولها :** الرجوع في الناحية الفنية إلى المتخصصين حتى يكون استعمال الجهاز بطريقة دقيقة وسليمة لا تظهر معها العيوب التي تستوجب الخوف على النتائج والحذر مما قد يصيبها من تغيرات بسبب سوء الاستعمال «توصية جامعة الإمام».

**ثانيها :** اشتراك الفنيين المتخصصين مع العلماء الأخصائيين في القرآن وعلومه، في القيام بوظيفة البرمجة، أي في إدخال المعلومات في الحاسب الآلي وتخزينها فيه، ثم بتولي المسؤولين على الناحية العلمية مراجعة ذلك، للوثوق من دقة النتائج وسلامتها. دعت إلى ذلك جامعة الملك عبد العزيز في قولها : «وإدخال المعلومات يجب أن لا يترك في أيدي المختصين بالقرآن الكريم وعلومه. ولا تقف مهمتهم عند حد إدخال المعلومات المطلوبة، ولكن يجب أن تتعداها بالمراجعة لما يتم إدخاله قبل السماح باستعمال ذلك وتعميمه».

وصرحت بمثل ذلك جامعة أم القرى في اشتراط أن لا ينفرد بالبحث المسؤولون عن الحاسب الآلي، وذلك لعدم تمكنهم من علوم الشريعة، وأن يتم ذلك تحت الإشراف الدقيق والقريب من العلماء والمختصين.

وقد ترتبت على نتائج استطلاع الأراء في هذا الموضوع دعوة صريحة لجامعة الملك عبد العزيز إلى وجوب التعاون في مثل هذا المهم. كما طالبت جامعة الإمام الرابطة :

**أولا :** بتفريغ أعداد كافية من أشخاص الرابطة مع مساعدين من أجل إعداد البرامج المناسبة، ومعرفة وسائل البرمجة، وإعداد المعلومات وتحليلها، وتغذية الجهاز بها، وطرق الاستفادة منها.

**ثانيا :** بإعداد أجيال متعاقبة من أشخاص الرابطة، مدربة على استخدام الكمبيوتر والاستفادة منه. ولعل هذا الاتجاه يفسره حب مواكبة التطور العلمي باستعمال الأجهزة الدقيقة في البحوث والدراسات القرآنية والشرعية.

وإسناد هذا الأمر إلى الأمناء من رجال العلم الديني البصراء بفروعه وفنونه، المطلعين على دقائقه وأسراره، وذلك يكفل تحديد المسار القويم، وإيجاد الأصل الذي يرجع إليه ويصحح به ما قد يصدر عن غير الخبراء والذين في قلوبهم مرض من المتهمين بتتبع ما تشابه من القول ابتغاء الفتنة، والتمكين من الرد عليهم، وتفنيد أقوالهم، مثل ما ظهر ذلك في ميدان التدريس والمحاضرة والتأليف حين انكشفت أسرارهم، ودخائل نفوسهم وبأن للعالمين جهلهم ومكرهم، وتهافتت نظرياتهم وافتراءاتهم.

والذي تطمئن إليه النفس في هذا الموضوع **وهو حكم برمجة القرآن الكريم في الكمبيوتر الجواز مع الالتزام بالشروط المتقدمة التي وقع التصريح بها والتأكيد عليها، وذلك :**

أولا : لما فيه من منافع للناس. والأصل في المنافع الإباحة. قال تعالى :

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾.

وقال عز وجل :

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾.

وقال سبحانه :

﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾.

ثانيا : لوجوب الأخذ بكل ما يعين على التقدم العلمي في مجال الدراسات الشرعية والإسلامية. وهذا من باب العادات التي يتوسع فيها. قال الإمام الشاطبي في الموافقات :

«إن الشارع توسع في بيان العلل والحكم في تشريع باب العادات، وأن المعتبر في ذلك مصالح العباد، والإذن دائر معها أينما دارت، حسب ما هو مبين في مسالك العلل. فالشارع قصد اتباع المعاني، لا الوقوف مع النص، بخلاف باب العبادات فإن المعلوم فيها خلاف ذلك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في القواعد النورانية :

«والعادات هي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه. فالأصل فيه العفو وعدم الحظر، فلا يحظر منها إلا ما حظره الله سبحانه».

وثالثا : لكون هذه السبيل تعين على أداء الأمانة على أكمل وجه، وتجعلنا مضطلعين في هذا العصر بأحكم الطرق وأنجع الوسائل في تبين كتاب الله وتفصيل آياته، دون غفلة أو شك أو كتمان. وهل الحاسب الآلي إلا وسيلة سخرها الله لنا بفضله في هذا الزمان لتمكيننا من الوصول إلى أغراضنا العلمية الشرعية، ومطالبنا الدينية والقرآنية، بمنتهى الشمول والاستيعاب والدقة ومع فائق الضبط والسرعة !؟

والله ولي الفضل بدءا وعودا، لا خير إلا خيره، إليه يرجع الخير كله، وهو الغني الحميد.

# التواصل بين المغرب ومصر في رحاب القرآن الكريم

للدكتورة
عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

**بسم الله، والحمد لله «وسلام على عباده الذين اصطفى»**
**شاء الله تعالى، له الحمد والمنة، أن يكون نشر هذه الحلقة من دراستي للتواصل بين مصر والمغرب في رحاب القرآن الكريم، على موعد مع الشهر المعظم: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان).**

وفي هذه الدراسة لما بين مصر والمغرب من تواصل حميم، لا أتعلق بنظريات لأخذ وعطاء أو تأثر وتأثير، بل هو أكبر من أن تحصره حدود وتعريفات ومصطلحات، إذ يوغل في صميم كياننا الشعبي، لا يخضع لمثل ما تخضع له العلاقات بين الدول أو الحكومات والمنظمات بعضها وبعض، من اتفاقيات مكتوبة ومعاهدات مسجلة وبنود محددة، عرضة للتغيير والإلغاء، تبعا لحكم الضرورات وتغير النظم والمواقف.

كما لا يشغلني من هذا التواصل مثل ما يشغل أصحاب الدراسات الاجتماعية الحديثة، بنظرياتها وأجهزتها ومنطق تفسيرها لنفسية الشعوب وسلوك الجماعات، فالتواصل في رؤيتي لواقعنا وتاريخنا ليس معادلة من تبادل التأثر والتأثير، ولا مقاصة بين أخذ وعطاء، بل أخذ مساره في نفسية الشعب وضميره العام، استجابة تلقائية لعوامل معنوية ومؤثرات وجدانية وروحية.

وتركيزا للنظر، التفت في التواصل الاجتماعي إلى أوليائنا الصالحين، وحملة القرآن وعلمائه، وشيوخنا الفقهاء.. لما لهم من نفوذ اجتماعي واتصال مباشر بالجماهير.

☆ ☆ ☆

مع القدر المشترك من الصلات بين الشعوب الإسلامية بوجه عام، بحكم ما يجمعها من وحدة الدين شرعة ومنهاجا، ووحدة التاريخ وجودا ومصيرا، يوجد تواصل حميم وفريد بين مصر والمغرب، يتجاوز العوامل الجغرافية والنظريات الجاهزة في تفسير نفسيات الشعوب وسلوك

الجماعات، إلى ما هو أعمق غورا وأقرب إلى منطق الفطرة وواقع التاريخ. فمصر كانت مدخل الإسلام إلى إفريقية والمغرب، ومنطلق كتائب الفتوح الكبرى التي حملت اللواء إلى المغرب الأقصى : رباط الاحتشاد والتعبئة لفتح الأندلس بقيادة «طارق بن زياد» في عشرة آلاف من جنده المغاربة البربر، مع ألفين من جند المشرق ومصر. وفي ذلك اللقاء الكبير تحت راية الإسلام اتصل المغاربة بأهل مصر عصرَ الفتح في القرن الأول للهجرة، وما أعقبه من وفادات مستمرة إلى المغرب، مرورا بمصر، للقادة والأمراء والقضاة والقراء والفقهاء. ثم كانت مصر، بالضرورة، مجاز الحاج المغربي إلى الحجاز ذهابا وأوبة، وفيهم طلاب علم يحرصون على لقاء علماء الإسلام والعربية بالمشرق، فربما شدوا الرحال بعد قضاء مناسك الحج إلى الشام والعراق وخراسان وما وراء النهر، وربما حالت موانع دون مدِّ الرحلة فوجدوا لدى أهل مصر ما حملوه من علماء الحواضر الإسلامية بالمشرق، على ما تشهد به أسانيد السلف من علماء الطبقات الأولى المغاربة، إلى الكتب الأصول الأمهات، أخذوا الكثير منها من طريق رواتها الثقات الأثبات من أهل مصر، مع ما لهم من مصنفات. من ثم كان التعارف بين المغاربة والمصريين ميسرا لهم على سعة من الوقت، ومتصلا لم ينقطع. فكان لمن شاء من المغاربة أن يقيم بالديار المصرية حيث شاء فيجد أينما حل بها أهلا ودارا، والذين عادوا إلى ديارهم بالمغرب الكبير حملوا معهم علما كثيرا عكفوا على توثيق روايته وتحقيق أسانيده، ثم فقهه ودرايته وخدمته، ثم أضافوا إليه الكثير القيم من عطائهم، ورسخ التواصل مجراه في وجودنا الاجتماعي عبر مراحل كبرى في ظروف تاريخية قضت بهذا التواصل ورسخته.

من القرن الرابع للهجرة، كان المغرب الكبير قد صار دار قرآن وحديث وسيرة وعربية وآلت إلى علمائه الإمامة والصدارة في علومها. وإليهم كانت الرحلة. لكن تصدع قلاع الأندلس وتساقط حصونه وثغوره، ألقى على المغرب الأقصى تكاليف الجهاد لحماية الإسلام في جبهته القصوى : دينا ودولة وعلما وحضارة وتراثا. وتعطلت الحواضر العلمية بالأندلس واتجه النازحون إلى العدوة المغربية وتونس، وإلى مصر حيث استقر بهم المقام وشاركوا في جهاد الصليبيين والتتار...

النازحون المغاربة إلى مصر لا يحصون عدا، قصرت النظر على أقربهم إلى الشعب وأوثقهم صلة بالجماهير، فهم الأولياء الصالحون والقراء والفقهاء. وقد أنزلتهم مصر أكرم منزل.

ويصعب في الواقع توزيع أعلامهم في دوائر منفصلة، إذ كانوا في الغالب، مشاركين في أكثر من مجال. وإنما ننظر إليهم في المجال الذي اشتهروا فيه. فركزت في الحلقة الأولى على أعيان الأولياء المغاربة بمصر التي بوركت بهم فكانوا ما عاشوا قدوة المريدين وهداة السالكين، ثم لما ثووا في ثراها صارت مدافنهم المتواضعة مزارات مباركة ومواسم للذكر وتجديد العهد بأئمة الطريق...

☆ ☆ ☆

اليوم أتجه إلى ما كان من تواصل حميم بين مصر والمغرب في رحاب القرآن الكريم، ومعلوم بالضرورة أن رحابه ملتقى الأمة كلها على مر الأعصار واختلاف الأمصار. فإذا خصصت ما بين مصر والمغرب بالذكر، رنوت إلى أعلام من القراء، وحملة علوم القرآن، توالت طبقاتهم تصل ما بيننا إلى ما شاء الله، ولهم ما نعلم جميعا من مكانة في الأمة وموضع عند شعوبها.

بدأ التواصل الوثيق بين مصر والمغرب في رحاب القرآن، برواية ورش لقراءة نافع التي يقرأ بها أهل المغرب.

«ورش» هو : عثمان بن سعيد المصري القرشي، مولاهم، شيخ القراء المحققين. انتهت إلى رئاسة الاقراء بالديار المصرية في زمانه (170 ـ 197 هـ) مهر في العربية، واشتغل بالقرآن فرحل إلى المدينة المنورة وقرأ على إمامها «نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، مولاهم، المدني التابعي» أحد الأئمة السبعة، وشيخ الإمام مالك. وقد عرض ورش على شيخه الأمام نافع عدة

ختمات. وانتهت الرياسة في قراءة نافع بعده، إلى ورش، إمام القراء بمصر، وقالون : عيسى بن مينا بن وردان المدني (220 هـ) ربيب الإمام نافع ومقرىء المدينة بعده[1].

وكانت قراءة نافع قد دخلت الأندلس مبكرة، مع «الغازي بن قيس، أبي محمد الأندلسي» المالكي الفقيه، المقرىء الضابط. أخذ القراءة عرضا وسماعا بالمدينة المنورة عن الإمام نافع، وضبط عنه اختياره، وأخذ الموطأ عن الإمام مالك.. فكان أول من أدخلهما إلى الأندلس (197) هـ).

كما دخلت رواية ورش مبكرة، من طريق «محمد بن عبد الله الأندلسي، أبي عبد الله القرطبي» رحل إلى ورش وأخذ القراءة عنه عرضا.

وكان عالما بالقراءات بصيرا بالعربية زاهدا. فيما نقل ابن الجزري عن أبي عمرو الداني (طبقات القراء، ترجمة 3198).

☆ ☆ ☆

ثم دخلت رواية ورش عن نافع، من مصر. حيث آلت الإمامة فيها إلى اثنين من جلة أصحابه، وهما :

«أبو الأزهر العتقي المالكي، عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم ـ 231 هـ» أخذ الفقه عن أبيه عبد الرحمن، صاحب الإمام مالك، والقراءة عرضا عن ورش، وله عنه نسخة، وروى حروف حمزة ـ بن حبيب الزيات الكوفي، من السبعة ـ عن داود بن أبي طيبة هارون بن يزيد المصري. ولعبد الصمد في ذلك كتاب[2] و«أبو يعقوب الأزرق، المدني ثم المصري، يوسف بن عمرو بن يسار» لازم ورشا وأتقن عنه الأداء. وتصدر. توفى في حدود سنة 240 هـ.[3]

وقد دخلت الروايتان عن ورش كلتاهما من مصر إلى المغرب الكبير، وإن كانت رواية أبي الأزهر عبد الصمد هي التي انتشرت واشتهرت. قال عياض في ترجمته : «روى عبد الصمد عن ورش، وهو من جلة أصحابه المتصدرين ومن وقتها اعتمد أهل الأندلس على راوية ورش». وذكر من الرواة الأندلسيين عنه : ابن باز، وابن وضاح ومن طريقه انتشرت؛ «ابن باز، ابرهيم بن محمد بن باز، أبو إسحاق ابن القزاز القرطبي المالكي الفقيه المقرىء. رحل فسمع بمصر من يحي ابن بكير وأبي الطاهر ابن السرح وأبي زيد بن أبي الغمر... وقرأ على عبد الصمد، وسمع منه كتابه الذي جمعه في قراءة نافع، قرأ عليه، أصبغ بن مالك، أبو القاسم الأندلسي ـ 304 هـ» خرج ابن باز من قرطبة إلى مجريط مرابطا، وتوفى في رجوعه منها بطليطلة سنة 274 هـ.[4]

و«ابن وضاح : محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله القرطبي، المالكي الفقيه الحافظ المقرىء» له رحلتان إلى المشرق، إحداهما سنة 218 هـ. ولقى في أخراهما شيوخ الوقت بالحواضر العلمية. «وبه، وببقي بن مخلد القرطبي» صارت الأندلس دار حديث. وفي ترجمته، عن أبي عمرو الداني قال : «روى القراءة عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم، عن ورش، وسمع منه الاختلاف بين نافع وحمزة. ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وكانوا قبله معتمدين على قراءة الغازي بن قيس عن نافع، تقله

1) طبقات القراء لابن الجزري
الإمام نافع، الترجمة رقم (3718).
ورش : عثمان بن سعيد رقم (2090).
قالون : عيسى بن مينا رقم (2508).

2) ترجم القاضي عياض في المدارك، لأبي الأزهر عبد الصمد وأخيه أبي موسى هرون، ابني عبد الرحمن بن القاسم، في الطبقة الأولى من أعيان المذهب الذين انتهى إليهم فقه مالك ممن لم يره، قال : وغلب على عبد الصمد علم القرآن وله فيه كتاب، وعلى موسى العبادة (المدارك 43/4).

وابن أبي طيبة، أبو سليمان المصري مقرئ ماهر محقق، قرأ على ورش، وهو من جلة أصحابه. توفى سنة 223 هـ (طبقات القراء لابن الجزري، ترجمة رقم 1255).

3) طبقات القراء، الترجمة رقم (3933).

4) ليلة الخميس لثمانية أيام مضين من ربيع الآخر سنة أربعة وسبعين في (تاريخ ابن الفرضي رقم 1717 ط القاهرة، وترتيب المدارك، 443/4 ـ 446) ووقع في الطبعة الثانية من طبقات ابن الجزري : سنة أربع وتسعين ومائتين. (الترجمة رقم 97).

عياض، وذكر جملة ممن أخذوا عن ابن وضاح وقرأوا عليه، وقال : «وأكثر من رأس وشرف بالأندلس فمن تلاميذه» مولده سنة 199، وقيل سنة 200 هـ، ووفاته في ذي الحجة سنة 286 هـ.[5]

☆ ☆ ☆

ودخل القيروان برواية ورش لقراءة نافع : «ابن خيرون : محمد بن عمر بن خيرون المعافرى، أبو عبد الله الأندلسي ثم القروي، شيخ القراء بالقيروان ـ 307 هـ» أخذ القراءة بمصر عرضا، عن كبار أصحاب عبد الصمد والأزرق، في ترجمته، عن أبى عمرو الدانى قال : «إمام في قراءة نافع من رواية ورش عنه. ثقة مأمون، قدم القيروان واستوطنها وأقرأ بها... وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش، وسلك أصحابه في ذلك طريقه، وكذلك من أخذ عنهم إلى اليوم» نقله ابن الجزرى، وقال : «وهو الذي قدم بقراءة نافع على تلك البلاد، فإنه كان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس، فلما قدم ابن خيرون القيروان اجتمع عليه الناس ورحل إليه القراء من الآفاق. وألف كتاب الابتداء والتمام، وكتاب الألفات واللامات» توفى بمدينة سوسة في النصف من شعبان سنة ست وثلثمائة.[6]

☆ ☆ ☆

في القرن الرابع، رحل من مصر إلى الأندلس، في وفادة علمية للإقراء :

«أبو الحسن الأنطاكى، ثم المصري : علي بن محمد بن اسماعيل بن بشر» نزيل الأندلس المقرىء الإمام الحاذق، المسند الثقة، ولد بأنطاكية سنة 299 هـ وخرج مع أمه للحج في شوال سنة 338 هـ فنزل مصر وأخذ القراءة بها عن أصحاب أبي الحسن النحاس،[7] وأقرأ بمصر إلى أن وجه المستنصر بالله أمير الأندلس في طلب مقرىء من مصر يقرىء الناس بالأندلس، فقدم قرطبة مع أمه في سنة 352 هـ وأقرأ بالأندلس عددا من طبقة شيوخ الداني، قال ابن الفرضى : قدم الأندلس في شهر ربيع الآخر سنة 352 فنزل من الخليفة الحكَم المستنصر بالله ومن الناس المنزلة الرفيعة، وكان عالما بالقراءات رأسا فيها لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته. وروى حديثا كثيرا عن الشاميين والمصريين، وأدخل الأندلس علما جما من القراءات» ـ توفي بقرطبة سنة 377 هـ.[8]

☆ ☆ ☆

وتتابعت الرحلات من المغرب الكبير إلى مصر، في قراءة ورش، وغيرها. من القراءات من أعيان الراحلين إليها :

«ابن النعمان، محمد بن الحسين بن محمد بن ابرهيم بن النعمان، أبو عبد الله القرشي الفهري القروي» رحل وأخذ القراءة بمصر عرضا عن «أبي الفتح[9] ابن بدهن» وعليه اعتماده، وعن أبي أحمد[10] السامريّ وجوّده، وأبى بكر الادفوى، قال الداني : «نزل الأندلس سنة 357 وأقرأ الناس بها دهرا» وممن أخذ القراءة عنه : أبو عمر الطلنكي، وعبد الرحمن بن مروان القنازعي وأحمد بن محمد بن جريج القرطبي.

مولده بالقيروان سنة 329 وتوفي بقرطبة سنة 368 هـ.[11]

---

5) ترتيب المدارك : 435/4، وتاريخ ابن الفرضي، الترجمة (رقم 1136) وطبقات القراء (رقم 3518).

6) طبقات القراء، الترجمة رقم 3314 وقابل على ترجمة «محمد بن خيرون، أبي جعفر القروي» في الغرباء، باب محمد من تاريخ ابن الفرضي، الترجمة رقم (1395).

7) إسماعيل بن عبد الله بن عمرو التجيبي، شيخ مصر المحقق الجليل. قرأ على الأزرق وعبد الصمد وعدد من أصحاب ورش. توفى سنة نيف وثمانين ومائتين (القراء، رقم 770).

8) تاريخ ابن الفرضي : الغرباء في باب على الترجمة رقم 643 وطبقات القراء لابن الجزري (رقم 2308).

9) أحمد بن عبد العزيز بن موسى الخوارزمي الأصل البغدادي نزيل مصر، إمام متقن مشهور من حذاق أصحاب ابن مجاهد. قرأ عليه الأعيان بمصر والوافدون عليها تـ سنة 359 هـ (قراء ابن الجزري رقم 300).

10) عبد الله بن الحسين بن حسنون السامري البغدادي نزيل مصر، من أئمة قرائها المسندين. في مشيخته كثرة، وعنه أخذ لأعيان. تـ سنة 386 هـ بمصر (القراء : رقم 1761).

11) تاريخ ابن الفرضي : الغرباء في محمد، رقم 1492.
وطبقات القراء لابن الجزري (2968) وأرخ وفاته سنة 378 هـ.

«ابن الدباغ، أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل الأزدي أبو القاسم القرطبي» المالكي الفقيه الحافظ المقرىء رحل فقرأ بالرملة على أحمد بن صالح صاحب ابن مجاهد، وبمصر على أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أشته الأصبهاني نزيل مصر الإمام المحقق - صاحب كتاب المحبر، توفي بمصر سنة 360 هـ - ورجع ابن الدباغ إلى الأندلس فصنف وأقرأ وحدث. أخذ عنه أبو عمرو الداني وأبو عمر ابن عبد البر - 393 هـ.[12]

☆ ☆ ☆

«زكريا بن يحيى، أبو يحيى الأندلسي، مقرىء متصدر ضابط. عرض بمصر على بكر بن سهل الدمياطي من كبار أصحاب عبد الصمد، وعلى حبيب بن اسحاق القرشي وداود بن أبي طيبة، وعلى مواس بن سهل، أبي القاسم المعافري المصري، المصدر في قراءة نافع. نقل ابن الجزري في ترجمة زكريا : «روى عنه أصبغ وجماعة من أهل قرطبة وعرضوا عليه، ولم يكن بالأندلس بعد الغاز بن قيس أضبط منه في قراءة نافع ولا أعرف بألفاظ المصريين من أصحاب عثمان بن سعيد - ورش - وله كتاب حسن في الأصول.[13]

☆ ☆ ☆

سعيد بن جابر بن موسى الكلاعي، أبو عثمان الإشبيلي» رحل إلى المشرق وسمع بمصر من أبي عبد الرحمن النسائي وكتب منه كثيرا من مصنفاته، وأبي بشر الدولابي، في آخرين ذكرهم ابن الفرضي في ترجمة سعيد، وأرخ وفاته سنة 325 هـ عن أبي محمد الباجي، وفي سنة 327 عن محمد بن أحمد بن يحيى ابن مفرج. وذكره ابن الجزري فيمن رووا القراءة عن أبي بكر بن سيف، عبد الله بن مالك بن عبد الله التجيبي المصري النجاد، عن أبي يعقوب الأزرق صاحب ورش شيخ الديار المصرية في زمانه - 307 هـ - في قراءة ورش.[14]

☆ ☆ ☆

«ابن القابسي، أبو الحسن القيرواني، علي بن محمد بن خلف المعافري» المالكي الفقيه الثبت. رحل فحج، وسمع بمكة وبمصر من مشيخة الوقت، سمى عياض عددا من أعيان شيوخه، وقال الداني : أخذ القراءة عرضا وسماعا عن «أبي الفتح ابن بدهن» وعليه اعتماده، وأقرأ الناس بالقيروان دهرا... ثم شغل نفسه بالحديث والفقه إلى أن رأس فيهما وبرع (324 - 403 هـ).[15]

☆ ☆ ☆

وسيم ابن أحمد بن محمد بن ناصر، أبو بكر الأندلسي القرطبي» المالكي الفقيه المقرىء المحدث. أخذ القراءة عن أبي الحسن الأنطاكي وأبي الطيب ابن غلبون الحلبي نزيل مصر وروى بها عن أبي أحمد السامري.

وروى عن أبي محمد ابن أبي زيد وأبي محمد ابن الضراب، قال الداني : «وكتب شيئا كثيرا من الحديث والفقه والقراءات، وحدث بقرطبة إلى أن توفي بها في الفتنة سنة 404 هـ.[16]

☆ ☆ ☆

«عبيد الله بن سلمة بن حزم، أبو مروان اليحصبي الأندلسي» مقرىء صدوق، أخذ القراءة عرضا بدمشق على عبد الله بن عطية، والمظفر بن أحمد، وعن علي بن محمد بن بشر، أبي الحسن الأنطاكي ثم المصري نزيل الأندلس، وبمصر عن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون. وروى الحروف عن محمد بن الحسن بن علي الأنطاكي أبي طاهر نزيل مصر. وكتب عنه الداني وقال : وهو الذي علمني عامة القرآن وكان خيرا فاضلا صدوقا، توفي في الفتنة سنة 405 هـ.[17]

---

12) ابن الفرضي، رقم 417، وابن الجزري :الترجمة 1231.
13) قراء ابن الجزري، الترجمة رقم 1295.
14) ابن الفرضي، ترجمة سعيد بن جابر، رقم (494) وابن الجزري، ترجمة أبي بكر ابن سيف المصري الإمام، رقم 1855.
15) المدارك : 7/90 - 99، وابن الجزري (2314).
16) قراء ابن الجزري، الترجمة رقم 3800 والنقل منه. وذكره ابن الفرضي في حرف الواو، رقم (1526) ولم يترجم له.
17) ابن الجزري، الترجمة رقم (441).

«أبو العباس الإقليشي، أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج اللخمي المقرئ» رحل ودخل العراق فقرأ على عمر بن ابرهيم الكتاني من أصحاب ابن مجاهد، وأخذ بمصر عن أبي الطيب عبد المنعم ابن غلبون وعن ابنه طاهر. وألف كتابا في معاني القرآن، وأقام بطليطلة يقرئ، وبها توفي سنة 410 هـ.[18 - 19]

☆ ☆ ☆

«ابن صميل الجياني، أبو عبد الله، محمد بن معافى بن صميل، قال الداني : قدم قرطبة سنة 388 وقرأ على خالي محمد بن يوسف ثم رحل إلى المشرق سنة تسع، وأتى أبا الطيب ابن غلبون بمصر وقرأ عليه برواية قالون عن نافع، وتوفي أبو الطيب - بمصر سنة 389 - فقرأ علي ابنه أبي الحسن طاهر، شيخنا، وحج وانصرف فأقرأ الناس في بلده، جيان، إلى أن أخرج في الفتنة فنزل مدينة طليطلة فأقرأ بها في سنة 402 ثم انتقل إلى سرقسطه فأقرأ بها إلى أن توفي سنة 410 هـ[20].

☆ ☆ ☆

«محمد بن سفيان، أبو عبد الله القيرواني الفقيه المالكي» صاحب كتاب (الهادي) أستاذ حاذق، تفقه على أبي الحسن القابسي وسمع منه، ورحل إلى مصر فقرأ على إسماعيل بن محمد المهري لورش، وعرض الروايات على أبي الطيب ابن غلبون، رحل إليه قبل سنة 380 وقرأ أيضا على كردم بن عبد الله بن أبي زياد ويعقوب بن سعيد الهواري، قرأ على يونس بن عبد الأعلى الصدفي، وعاد من مصر ولم يحج، وأقرأ بالقيروان وخرج للحج سنة 413 فحج وجاور بمكة، توفي بالمدينة المنورة سنة 415 هـ[21].

☆ ☆ ☆

«أحمد بن طريف، أبو بكر القرطبي، ابن الحطاب» مقرئ حاذق «رحل إلى مصر فقرأ على أبي الحسن الأنطاكي وعبد المنعم ابن غلبون وأبي أحمد السامري وعمر بن عراك. توفي بجزيرة ميورقة سنة 416 هـ عن 75 سنة[22].

☆ ☆ ☆

«أبو عمر الطلمنكي، أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب المعافري» الحافظ المقرئ الصدر، رحل إلى المشرق فقرأ بمصر على أبي الحسن الأنماطي وعمر بن عراك وعبد المنعم ابن غلبون ومحمد بن الحسين بن النعمان، وسمع الحروف من أبي بكر الادفوي، ورجع إلى الأندلس بعلم كثير. من مؤلفاته كتاب البيان في إعراب القرآن، وتفسيره (الروضة) قرأ عليه جلة من القراء. (340 - 429 هـ)[23].

☆ ☆ ☆

«أبو الفرج النجاد، محمد بن يوسف بن محمد القرطبي» المقرئ المتقن الحاذق، وهو خال الإمام أبي عمرو الداني. «قرأ عليه وقال فيه : أخذ القراءة عرضا عن أبي أحمد السامرى، المصري، وأبي الحسن علي بن بشر الأنطاكي، المصري، وغيرهما من أهل الضبط والإتقان. وروى القراءة عن أبي الفتح ابن بدهن بمصر. أقرأ الناس بقرطبة في مسجده بعد سنة 382 ثم خرج عنها في الفتنة واستوطن الثغر وأقرأ الناس به دهرا ثم انصرف إلى قرطبة وبها وفاته سنة 429 هـ ومولده بعد 350 بيسير[24].

☆ ☆ ☆

«مكي بن أبي طالب حموش، أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، المالكي» أستاذ القراء الصدر النبيل. ولد بالقيروان سنة 355 وحج فسمع بمكة من أحمد بن فراس، وبالقيروان من أبي محمد ابن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، وقرأ القراءات بمصر على أبي الطيب عبد المنعم ابن غلبون وابنه طاهر، وقراءة ورش علي أبي عدى عبد العزيز - ابن الإمام المصري - وسمع من أبي بكر

---

18 - 19) طبقات القراء لابن الجزري : الترجمة رقم 3476، 441.
20) طبقات القراء، الترجمة 441.
21) طبقات القراء لابن الجزري : الترجمة رقم 3038.
22) طبقات القراء لابن الجزري : الترجمةرقم 275.

23) طبقات القراء، الترجمة رقم 554، والمدارك : 32/8.
24) طبقات القراء، الترجمة رقم 3560.
25) طبقات القراء، الترجمة رقم 3560.

الادفوي في ترجمته، أنه سافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتردد إلى المؤدبين وأكمل بها القرآن ورجع إلى القيروان، ثم رحل فقرأ القراءات علي ابن غلبون سنة 376، ثم رحل وحج سنتي 382 ـ 387 وجاور ثلاثة أعوام، ودخل الأندلس سنة 93 وجلس للإقراء بجامع قرطبة وعظم اسمه وجل قدره، وولي خطابتها. من تآليفه : التبصرة في القراءات، والكشف عليه، والموجز في القراءات، وتفسيره الجليل، ومشكل إعراب القرآن.. توفي في ثاني المحرم سنة 437 بقرطبة.

☆ ☆ ☆

«خلف بن مروان التميمي، أبو القاسم القرطبي الوراق الدقاق نزيل أشبيلية». رحل فقرأ بمصر على أبي أحمد السامري عبد الله بن الحسين، وأبى بكر الادفوي. وعمر ستا وثمانين سنة، وبقي إلى قرب الأربعين وأربعمائة.[25]

☆ ☆ ☆

«أبو الربيع الطنجي، سليمان بن أحمد» المقرىء المعمر، رحل إلى مصر وبرع في القراءات، وقرأ مع أبى الطيب ابن غلبون، ورجع فأقرأ بالمرية دهرا طويلا، وزاد على المائة، مات قبل سنة 440، قرأ عليه الإمام أبو عبد الله التجيبي المغامى الطليطلي، محمد بن عيسى بن فرج.[26]

☆ ☆ ☆

«أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر، ابن الصيرفي القرطبي الأموي، مولاهم»، الإمام العلامة الصدر الرئيس شيخ مشايخ المقرئين، في ترجمته لنفسه، نقلها ابن الجزري، أنه رحل إلى المشرق في سنة 397 فدخل مصر في شوال منها، ومكث سنة ثم حج وعاد إلى الأندلس فتنقل بين قرطبة وسرقسطة، ثم استوطن دانيه من سنة 417 هـ، إلى وفاته بها سنة 444 هـ.

«وقد ذاع صيته علما وفضلا ونبلا، وكان فيما نقل عن خاصة أصحابه العلماء : «مجاب الدعوة مالكي المذهب، دينا ورعا سنيا» في مشيخته كثرة من قراء مصر، أثنى عليهم الثناء الجميل وذكرهم بغاية البر والوفاء والإكبار، منهم «أبو القاسم ابن خاقان المصري، خلف بن ابرهيم بن محمد بن جعفر» أخذ الداني عنه القراءات عرضاً وعليه اعتمد في (التيسير) في قراءة ورش. وقال عنه : كان ضابطا لقراءة ورش، متقنا لها مجودا، مشهورا بالفضل والنسك، واسع الرواية صادق اللهجة، كتبنا عنه الكثير من القراءات والحديث والفقه. توفي بمصر سنة 402 هـ وهو في عشر الثمانين.[27]

«أبو الفتح الحمصي الضرير، نزيل مصر، فارس بن أحمد بن موسى بن عمران» قال الداني : لم ألق مثله في حفظه وضبطه... كان حسن التأدية فهما بعلم صناعته، مع اتساع روايته وظهور نسكه وفضله وصدق لهجته، مولده بحمص سنة 333 هـ، وأرخ الداني وفاته بمصر سنة إحدى وأربعمائة. وأرخه الذهبي في سنة 402، وذكر له كتابه المنشأ في القراءات.[28]

«أبو مسلم الكاتب البغدادي، المقرىء الحاذق المعمر، عالي الإسناد. أخذ القراءات عن أبي بكر ابن مجاهد. وروى عنه (كتاب السبعة) له، وسمع من ابن دريد ونفطويه وأبي بكر ابن الأنباري وكان آخر من حدث عن ابن مجاهد قرأ عليه بمصر الحافظ عبد الغني بن سعيد، وتاج الأئمة أبو العباس أحمد بن علي بن هاشم المصري، مقرئها، وروى عنه الداني، سماعا (كتاب السبعة، لابن مجاهد) سماعه منه، ت سنة 399 هـ.[29]

26 ـ 27) طبقات القراء : 1233، 1370.

28) طبقات القراء، ترجمة رقم 1228 مع ترجمة الداني.

29) طبقات القراء، ترجمة رقم 2544، والعبر 80/3 وفيات 402.

«أبو عبد الله الجيزي، أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن محفوظ ـ 399 هـ» الفقيه القاضي المقرىء. روى القراءة عن أبي الفتح ابن بدهن، قراءة وعرضا، وعن أحمد بن ابرهيم بن محمد بن جامع، أبي العباس السكري المصري ـ عن بكر بن سهل الدمياطي عن عبد الصمد عن ورش ـ وآخرين. روى القراءة عنه أبو عمرو الداني، وقال : قرأت عليه، وشيخنا أبو الفتح ـ ابن خاقان ـ يسمع.[30]

«أبو الحسن ابن غلبون، طاهر بن أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله الحلبي نزيل مصر» المقرىء الأستاذ العارف الضابط المحرر الحجة، أخذ القراءة عرضا عن أبيه وسمع الحروف معه من شيوخ مصر والعراق. وله كتاب (التذكرة في القراءات الثمان) روى القراءات عنه عرضا وسماعا، أبو عمرو الداني وابرهيم بن ثابت الإقليشي وأحمد بن بابشاذ الجوهري وأبو الفضل عبد الرحمن الرازي وأبو عبد الله محمد بن أحمد القزويني. قال الداني : لم ير في وقته مثله في فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته، كتبنا عنه كثيرا، وتوفي بمصر لعشر مضين من شوال سنة 399 هـ.[31]

«أبو علي الأنطاكي، الحسن بن سليمان بن الخير النافعي» المقرىء الأستاذ المحقق» سكن مصر وقرأ بها على أبي الفتح ابن بدهن، وعليه يعتمد وعرض على أبي بكر الأدفوي.. ورحل واتسعت روايته، قال تلميذه الداني : وكان أحفظ أهل زمانه للقراءات والغرائب من الروايات والشاذ من الحروف، ومع ذلك يحفظ تفسيرا كثيرا ومعاني وإعرابا وعللا، ينص ذلك نصا بطلاقة لسان وحسن منطق لا يلحق..» قرأ عليه تاج الأئمة والداني وآخرون. قتله الحاكم العبيدي بمصر سنة 399 هـ.[32]

☆ ☆ ☆

«أبو علي المالكي، الحسن بن محمد بن ابراهيم البغدادي، مؤلف (الروضة) في القراءات الإحدى عشرة. قرأ على مشيخة الوقت، ونزل مصر فتصدر بها وصار شيخها. قرأ عليه الداني وأبو القاسم الهذلي وابراهيم بن اسماعيل بن غالب ومحمد بن شريح الرعيني الاشبيلي وعبد الله السقطى الصفاقسي، وروى (الروضة) أبو الحسن الصواف المصرى، على بن محمد بن حميد. توفي أبو علي المالكي في شهر رمضان سنة 438 هـ.[33]

في آخرين من حذاق القراء وعوالي المسندين بمصر.

وانتهت إلى أبي عمرو الداني الإمامة في القراءة، في المغرب والمشرق. وأخذ عنه جمع من المغاربة لا يحصون من أجلهم أبو داود سليمان بن نجاح الأندلسي، أخذ القراءات عنه ولازمه وسمع منه غالب مصنفاته وتصدر بعده (413 ـ 496 ببلنسية) وآخر من روى عن أبي عمرو الداني، أبو القاسم ابن أبي جمرة المرسي أحمد بن عبد الملك بن موسى ـ بقي إلى ما بعد الثلاثين وخمسمائة ـ روى (التيسير) عن الداني بالإجازة.

من مصنفاته الجليلة في القراءات والقراء : التيسير في القراءات السبع، وجامع البيان، وكتبه العمدة في قراءة ورش، والمقنع في رسم المصحف والمحكم في النقط، والمحتوى في القراءات الشواذ، والوقف والابتدا، والامالات، والمفردات، والراءات لورش، والتمهيد لاختلاف قراءة نافع، والتلخيص لأصول قراءته، والتحديد في الإتقان والتجويد، ومذاهب القراء في الهمزتين، والأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات، وكتاب طبقات القراء، «في أربعة أسفار، وهو عظيم في بابه» قاله ابن الجزرى، وإليه يئول في تراجم القراء من الطبقة الأولى، الصحابة رضي الله عنهم، إلى شيوخ الداني ومعاصريه.

30 ـ 31 ـ 32) طبقات القراء لابن الجزري :
التراجم (2756، 586، 1475) على التوالي.
33 ـ 34) طبقات القراء : 982، 1045 مع ترجمة أبي عمرو الداني.

وشرح الداني القصيدة الخاقانية في التجويد وهي من مرويات المغاربة عن أهل مصر[34] توفي الإمام أبو عمرو بدانية، في منتصف شوال سنة 444 هـ.[35]

☆ ☆ ☆

بأبي عمرو الداني،صارت الأندلس والمغرب دار قراءات وقرآن، وانتهت إليه الإمامة في القراءات وعلومها، وعمرت الآفاق بأصحابه وأصحابهم... فهم شيوخ الأجيال من القراء مغاربة ومشارقة.

تصدر للإقراء بعده في الأندلس : «أبو داود سليمان بن نجاح الأموي مولاهم، أجل أصحاب أبي عمرو» شيخ القراء وإمام الإقراء. أخذ القراءات عنه ولازمه طويلا، وسمع منه غالب مصنفاته، وألف كتاب البيان الجامع لعلوم القرآن في ثلثمائة جزء، وكتاب التبيين لهجاء التنزيل، وكتاب الاعتماد في أصول القراءة والديانة : أرجوزة في ثمانية عشر ألف بيت وأربعمائة وأربعين بيت. ورحل إليه الطلاب من الأندلس والمغرب، ومن أعيان تلاميذه الأئمة أبو الحسن ابن هذيل وأبو علي الصدفي وأبو الحسن ابن عظيمة الاشبيلي. وكُتُبُ أبي داود في القراءات، عمدة في بابها، مولده في سنة 413 وتوفي ببلنية في شهد رمضان 496 هـ.[36]

وتصدر للإقراء بعده، الأستاذ الإمام «أبو الحسن ابن هذيل البلنسي، علي بن محمد بن علي بن هذيل» ربيب الإمام أبي داود - زوج أمه - نشأ في حضنه وصحبه عمره وأكثر منه، وآلت إليه أصوله العتيقة، قال ابن الأبار : كان أبو الحسن ابن هذيل منقطع القرين في الفضل والدين والورع والزهد والإعراض عن الدنيا، أسن وعمر في الإقراء وهو آخر من حدث عن أبي داود وانتهت إليه رئاسة الإقراء عامة عمره، لعلو روايته وإمامته في التجويد والإتقان، حدث عنه جلة لا يحصون وروى العلم نحوا من ستين سنة.. ولد سنة 470 أو سنة 71، وتوفي في شهر رجب سنة 564 فتزاحم الناس على نعشه فكانوا يتعلقون بالسقف ليدركوه بأيديهم ثم يمسحون بها على وجوهكم تبركا[37].

من أعيان تلاميذه الإمام أبو القاسم الشاطبي شيخ القراء بالديار المصرية، وإمام الأئمة القراء ورحلة الآفاق.

تعجلت الوصول من الإمام الداني إلى الإمام الشاطبي، توطئة للحديث عن ظاهرة لاحت بوادرها في القرن الخامس، ورسخت وتأصلت في الإمام الشاطبي وطبتنه.

☆ ☆ ☆

من عصر الإمام الداني، القرن الخامس، ظهرت بوادر تحول في مسار حركة التواصل في رحاب القرآن بين المغرب الكبير، ومصر وما يليها من أقطار المشرق الإسلامي : تابع قراء مغاربة الرحلة إلى مصر، واتجه مصريون إلى الأندلس وكان من هؤلاء وهؤلاء، من يقرأون ويقرأ عليهم. ويحملون من هنا ومن هناك، علم الشيوخ الأئمة، ومصنفاتهم ومسموعاتهم. من أعيان المغاربة الذين رحلوا إلى مصر في القرن الخامس :

«خلف بن غصن الطائي، أبو سعيد القرطبي المقرىء الصدر»، قرأ بمصر على أبي الطيب ابن غلبون وعمر بن عراك، قرأ عليه أبو محمد ابن سهل المرسي مقرىء الأندلس في وقته..توفي خلف،بميورقة في المحرم سنة 417هـ *(1230)

☆ ☆ ☆

«خلف بن مروان التميمي، أبو القاسم القرطبي الوارق الدقاق، نزيل اشبيلية» قرأ بها على شيوخ الوقت، ورحل

35) القصيدة الخاقانية، لأبي مزاحم الخاقاني البغدادي، موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، المقرئ الإمام المجود المحدث الأصيل الثقة، كان إماما في قراءة الكسائي متضلعاً بها قرأ عليه عدد من الحذاق وقصيدته الرائية في التجويد، مشهورة عند أهل الصنعة توفي في ذي الحجة سنة 325 هـ وهو أول من صنف في التجويد.
(ابن الجزري 3689)
وانظر أسانيد أبي بكر ابن خير، للقصيدة الخاقانية، في فهرسته 72.

36) طبقات القراء لابن الجزري، ترجمة رقم 2091.
37) ابن الجزري، ترجمة (رقم 1392).
*) الأرقام مع النجمة * للتراجم في طبقات القراء.

فقرأ بمصر على أبي أحمد السامري وأبي بكر الادفوى عاش ستا وثمانين سنة، وبقي إلى قرب الأربعين وأربعمائة (1233)*.

☆ ☆ ☆

«ابن أبي الربيع الطنجي، أحمد بن سليمان بن أحمد، أبو جعفر» المقرىء الماهر الرحال، مسند القراء بالأندلس. قرأ بمصر على أبي أحمد السامري وأبي بكر الادفوى وعبد المنعم ابن غلبون. قرأ عليه أبو عمران اللخمي موسى بن سليمان، مقرىء المرية، وتوفي ابن أبي الربيع الطنجي بالمرية 446 هـ.[38]

☆ ☆ ☆

«أبو القاسم الخزرجي القرطبي، عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد» قرأ ببلده على أبي الحسن الأنطاكي المصرى نزيل الأندلس. ورحل إلى المشرق سنة 380 فحج أربع مرات وقرأ بمصر على الكبار أبي أحمد السامري، والادفوي وأبي الطيب ابن غلبون. له كتاب (القاصد) وأقرأ بالأندلس، تـ 446 هـ.[39]

☆ ☆ ☆

«محمد بن شريح بن أحمد بن محمد بن شريح الرعيني، أبو عبد الله الإشبيلي» الأستاذ المحقق، مؤلف (الكافي والتذكير) رحل سنة 433 فقرأ بمصر على أبي العباس ابن نفيس وتاج الأئمة أحمد بن علي بن هاشم، وقرأ على شيوخ مكة، ورجع من رحلته بعلم كثير. ولي خطابة اشبيلية وأقرأ بها. تلا عليه بالقراءات الثمان ابنه أبو الحسن شريح، من شيوخ أبي بكر ابن خير. وعيسى بن حزم الغافقي شيخ المرية، والد «اليسع بن عيسى بن حزم» من أعيان المغاربة الذين أقرأوا بمصر، توفي ابن شريح سنة 476 بإشبيلية، ومولده بها سنة 338 هـ.[40]

«ابن ذي النون العبسي، علي بن خلف بن ذي النون، أبو الحسن الاشبيلي ثم القرطبي» مقرىء أستاذ رحال. ولد سنة 417 ورحل إلى مصر وقرأ على أبي العباس أحمد ابن نفيس، وتصدر بجامع قرطبة، ومن تلاميذه اليسع ابن حزم، بالغ في تعظيمه في العلم والعمل. توفي سنة478.[41]

«ابن الإمام، أبو علي السرقطي، الحسين بن محمد بن مبشر الأنصاري» إمام حاذق مجود، قرأ على أبي عمرو الداني، ورحل فقرأ بمصر على الحسن بن محمد بن ابرهيم البغدادي، نزيل مصر، واسماعيل بن عمرو الحداد، تصدر للإقراء بسرقسطة بالجامع نحوا من أربعين سنة، قرأ عليه أبو علي الصدفي. توفي بعد 480 هـ.[42]

☆ ☆ ☆

«عبد الله بن سهل بن يوسف الأنصاري.

أبو محمد المرسي، مقرىء الأندلس» الأستاذ المصدر الإمام، قرأ بالأندلس على الأئمة أبي عمر الطلمنكي ومكي القيسي وأبي عمرو الداني، ولازمه ثمانية عشر عاما، وخلف بن غصن الطائي، ورحل فقرأ بمصر على عبد الجبار الطرسوسى وأصحاب أبي أحمد السامري، وقرأ على محمد بن سفيان القيرواني كتابه (الهادي) قال ابن الجزري بعد تسمية عدد من كبار شيوخه بالأندلس ومصر : وهؤلاء شيوخ ما نعلم أحدا جمع بينهم سواه». ونقل عن القاضي الشهيد أبي علي الصدفي، قال : هو إمام وقته في فنه لقيته بالمرية... وكان أبو محمد شديدا على أهل البدع قوالا بالحق مهيبا، جرت له في ذلك أخبار كثيرة وامتحن ولفظته البلاد، وغرّب... ودخل سبتة وأقرأ بها مدة، ثم خرج إلى طنجة، ثم رجع إلى الأندلس فمات، برندة سنة 480 هـ (1783)*.

---

38) ابن الجزري، ترجمة (رقم 2329) والنقل منه عن ابن الأبار.

39 ـ 40) طبقات القراء : ترجمة (رقم 250، 1561).

41 ـ 42 ـ 43 ) طبقات القراء : التراجم رقم (3062، 2216، 1144) على التوالي.

«ابن البياز، يحيى بن ابراهيم بن أبى زيد اللواتي، أبو الحسن المرسي» شيخ الأندلس ومصنف كتاب (النبذ النامية) قرأ بالأندلس على أبي عمرو الداني وأبي عمر الطلمنكي ومكي، وسمع الحروف بمصر على عبد الجبار الطرسوسي، وسمع كتاب التلقين من مؤلفه القاضي عبد الوهاب. وتصدر للإقراء، قرأ عليه أئمة، حتى اختلط بأخرة، مات بمرسية في المحرم سنة 496، وله تسعون سنة (3818)* .

☆ ☆ ☆

«يحيى بن خلف بن نفيس، أبو بكر الغرناطي، ابن الخلوف» إمام حاذق أستاذ. قرأ ببلده وبرع في القراءات، ورحل فقرأ على شيوخ بمصر وغيرها، وتصدر للإقراء بجامع غرناطة، وطال عمره وشاع ذكره وكان رأسا في القراءات عارفا بالتفسير متفننا ذا جلالة ووقار. مولده في سنة 466 وتوفي في آخر سنة 541 هـ (3836)*.

«محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي، أبو الحسن ابن عظيمة الاشبيلي»، الأستاذ النبيل. تلا بالروايات في الأندلس على أبي عبد الله السرقسطي وخازم بن محمد، وأبى داود سليمان بن نجاح صاحب الداني. ورحل فقرأ بمصر على أبى علي ابن بليمة المليلي القيرواني نزيل الاسكندرية، وأبى القاسم ابن الفحام الصقلي، نزيل الاسكندرية، وعاد. قرأ عليه ابنه طفيل، وأبو بكر ابن خير.

ونظم أرجوزة في القراءات واشتهر بالصدق والإتقان وحمل عنه الناس. توفي في صفر سنة 543 هـ (3117)*.

☆ ☆ ☆

«يحيى بن سعدون بن تمام، ضياء الدين أبو بكر الأزدي القرطبي. نزيل الموصل. ولد بقرطبة سنة 486 وقرأ بها القراءات على شيخها خلف بن ابراهيم، ورحل فقرأ بالمهدية على محمد بن سعيد الضرير وبالاسكندرية على أبى القاسم ابن الفحام الصقلي. وسمع بها وبحواضر المشرق، ونزل بالموصل وأقرأ بها. قرأ عليه القراءات شيوخ الموصل، وروى عنه الحافظان أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد السمعاني، وأبو الحسن القطيعي. توفي بالموصل يوم الفطر سنة 567 هـ (3844) *

☆ ☆ ☆

«علي بن أحمد محمد بن كوثر المحاربي، أبو الحسن ابن كوثر الغرناطي» الأستاذ الثقة المسند. رحل به أبوه فأخذ القراءات بمصر عن أبي العباس ابن الحطئة الفاسي ثم المصري، وأبو الفتوح ناصر الخطيب، الشريف الزيدي الحسيني، ناصر بن الحسن بن اسماعيل بن زيد، شيخ الديار المصرية ومقرئها الخطيب. وسمع ابن كوثر جامع الترمذي من الكروخي، وأكثر من الحافظ أبي طاهر السلفي الاسكندري، مسند الدنيا. وقرأ بمكة على نزيليها أبى الحسن على بن خلف بن رضاء البلنسي الضرير، والحسن بن عبد الله بن عمر، أبي علي القيرواني ابن العرجاء، وهو آخر من قرأ عليه.

ورجع أبو الحسن ابن كوثر إلى الأندلس فتصدر للإقراء والرواية، وصنف وكتب وبعد صيته وانتفع به الناس، قرأ عليه عبد الله بن محمد بن خلف، أبو محمد القشيري الغرناطي، وعبد الله بن محمدالكواب، ويوسف بن يحيى، بن عبد الله، بن بقاء اللخمي، أبو الحجاج الغرناطي شيخ القراء ورأس المجودين.

توفي ابن كوثر بغرناطة، في شهر ربيع الآخر سنة 589 هـ (2165)*.

☆ ☆ ☆

«محمد بن عبد الرحمن بن إقبال، أبو عبد الله المريني المغربي، المقرىء المعمر». ولد سنة 499 ونزل قوص، بصعيد مصر الأوسط، وأقرأ بها القراءات، قرأ على الخضر بن عبد الرحمن، أبي عمرو القيسي، قال الشهاب القوصي : قرأت عليه القرآن بها، وسمعت منه التيسير، بلغ مائة سنة، ومات بقوص سنة إحدى وستمائة (3102)*.

«محمد بن محمد بن وضاح اللخمي الأندلسي، أبو بكر الشقرى» خطيبها الإمام، رحال مصدر. أجازه أبو الحسن ابن هذيل وسمع منه (التيسير) وأخذ القراءات عن أبيه أبي القاسم محمد بن وضاح اللخمي، ثم حج سنة ثمانين وخمسمائة فقرأ

الشاطبية على ناظمها الإمام أبي القاسم. ثم رجع إلى الأندلس فكان هو الذي أدخل الشاطبية إلى بلاد المغرب والأندلس. رواها عنه سنة 631 «ابن رحيمة، محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي»، خطيب بجاية وشيخها وأعلى الناس إسنادا بالشاطبية هناك - رواها عنه الحافظان أبوا عبد الله ابن الأبار، وابن رشيد السبتي - ورواها عن أبي بكر الشقري، ابن أبي الأحوص، الحسين بن عبد العزيز بن محمد الفهري، أبو علي الجياني قاضي المرية ومالقة ومن أجل شيوخ أبي حيان - وهو الذي أدخل كتابه (الترشيد في التجويد) القاهرة - والحافظ أبو بكر ابن مسدى. وتصدر بعد أبيه للإقراء ببلده، إلى وفاته في صفر سنة 634 وله خمس وسبعون سنة (3450) *

☆ ☆ ☆

ورحل إلى الأندلس، من قراء مصر، في القرن الخامس «تاج الأئمة، أبو العباس المصري أحمد بن علي بن هاشم» من أقران أبي عمرو الداني وشاركه في شيوخه المصريين، ودخل بغداد فقرأ على أبي الحسن ابن الحمامي. ثم رحل إلى الأندلس سنة 420 فأخذ عنه أبو عمر الطلمنكي، مع كبره، ومحمد بن شريح، في آخرين من الأندلسيين. وعاد إلى مصر، وبها وفاته سنة 445 هـ.)[43]

وفي ذلك الوقت، كان «أبو القاسم الهذلي يوسف بن علي بن جبارة المقرىء بالنظامية بنيسابور» قد وصل إلى الأندلس في تجواله بأقطار المشرق والمغرب، يلقى شيوخ القراءات ويجمعها لكتابه (الكامل) فلقى بالأندلس تاج الأئمة أبا العباس المصري وأخذ عنه وعن الشيوخ المغاربة، وأخرج كتابه (الكامل) قال فيه : فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة، يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمت أحدا تقدم عليّ في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لقصدته». وكانت رحلته في سنة 425 وما بعدها. وقد ذكر شيوخه الذين أخذ عنهم القراءات في كتابه، وعدتهم مائة واثنان وعشرون شيخا نقلهم ابن الجزري من (الكامل)، مرتبين على عادته، مع أسماء بلدانهم، توفي أبو القاسم الهذلي سنة 465 هـ.[44]

☆ ☆ ☆

ولم تتصل الرحلة إلى الأندلس، فقد تهاوت قلاعها مؤذنة بكارثة السقوط.. وأخذ التواصل بين مصر والمغرب، في رحاب القرآن - مثلما أخذ في سائر علوم الإسلام والعربية - حركة هجرة لعلماء مغاربة إلى مصر، وليست رحلة طلاب علم مرجوة الإياب.

ظاهر النزوح لم تقع فجأة، ولا كانت هجرة جماعية لعلماء المغرب الكبير وقرائه، فمن القرن الخامس، نزح عدد من أصحاب الداني وطبقتهم، نزل أكثرهم بمصر وأقرأوا بها - ومنهم من نزل بمكة والمدينة، أو بالشام - ومعهم ما حملوا من شيوخ المغرب الأئمة. ثم كثر النازحون بالتدريج، مع تساقط الحواضر الإسلامية بالأندلس، وفيهم بقية من أصحاب أبي عمرو الداني وجلة أصحابهم، أخذوا أماكنهم المرموقة مع أقرانهم من أهل مصر، في مقارىء الكنانة وجوامعها ومساجدها ومدارسها وربطها، قد توثقت بينهم أواصر النسب والمودة في القربى، وإلى كثير منهم آلت الإمامة في الإقراء وعلوم القرآن، ومن علا إسناده في شيوخه المغاربة، ورُحِلَ إليهم بمصر من الآفاق.

من أعيانهم القراء في القرنين الخامس والسادس ولا أتقصاهم :

44) ـ ابن الجزري، ترجمة رقم (403)، والعبر 208/3.

ـ «أبو إسحاق الإقليشي المقرئ، نزيل مصر» قرأ بها على طاهر ابن غلبون وعبد الجبار الطرسوسي، وأقرأ بها، توفي سنة 432 هـ (29) *

☆ ☆ ☆

«اسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران، أبو طاهر الأنصاري الأندلسي ثم المصري» مؤلف كتاب العنوان والاكتفاء، ومختصر كتاب الحجة في القراءات، لأبي علي الفارسي.

إمام عالم، أقرأ بجامع عمرو ابن العاص بمصر. من أجل أصحابه المصريين أبو الحسن يحيى بن علي الحشاب، وعنه انتشرت طريقته، توفي بمصر سنة 455 هـ (763) * .

☆ ☆ ☆

«أبو علي ابن بليمة، الحسن بن خلف بن عبد الله بن سليمة المليلي القيرواني، نزيل الاسكندرية، ومؤلف كتاب تلخيص العبارات بتصنيف الإشارات» قرأ بالقيروان على إمام جامعها أبي بكر القصري، وشيوخ الطبقة، وبمكة على أبي معشر الطبري من أصحاب ابن نفيس، وبمصر على «أحمد ابن نفيس»[45] برواية ورش من طريق الأزرق، ورواية الدوري عن اليزيدي. قرأ عليه بالاسكندرية أعيان الأندلسيين : أبو العباس ابن الحطئة وأبو القاسم بن خلف الله المالكي ـ ونزلا بالاسكندرية ـ وأبو الحسن ابن عظيمة ويحيى بن سعدون القرطبي.

توفي ابن بليمة بالاسكندرية سنة 514 هـ (970) *

☆ ☆ ☆

«أبو القاسم ابن الفحام الصقلي، شيخ الإسكندرية عبد الرحمن بن عتيق بن خلف».

الأستاذ المحقق الثقة، مؤلف كتاب (التجريد) انتهت إليه رئاسة الاقراء بالثغر علوا ومعرفة قرأ الروايات على ابرهيم بن اسماعيل المالكي ـ ابن الخياط المصري، راوي الروضة عن مؤلفها أبي علي الحسن بن محمد البغدادي نزيل مصر ـ وأبي العباسي ابن نفيس وتاج الأئمة، وشيوخ الصنعة تلا عليه بالروايات الشيخ أبو العباس ابن الحطئة الفاسي ـ يأتي فيمن نزلوا بمصر ـ والحافظ أبو طاهر السلفي وأبو الحسن ابن عظيمة ويحيى بن سعدون أبو بكر القرطبي. كتابه (التجريد) في القراءات معروف لأهل الصنعة. تردد في مولده : سنة 422، أو 425 وتوفي بالثغر في ذي القعدة سنة 516 هـ (1590) *

☆ ☆ ☆

«محمد بن عمر بن مالك بن جعونة المعافري، أبو عبد الله **الفاسي** نزيل الاسكندرية» مقرىء مصدر عارف، تلا بالسبع على أبي محمد ابن الزقاق، قاسم بن محمد بن مبارك، شيخ فاس، ومن أصحاب شريح. وسمع الموطأ بفاس عن أبي عبد الله ابن الرمامة، وبالإسكندرية من أبي طاهر ابن عوف الزهري، سمع منه أبو بكر ابن مسدي وابن القلال الجزائري توفي بالاسكندرية سنة 574 هـ (3319) *

☆ ☆ ☆

«اليسع بن عيسى بن حزم الغافقي، أبو يحيى الغرناطي الجياني نزيل مصر» المقرىء الحاذق الإمام الجليل الصدد النبيل. قرأ ببلده على والده أبي الأصبغ عيسى، وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، ثم رحل وسكن الاسكندرية فأقرأ بها، ثم دخل مصر فأقرأ بها، وأقبل عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي وعرف له أنه كان أول من تجاسر وخطب بمصر على منابر العبيديين للدعوة العباسية. «وكان فيها مشاورا حافظا نسابة من أبدع الناس حظا ونثرا ونظما. من أعيان تلاميذه أبو القاسم الصفراوي وجعفر الهمداني وابن المفضل المقدسي، تصدروا بالثغر، وأبو الجود غياث بن فارس المصري، شيخ مشايخ مصر : العلم السخاوي وعبد الظاهر ابن نشوان وأبي عمرو ابن الحاجب وعلي بن شجاع الضرير، وأبي الطاهر المليجي آخر أصحابه. توفي اليسع سنة 575 بمصر (3887) *

---

45) أحمد بن سعيد بن أحمد، أبو العباس ابن نفيس المصري الإمام، شيخ الإقراء. انتهى إليه علو الإسناد قرأ على أبي أحمد السامري وأبي عدي ابن الإمام، صاحب أبي بكر بن سيف، وعلى أبي الطيب ابن غلبون قرأن عليه أبو معشر الطبري وأبو القاسم الهذلي وابن الفحام الصقلي وابن بليمة ومحمد بن شريح وعبد الوهاب بن محمد، أبو القاسم القرطبي صاحب كتاب المفتاح في القراءات، ومحمد بن عتيق ومحمد بن أبي بكر القيروانيان توفي سنة 450 أو نحوها. وقارب المائة.

«عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن نفيس الحميري، أبو الطيب ابن الخلوف الغرناطي» إمام القراءة الأستاذ المجود، أخذ القراءات عن والده أبي بكر - وله أيضا رحلة ومشيخة في مصر - وعلى أبي الحسن ابن هذيل، ومشيخة الأندلس، ونزل مراكش فأقرأ بها مدة، ثم نزل الاسكندرية فقرأ عليه أبو القاسم الصفراوي صاحب المدرسة القرآنية المشهورة بالثغر. ثم حج وتجول في بلاد المشرق. توفي سنة 586 هـ (994) • .

☆ ☆ ☆

بعد هذه الطبقة، آلت الرياسة في القراءات، في الدنيا إلى الإمام أبي القاسم - وأبي محمد، الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف الرعيني الضرير، ولي الله الإمام الصدر الرئيس النبيل، ولد بشاطبة سنة 538 هـ وقرأ بها القراءات وأتقنها علي أبي عبد الله النفزى محمد بن أبي العاص، وسافر إلى بلنسية فعرض (التيسير) من حفظه، والقراءات على أبي الحسن ابن هذيل، وأخذ عن شيوخ الأندلس والمغرب، الكتب الكبار في العربية والتفسير والقراءات، ومنهم أبو الحسن ابن النعمة.[46]

وأبو القاسم ابن حبيش، صاحب عبد الحق بن عطية وراوي كتابه (المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز) رواه عنه الشاطبي، ثم رحل للحج فسمع من الحافظ أبي طاهر السلفى. ودخل مصر فاحتفل به أهلها، وأنزله القاضي الفاضل، عبد الرحيم البيساني، في مدرسته الفاضلية بالقاهرة وولاه مشيختها. ونظم بها قصيدتيه اللامية والرائية فقصده الخلائق من الأقطار. واشتهرت مناقبه ومآثره، وكان آية في الذكاء غاية في العلم والحفظ زاهدا ورعا قانتا لله، معظما عند العامة والخاصة ورزقت لاميته (حرز الأماني، وهي الشاطبية) من الشهرة والقبول ما لا يعلم لكتاب غيرها في القراءات، وتنافس الناس في اقتناء النسخ الصحاح منها في حياته وبعد وفاته..

توفي بالمدرسة الفاضلية وهو على مشيختها في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة 590 هـ ودفن بالقرافة، بمقبرة القاضي الفاضل، قال شمس الدين ابن الجزري : «وقبره مشهور معروف يقصد للزيارة وقد زرته مرات وعرض عليّ بعض أصحابه الشاطبية عند قبره ورأيت بركة الدعاء عند قبره بالإجابة، رحمه الله ورضي عنه». وحكى في ترجمته، بعض ما اشتهر من «مناقب له ومكاشفات عزيزة نادرة، وقال : «وقد بارك الله له في تصنيفه وأصحابه فلا نعلم أحدا أخذ عنه إلا قد أنجب» (2600)*.

مع التكملة للمنذري، وتاريخ الاسلام والعبر وحسن المحاضرة.

☆ ☆ ☆

وملأ أصحابه الدنيا، وتوالت الطبقات من أصحابهم، تصدروا للإقراء بمصر والحواضر الإسلامية، طبقة بعد طبقة.

في الطبقة الأولى من جلة أصحابه :

«غياث بن فارس المنذري، أبو الجود اللخمي المصري الضرير» : إمام كامل أستاذ ثقة، قرأ الكتب الكبار ومنها التيسير، قرأه على أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم، قرأ عليه أقرانه المشايخ الكبار الأئمة، أبو الحسن السخاوي وعبد الظاهر ابن نشوان والمنتجب الهمذاني أبو يوسف بن أبي العز - له شرح للشاطبية، ومفصل الزمخشري، وكتاب في إعراب القرآن - وأبو عمرو ابن الحاجب وعلي بن شجاع الضرير - وهم ممن قرأوا على الإمام الشاطبي - وأبو الطاهر المليجي آخر أصحاب أبي الجود وفاة. انتهت إلى أبي

46) البلنسي، خطيبها ومقرئها الإمام، خاتم العلماء بشرق الأندلس - 567 هـ - وصاحب (رى الظمآن في تفسير القرآن، وكتاب الإمعان في شرح سنن النسائي أبي عبد الرحمن) روى عنه الشاطبي (شرح الهداية للمهداوي) عن ابن عتاب عن غانم بن الوليد عن المصنف (2256*).

الجود مشيخه الإقراء بالديار المصرية وتصدر من شبيبته، وكان مقرئا إماما نحويا فرضيا أديبا عروضيا، دينا نبيلا تام المروءة. تصدر بالجامع العتيق، ثم بالمدرسة الفاضلية بعد الشاطبي، إلى وفاته في التاسع من شهر رمضان سنة 605 هـ (2542) * .

☆ ☆ ☆

«السديد، أبو القاسم وأبو الروح عيسى بن أبي الحزم مكي بن حسين العامري المصري الشافعي إمام الجامع الحاكمي، ومن شيوخ يعقوب الجرائدي والموفق النصيبي والفخر التوزري، روى عنه الشاطبية، وأبو بكر ابن الصواف محمد بن عبد الله بن عبد المنعم المصري إمام الجامع العتيق.. ولد السديد العامري قبل 570 ومات في شوال سنة 649 هـ (2505) * .

☆ ☆ ☆

«علي بن محمد بن عبد الصمد، علم الدين أبو الحسن السخاوي» الإمام الكبير، أجل أصحاب الشاطبي وأشهر شراح قصيدتيه : حرز الأماني اللامية، في (فتح الوصيد) وعقيلة الأتراب الرائية، في (الوسيلة في شرح العقيلة) ومن مصنفاته (جمال القراء وكمال الإقراء، والمفضل في شرح المفصل، والقصائد السبع النبوية، شرحها أبو شامة المقدسي وهو من أصحابه. ومنهم ابن مالك، أبو عبد الله الطائي الجياني، نزيل دمشق، إمام العربية، وأبو الفتح الأنصاري محمد بن علي، والتقى يعقوب الجرائدي والنظام التبريزي.. في كثرة لا يحصون عدا.

أقرأ السخاوي الناس نيفا وأربعين سنة، وقصده الطلبة من الآفاق «وازدحموا عليه وتنافسوا في الأخذ منه، فلا يعلم أحد من القراء في الدنيا أكثر أصحابا منه» قالها الذهبي. وكان السخاوي إماما علامة محققا مجودا بصيرا بالقراءات وعللها، أستاذا في النحو واللغة والتفسير والأدب، متقنا هذه العلوم إتقانا بليغا قل في عصره من يلحقه فيها، مفتيا أصوليا مناظرا ـ على مذهب الشافعي ـ دينا خيرا متواضعا حلو المحاضرة حاد القريحة من أذكياء بني آدم، وافر الحرمة كبير القدر لا يشك في ولايته». مولده سنة 558 هـ بسخا، من عمل مصر، وتوفي في جمادي الآخرة سنة 643 بدمشق (2318) *

مع تاريخ الإسلام، والعبر، ووفيات الأعيان، وحسن المحاضرة.

☆ ☆ ☆

و«ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو المصري المالكي، عثمان بن عمر بن الحاجب» الفقيه الأصولي الإمام المقرىء النحوي العلامة. مولده سنة 570 ـ أو 71 ـ بإسنا من صعيد مصر وحفظ القرآن وقرأ علي الشاطبي وسمع منه (التيسير، والشاطبية) وجلس بعده بالفاضلية وقصده الطلبة من الآفاق. وكان متبحرا في فقه المذهب مناظرا أصوليا، مبرزا في النحو والصرف. غلب عليه الظهور في الفقه والعربية بمختصريه الجليلين. توفي بالأسكندرية فيشوا لسنة 646 هـ (2104) * .

«علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي، الإمام أبو الحسن ابن الحميري المصري الشافعي، الخطيب المقرئ المسند، مولده بمصره سنة 557 قرأ وسمع على شيوخ مصر والأسكندرية ودمشق وبغداد وقرأ على الإمام الشاطبي جميع الشاطبية وعدة ختمات. وأقرأ ودرس وأفتي، روى عنه الشاطبية الفخر التوزري، وتوفي في ذي الحجة سنة 649 هـ وقد جاور التعين، فانقطع بموته إسناد عال .*(2366)

☆ ☆ ☆

«الكمال الضرير، على بن شجاع بن سالم المصري» صهر الإمام الشاطبي ـ تزوج ابنة شيخه بعد وفاته ـ وشيخ الإقراء بالديار المصرية، قرأ عليه السبع في تسع عشرة ختمة، ثم قرأ عليه بالجمع للسبعة وروايتهم الأربعة عشرة، وتوفي الشيخ الإمام وقد انتهى الكمال إلى سورة الأحقاف، وسمع منه التيسير وقرأ عليه الشاطبية، وسمعها عليه دروسا كما قرأ وأخذ عن جلة أصحاب الشاطبي الكبار. وتصدر،

وكان تام المروءة وافر المحاسن نبيل السجايا، ازدحم عليه القراء وسمع منه وقرأ عليه الحفاظ الأعلام والقراء الأئمة : الشرف الدمياطي والبهاء ابن النحاس شيخ العربية، والشيخ حسن بن عبد الله الراشدي والتقى الصائغ وأبو إسحاق الوزير المصري. مولده بمصر في شعبان 572 وتوفي بها في ذي الحجة 661 هـ (2331) *

☆ ☆ ☆

«محمد بن الإمام القاسم بن فيره، جمال الدين أبو عبد الله الشاطبي، روى حرز الأماني عن أبيه، سماعا إلى (سورة ص) وإجازة للباقي. رواها عنه أبو بكر ابن الصواف المصري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، وأبو عبد الله الجرايدي محمد بن يعقوب بن بدران نزيل القدس. فعاش الجمال الشاطبي نحو ثمانين سنة، بقى إلى سنة 655 هـ (3371) *

☆ ☆ ☆

ومن أعيان الشيوخ القراء بمصر، من الأندلسيين والمغاربة، في القرن السابع :

«أبو القاسم الشريشي الإسكندري، عيسى بن أبي محمد عبد العزيز بن عيسى اللخمي المالكي، المقرىء المشهور. في مشيخته كثرة من المصريين، جمع قراءاتهم في كتابه (الجامع الأكبر والبحر الأزخر) اختصره صاحبه المقرىء الإمام عبد البارى الصعيدي الأسكندري. ونقل شمس الدين ابن الجزري أقوال الأئمة فيه، وعقب عليها بقوله : «وفي الجملة، فكتابه الذي جمعه في هذا الفن وسماه الجامع الأكبر، لم يجمع مثله في هذا الفن، فإنه لم يترك من القراءات شيئا قل ولا جلّ إلا نادرا، من رآه رأى العجب. أخبرني شيخنا العلامة سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني أن عنده له نسخة كاملة. وممن قرأ عليه : الإمام أبو عبد الله الفاسي إمام الإقراء بفاس، وتوفي مثله سنة 614 هـ - والحافظ أبو بكر ابن مسدي، وأحمد بن عبد البارى الصعيدي وأخوه عبد الكريم من شيوخ الإقراء بالاسكندرية والرشيد أبو بكر ابن أبي الدر، ويعقوب بن بدران الجرائدي.. وحدث عنه الحافظان ابن النجار والزكى المنذرى.. وروى عنه كثيرا من كتب القراءات سبط زيادة، توفي بالاسكندرية في جمادى الآخرة سنة 629 هـ (2492) مع العبر وحسن المحاضرة.

☆ ☆ ☆

«ابن وثيق، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن وثيق أبو القاسم الاشبيلي نزيل الاسكندرية» الإمام المجود المحقق، الصدر النبيل. قرأ على شيوخ الأندلس والمغرب، وحدث بالتيسير عن أبي عبد الله ابن زرقون، إجازة عن أحمد بن محمد الخولاني إجازة، عن أبي عمرو الداني. وحدث بالروضة عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح عن أبيه عن المؤلف أبي علي البغدادي المالكي نزيل مصر، وأكثر من أصحاب شريح، وطاف بالبلاد وأقرأ بالشام والموصل ومصر، والاسكندرية - وبها مدرسته - قرأ عليه الفخر التوزري والمكين الأسمر، عبد الله بن منصور، وعبد الكريم بن عبد البارى الصعيدي الاسكندري. مولده باشبيلية سنة 567 ووفاته بالاسكندرية في شهر ربيع الآخر سنة 654 هـ (101) *

☆ ☆ ☆

«أحمد بن علي بن محمد بن علي بن شكر، أبو العباس الأندلسي، نزيل الفيوم من صعيد مصر» قرأ على جعفر بن علي الهمذاني بالاسكندرية، وشرح الشاطبية واختصر التيسير، وكان عارفا حاذقا ضابطا. توفي في حدود 640 هـ (394) *

«محمد بن محمد بن عبد العزيز التجيبي المغربي، نزيل الصعيد، المقرىء الحاذق، قرأ على شيوخ المغرب وشاطبة وبلنسية. ورحل فقرأ بدمشق على علي بن المبارك وأقرأ بالصعيد، رحل إليه ابرهيم بن إسحاق الوزيرى فقرأ عليه الروايات وسمع منه التيسير سنة بضع وخمسين وستمائة. (3417) *

☆ ☆ ☆

«علي بن عبد الله بن أبى بكر الطيب، زين الدين أبـو الحسن ابن القـلال، نـزيـل مصر» إمـام حاذق، قرأ على الصفراوي بالاسكندرية، وتلا السبع وعرض التيسير على محمد بن عمر (أبى) عبد الله المعافري الفاسي نزيل الاسكندرية، وعبد الظاهر بن نشوان بمصر. وألف كتاب (جلاء الأبصار) في القراءات، وتصدر ورحل إليه وحمل عنه. سمع منه كتاب التيسير بالقاهرة سنة 668 هـ (2254).

☆ ☆ ☆

«محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجي، أبو عبد الله القرطبي المالكي، نزيل منية خصيب بصعيد مصر». الفقيه الأصولي المقرىء المفسر الإمام. تفقه بالأندلس على شيوخ المغرب وتلا بالقراءات على الأئمة، ثم رحل فحج، وسكن منية خصيب، فبوركت به، صنف كتابه الجليل (الجامع لأحكام القرآن) طبعته دار الكتب المصرية طبعة محققة متقنة في عشرين مجلدا، انتفع به الناس.

توفى أبو عبد الله القرطبي بمنية خصيب سنة 671 هـ. (حسن المحاضرة، وكشف الظنون).

☆ ☆ ☆

«عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس، زين الدين أبو محمد الزواوي المالكي» الفقيه القاضي المقرىء الإمام. ولد بباجة سنة 589 أو قبلها، وقدم مصر وهو شاب فقرأ بالاسكندرية على أبي القاسم الشريشي بالروايات، وقرأ العنوان والتذكرة بمصر على أبي العز ابن عبد الخالق، ثم قدم دمشق سنة 617 فقرأ القراءات على أبي الحسن السخاوي، وباشر مشيخة الإقراء الكبرى بالتربة الصالحة، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالشام، وهو أول من ولي قضاء المالكية بدمشق بعد أن صارت القضاة أربعة، وألف كتابا في عدد الآى، وكتاب التنبيهات على ما يخفى من الوقوفات. توفى بدمشق في شهر رجب 681 هـ عن اثنتين وتسعين سنة، وقبره مشهور مزار (1649) *

☆ ☆ ☆

«محمد بن علي من يوسف بن محمد بن يوسف الأنصاري، رضي الدين أبو عبد الله الشاطبي، نزيل مصر وإمام العربية بها والمقرىء المصدَّر الأستاذ. ولد ببلنسية سنة 601 هـ وقرأ بها لورش، على محمد بن أحمد، بن مسعود، أبي عبد الله الأزدي الشاطبي، ابن صاحب الصلاة، وآخر أصحاب أبي الحسن ابن هذيل، وسمع (التيسير) منه ومن محمد بن أحمد بن سلمون، وسمع تلخيص الداني في رواية ورش من ابن صاحب الصلاة، وسمع تلخيص أبي معشر الطبرى من أبي الربيع ابن سالم الكلاعي. وقدم مصر مليئا، فسمع من شيوخها وتصدر للإقراء بها، وعلم العربية وكان إمام اللغة غير مدافع. روى القراءة عنه الإمام الصدر الرئيس أثير الدين أبو حيان الغرناطي ثم المصري، إمامها، وأبو عبد الله السلمي الدمشقي، القصاع، شيخ الإقراء بالتربة الأشرفية ومصنف كتابي (الاستبصار، والمغني) حرر فيها أسانيد القراءات وطرقها. وحدث عن الرضي الشاطبي، الحفاظ الأئمة : مسعود الحارثي وأبو الحجاج المزى وأبو الحسين اليونيني وأبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري، توفي رضى الدين بالقاهرة نحو ثاني عشرى جمادى الأولى سنة 684 هـ. وكان آخر من روى (التيسير) بمصر، عاليا (3293) *

☆ ☆ ☆

«الحسن بن عبد الله بن ويحيان، أبو علي الراشدي التلمساني، نزيل مصر، إمام محقق عارف، قرأ على الكمال الضرير، وروى الشاطبية عنه وعن أبى جعفر ابن الأزرق، هبة الله بن محمد بن عبد الوارث قارىء مصحف الذهب - روايتهما على الإمام الشاطبي.. وكان ثقة مأمونا عارفا بالقصيد بصيرا بالأسانيد، قرأ عليه الشيوخ : المجد أبو بكر بن قاسم التونسي، والشهاب أحمد بن جبارة الحنبلي، ومحمد بن يوسف الغماري توفي سنة 685 هـ (994) *

☆ ☆ ☆

وفي هذه الطبقة، شيوخ أبي حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، ثم المصري، مفخرتها وعزها وإمامها، مولده بغرناطة، آخر حاضرة إسلامية بالأندلس.

في شوال سنة 654 هـ. وقرأ بها، بالسبع على بقية شيوخها، عبد الحق بن علي الأنصاري، وأحمد بن علي بن الطباع، وأبي جعفر ابن الزبير، وأبي علي ابن أبي الأحوص، وقرأ لنافع برواية ورش، ثم برواية قالون، على اليسر بن عبد الله بن محمد القشيري، من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد بن ابرهيم السبتي وقدم مصر مليئا بما حمل من علم المغاربة، فقرأ بالثمان على عبد النصير المربوطي بثغر الاسكندرية، وبرواية ورش والقراءات السبع على أبي الطاهر المليجي آخر أصحاب أبي الجود، وقرأ (الإرشاد، لأبي العز) على يعقوب بن بدران الجرائدى، وخليل بن عثمان المراغي صفى الدين المصري. وفي شيوخه كثرة، ذكر علماء العربية والقرآن منهم، في خطبة تفسيره الجليل (البحر المحيط) وتصدر بمصر للتفسير الإقراء وذاع علمه وفضله ورُحل إليه من الآفاق، وتخرج به أئمة، وتداول الشيوخ مصنفاته في القراءات والتفسير والنحو. توفي بالقاهرة سنة 745 هـ (3555) * .

☆ ☆ ☆

عمرت الكنانة، وبوركت، بهؤلاء الأئمة وأصحابهم من مشايخ القراء وعلماء القرآن، موصولي النسب بالإمام الشاطبي نزيل القاهرة وإمامها البركة، عن شيخه أبي عمرو الداني، فما من مقرىء من مشايخ مصر حتى اليوم، لا يتصل سنده بأبي عمرو الداني، «عثمان بن سعيد الأندلسي» عن شيوخه المصريين، عن شيوخهم أصحاب عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم، أبي الأزهر المصري، وأبي يعقوب الأزرق المصري، روايتهما عن الإمام «ورش : عثمان بن سعيد المصري» عن الإمام نافع رضي الله عنهم جميعا.

هكذا شاء الله تعالى، أن يبدأ التواصل الحميم في رحاب القرآن بين مصر والمغرب، في مرحلته الأولى بعثمان بن سعيد، أبي عمرو الداني، لتبدأ مرحلة جديدة بتلاميذه وأصحابهم، في مقارىء الكنانة.

☆ ☆ ☆

وبعد فما تعلق القصد في هذه العجالة بتقصي أئمة القراء وعلماء القرآن الواصلين بين مصر والمغرب من عصر الفتح إلى اليوم، بل كان همي بيان المراحل لهذا التواصل الحميم في رحاب القرآن الكريم، مع عدد من أعلام كل مرحلة، ممن حملوا المنار الهادي، ما بين الكنانة والمغرب الأقصى والأندلس.

والمجال الموضوعي للبحث رحب، يتسع لعرض ما حمل الرحالة المغاربة في المرحلة الأولى من مرويات شيوخ مصر ومصنفاتهم المبكرة في القراءات والتجويد والتفسير ومعاني القرآن وإعرابه وناسخه ومنسوخه، ثم ما حملوه معهم في نزوحهم إلى مصر، من أصول عتيقة ومصنفات جليلة للعلماء المغاربة.

كما يتسع لتجريد ما كان للشيوخ المغاربة من منزلة عزيزة رفيعة عند أهل الكنانة، وما تنوقل من كراماتهم ومناقبهم المعبرة أصدق تعبير عن محض الإجلال لحملة الكتاب الكريم، إلى جانب مناصبهم العلمية الجليلة في مشيخة الإقراء والتفسير والعربية، في جوامع مصر العتيقة والطارفة، وفي مدارسها الكبرى.

على رجاء أن أنجز هذه الدراسة بمشيئة الله تعالى وعونه، أتلو قوله عز وجل :

**﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾.**

صدق الله العظيم

من التراث العلمي في الغرب الإسلامي

# رسالتان في علم المساحة لابن الرقام وابن البناء

للأستاذ محمد العربي الخطابي

تقديم :

قدمت في عددين سابقين من «دعوة الحق»[1] بحثا عن آلة «الصفيحة الجامعة» التي اخترعها أبو اسحق إبراهيم ابن يحيى النقّاش الشهير بابن الزرقالة (493 هـ/1100م)، مع تعريف بهذه الآلة الرصدية الفلكية، ثم أعقبت ذلك بنشر رسالة غميسة لأبي العباس أحمد الأزدي المراكشي الشهير بابن البنا العددي (721 هـ/1321م)، في موضوع الصفيحة «الجامعة»، بعد أن حققت نصّها وقدمت له، وترجمت المؤلف ترجمة وافية، وذكرت مؤلفاته في الرياضيات والفلك.

وقد يسّر الله لي أن أحقق نصين آخرين، أحدهما : لأبي عبد الله ابن الرقّام، والآخر لابن البنا نفسه، وموضوع الرسالتين معا : «علم التكسير».

وعلم التكسير : فرع من فروع الهندسة، يشمل الهندسة المستوية والفراغية، أي الأشكال الواقعة في مستوى واحد، كالمثلثات المستوية والدوائر، والأشكال المجسّمة مثل : المخروط والمكعب والكرة، وذلك لاستخراج مساحتها.

قال أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن القاضي المكناسي (1040 هـ/1630م) في حقيقة التكسير : «صنعة تبين كمية الشيء الممسوح والمكسّر، وهي في كل من السطوح والمجسمات، تبين ما في كل واحد منها من الأشكال المربعات المتساوية الأضلاع، مذروعا ذلك إما بشبر أو بذراع...»[2].

وقد عُني الرياضيون العرب بهذا العلم، وحققوه، وألّفوا فيه كتبا ورسائل، نظرا لأهميته، وبدافع الحاجة إليه في تعيين مساحات الأراضي والدور وما إليها، فهو إذن علم ضروري من جهة الشرع، ومن ناحية انتظام الحياة المدنية.

ومن المؤلفات المغربية في هذا الباب :

- 1) رسالة في الأشكال المساحية لابن البنا المراكشي.
- 2) التنبيه والتبصير في قوانين التكسير، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأوسي المرسي الشهير بابن الرقام.
- 3) الإكسير في علم التكسير، وهي أرجوزة لأبي عثمان سعيد بن أحمد ابن ليون التجيبي (750 هـ/1346م)[3].

1) مجلة «دعوة الحق»، العدد رقم 241 (محرم 1405/أكتوبر 1984) ورقم 242 (صفر/نوفمبر 1984).

2) شرح الإكسير لابن القاضي، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 53/مجموع ـ و ـ / رقم 5296.

3) انظر ترجمته في الإحاطة 4 : 459، والكتيبة الكامنة 22 ـ 23، ونفح الطيب 5 : 543.

ـ 4) شرح الأكبير لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم ابن القاضي المكناسي[4]، وهو شرح على أرجوزة ابن ليون المتقدم ذكرها.

ـ 5) مختصر في المساحة لأبي محمد عبد الله العلويني التونسي[5] كان حيا عام 871 هـ/1466م.

**رسالة ابن الرقام :**

يعدُّ «ابن الرقام» من كبار علماء الفلك والرياضيات في الأندلس الإسلامية، وله مشاركة في الطبّ، ذكره أبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب السلماني فقال عنه : «كان نسيج وحده... علما بالحساب والهندسة والطب والهيئة وغير ذلك، مديد الباع، أصيل المعرفة... أقرأ التعاليم والطب والأصول بغرناطة، لمّا استقدمه السلطان ثاني الملوك من بني نصر من مدينة بجاية، فانتفع الناس به وأوضح المُشكلات، وسُئل من الأقطار النازحة في الأوهام العارضة، ودوّن في هذه الفنون كلها»[6].

وذكر ابن الخطيب من مؤلفات ابن الرقام «الزيج القويم» وكتاب «الحيوان والخواص»، وقال : «ومقالاته كثيرة، ودواوينه عديدة»[7].

وقد قرأنا في بعض مخطوطات الفلك أن لابن الرقام كتابا آخر اسمه «الزيج المستوفى».

توفي ابن الرقام ـ رحمه الله ـ بغرناطة عن سن عالية عام 715 هـ/1315م.

وتصنيفه الذي سنقدمه محققا فيما بعد، عبارة عن مقالة مختصرة جدا في علم التكسير ألّفها ولا شك، تذكرة لطلاب هذا العلم، واقتصر فيها على بيان كيفية استخراج مساحة المسطحات والمجسمات الأساسية، وقد اعتمدنا في تحقيقها على مخطوطة محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي بالرباط[8].

أما رسالة ابن البنا فهي أطول من رسالة ابن الرقام، مع أنه نحا فيها منحى الاختصار أيضا، غير أنه حرص على تعليل المسائل الهامة، وبيّن أكثر من وجه في تكسير بعض الأشكال، وقد اعتمدنا في تحقيقها على نسختين محفوظتين بالخزانة الحسنية[9].

ومن المصنفات الهامة التي حققناها أيضا في علم التكسير، «شرح ابن القاضي لأرجوزة ابن ليون التجيبي»، وفيها معلومات لا توجد في رسالتي ابن الرقام وابن البنا، فقد اشتملت على تحقيق بعض المقاييس التي كانت تُستعمل في عصر المؤلف، كالشبر والقصبة والباب والأشل، وسوف نعمل على نشرها محققة في عدد مقبل من المجلة بحول الله ومشيئته.

ـ 1 ـ

# التّنبيه والتّبصير في قوانين التّكسير

## لابن الرقام المرسي

**التكسير** صناعة يُنظَر فيها في مساحة الأشكال وحدودها.

**في تكسير السّطوح**

وأولا في المربّعات.

---

4) ترجمته في سلوة الأنفاس 3 : 287.

5) انظر المجلد الثالث من فهارس الخزانة الحسنية (الرياضيات والفلك)، ص : 95 ـ 96.

6) الإحاطة 3 : 69 ـ 70.

7) نفس المصدر.

8) مخطوطة رقم 4749/مجموع (1)، انظر المجلد الثالث من فهارس الخزانة الحسنية ص 51 ـ 52.

9) مخطوطة رقم 5415/مجموع، ومخطوطة رقم 4748/مجموع، انظر المجلد الثالث من فهارس الخزانة الحسنية، 61 ـ 62.

**المربّع المتساوي القائم الزوايا :** اضرب ضِلعه في نفسه يكن مساحته - وهو تكسيره - وأضعف التكسير، وخذ جذر المجتمع يكن القطر وربع القطر ونصف المجتمع يكن التكسير، (وخذ جذرَ التكسير يكن الضلع)[10].

**في المستطيل القائم الزوايا :** اضرب طوله في عرضه يكن التكسير وربع الطول والعرض واجمع المربعين وخذ جذره يكن القطر.

## في المثلثات

**وأولا في :**

**المتساوي الأضلاع :** اطرح مربع نصف ضلعه من مربع ضلعه وخذ جذر الباقي يكن العمود، فاضربه في نصف الضلع يكن التكسير.

**في المتساوي الساقين :** اسقط مربع نصف القاعدة من مربع أحد الضلعين المتساويين وخذ جذر الباقي يكن العمود، فاضربه في نصف القاعدة أو نصف العمود في القاعدة يكن التكسير.

**في القائم الزاوية :** اضرب أحد الضلعين المحيطين بالزاوية القائمة في نصف الآخر المحيط بها يكن التكسير.

**في المختلف الأضلاع :** اجعل أحد أضلاعه قاعدةً وانقص[11] مربع أحد الضلعين الباقيين من مربع الآخر واقسم نصف الباقي على القاعدة واطرح الخارج من نصف القاعدة يكن المسقط الأقصر، أو احمله عليه يكن المسقط الأطول، ثم اسقط مربع المسقط الأقصر من مربع الضلع الأصغر أو مربع الضلع[12] الأطول من مربع الضلع الأكبر، وخذ جذر الباقي يكن العمود فاضربه في نصف القاعدة أو نصفه في القاعدة يكن التكسير.

**وفي جميع المثلثات :** وجه عام، وهو أن تجمع أضلاع المثلث وتحفظ نصف المجتمع وتعلم زيادته على كل واحد من أضلاعه، واضرب الزيادة الأولى في الثانية وما اجتمع في الثالثة وما اجتمع في المحفوظ، وخذ جذر المجتمع يكن التكسير، فاقسمه على نصف القاعدة يخرج العمود فاطرح مربعه من مربع أحد الضلعين وخذ جذر الباقي يكن المسقط الذي يليه.

## في المُعَيَّن والشبيه به

ولا بد من تحديد قطريهما فينقسم كل واحد منهما إلى مثلثين فتكسرهما كما تقدم وتجمع التكسيرين.

## في العرائض

اطرح الرأس من القاعدة يبق مثلث أضلاعه ضِلْعا العريضة وفضل القاعدة على الرأس فاستخرج عموده واضرب العمود في نصف مجموع الرأس والقاعدة يكن التكسير.

## في المنحرف

ولا بد من قطره أن يكون معلوما، فينقسم إلى مثلثين وتكسيرهما كما تقدم، وتجمع التكسير فيكون تكسير المنحرف.

## في ذوات الأضلاع الكثيرة

كالمخمّس والمسدس وما فوقهما : إذا كانت هذه متساوية الأضلاع والزوايا فاضرب نصف إحاطة الشكل في

---

10) ما بين المعقوفين جملة ساقطة في ب.

11) في ا : والقطر.

12) في ا : المسقط.

العمود الخارج من مركزه إلى نصف ضلع من أضلاعه يكن التكسير.

وإن كان مختلفا فلا بد من تحديد أقطاره واقسمه إلى مثلثات وكَسِّرْ كل مثلث على ما تقدم واجمع الجميع يكن التكسير، ويصنع ذلك في المتساوي.

### في الدائـرة

اضرب القطر في نفســه وانقص من مربَعــه سُبَعَــه ونصف سُبعه يبق التكسير، واضرب القطر في ثلاثة وسبع يكن المحيط، واقسم المحيط على ثلاثة وسبع يكن القطر واضرب نصف القطر في نصف المحيط يكن التكسير.

### في تكسير القطاع من الدائرة

اضرب الضلع في نصف[13] القوس يكن التكسير.

### في القطعة من الدائـرة

اضرب نصف الـوتر في نفســه واقسم المجتمـع على السهم واحمل على الخارج يكن القطر، فاضرب نصفه في نصف القوس يكن تكسير القطـاع، ثم انقص مربع نصف الوَتَر من مربع نصف القطر وخذ جذر الباقي يكن العمود، فاضربه في نصف الوتر يكن تكسير المثلث، فانقصه من تكسير القطـاع - إن كانت القطعة أصغر من نصف دائرة - أو احمله عليه إن كانت أكبر من نصف دائرة يحصل تكسير القطعة.

### في المجَسَّمـــات

وأولا في :

**المكعب :** اضرب ضلعه في نفســه ومـا اجتمع في الضلع يكون التكسير.

**في المجسم المستوى السطوح القائم الزوايا المختلف الأضلاع :** اضرب طوله في عرضه وما اجتمع في عمقه يكن التكسير.

**في الأسطوانة :** كسر قاعدتها على أي شكل كانت واضرب المجتمع في ارتفاعها يكن التكسير، ولو كان رأسها مخالفاً لقاعدتها كسرت القاعدة والرأس وأخذت النصف منهما وضربته في ارتفاعها.

**في المخروط :** كسر قاعدته واضرب التكسير في ثلث ارتفاعه يكن التكسير.

**في المجَسَّمات المختلفة الأضلاع والزوايا :** فصلها إلى مجسمات يحيط بكل واحد منها أربعة مثلثات، واجعل أحدها قاعدةً وكَسِّرها واضرب تكسيرها في ثلث ارتفاع الشكل القائم على القاعدة يكن تكسيره، ثم اجمع تكسير المجسمـات المـذكورة يكن تكسير المجسم الأعظم المذكور.

**في الكـرة :** اضرب قطرها في ثلاثـة وسبع يكن المحيــط واضرب نصف المحيــط في نصف القطر يكن تكسير الدائرة فتضربه في ثلثي القطر يكن التكسير.

13) في ا : نقس.

# - 2 -

# رسالة في الأشكال المساحيّة

## لابن البنّاء المراكشي

قال الشيخ الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي الشهير بابن البنّا، رحمه الله تعالى.

الأشكال المساحية على قسمين : مُجسّمة وبسيطة[14].

والبسيطة تنقسم أربعة أقسام باعتبارين :

**أحدهما** باعتبار حدودها، فتنقسم إلى ما يحيط به خط واحد - وهو الدائرة - وما يحيط به خطّان - وهو المقوس -[15] وما يحيط به ثلاثة خطوط - وهو المثلث - وما يحيط به أربعة خطوط - وهو المربّع -. وما زاد على هذه الأربعة يرجع إليها بالتقطيع[16].

**والثاني** باعتبار سطوحها فتنقسم إلى المثلث والمربّع والمدوّر والمقوس.

فأما **المثلّث** فينقسم ثلاثة أقسام باعتبارين :

**أحدهما** باعتبار أضلاعه إلى المتساوي الأضلاع، والمتساوي الساقين، والمختلف الأضلاع.

**والثاني** باعتبار زواياه : إلى القائم الزاوية، والمنفرج الزاوية، والحادّ الزاوية.

وأما **المربع** فينقسم خمسة أقسام : باعتبار أضْلاعه وزواياه معا : إلى المربع المطلق - وهو المتساوي الأضلاع القائم الزوايا - والمربّع المستطيل - وهو المتساوي الطولين المتساوي العرضين القائم الزوايا وطوله مخالف لعرضه - والمربّع المُعَيَّن المتساوي الأضلاع المختلف الزوايا، والشبيه بالمُعَيَّن - وهو المتساوي الطولين المتساوي العرضين المختلف الزوايا وطوله مخالف لعرضه - والمنحرف - وهو المختلف الأضلاع والزوايا.

وأما **المقوس** فينقسم ثلاثة أقسام - باعتبار حدوده وسهمه - إلى : نصف دائرة، وأكبر، وأصغر من نصف دائرة.

وأما **المدور** فهو شكل واحد يسمى الدائرة باعتبار حدّه وتساوي أقطاره.

**والمُجَسَّمة** تنقسم إلى ما يحيط به سطح واحد - وهو الكرة - وما يحيط به سطحان - وهو قطعة الكرة - وما يحيط به أكثر من ذلك، وينقسم قسمين : المتساوي الغلظ والمخروط.

فهذه الأقسام هي التي جرت العادة عند أهل التكسير وما وراء ذلك يُرَدُّ إليه بالتقطيع[17]. فهذه الأقسام مطالب بحسب مقصدنا.

### المثلـــث

أما **المثلث** ففيه خمسة أشياء :

أضلاعه الثلاثة وعموده وتكسيره الذي بمسطّحه[18]، فيه ثلاثون مطلبا لأنه إما أن يكون المعلوم منه واحدا منها أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة والمطلوب ما جهل منها.

---

14) يقال : البسائط أو السطوح أو الأشكال البسيطة والمعنى واحد.

15) في ا : المقسوم، وهو تصحيف.

16) مثل المخمس والمسدس.. الخ.

17) من ذلك - مثلا - المنشور، والفنيقة، والقبوري، والمطبل، والزنبوري، وغيرها من الأسماء التي ابتدعها أصحاب صناعة الهندسة.

18) في ب : الذي هو بسطه.

وأما **المربع** ففيه ثلاثة أشياء :

أضلاعه وقطره وتكسيره، فمطالبه ستة.

وأما **المستطيل** ففيه أربعة أشياء :

طوله وعرضه وقطره وتكسيره، ففيه أربعة عشر مطلبا.

وأما **المعيّن** ففيه أربعة أشياء :

أضلاعه وقطره الأكبر وقطره الأصغر وتكسيره، فمطالبه أربعة عشر مطلبا.

وأما **الشبيه بالمعيّن** ففيه خمسة أشياء :

طوله وعرضه وقطره الأكبر وقطره الأصغر وتكسيره، فمطالبه ثلاثون مطلبا.

وأما **المنحرف** ففيه سبعة أشياء :

أربعة منها أضلاع، وقطره الأكبر، وقطره الأصغر وتكسيره، فمطالبه مائة وستة وعشرون مطلبا.

وأما **المقوّس** ففيه خمسة أشياء :

القوس والوَتَر والسهم والتكسير وفضل ما بين قُطْر الدائرة[19] التي منها القوس ومنها السهم، فمطالبه ثلاثون مطلبا.

وأما **المدوّر** ففيه ثلاثة أشياء :

القطر والدور والتكسير، فمطالبه ستة.

وأما **الكرة** فتزيد على الأشياء التي في الدائرة (بأمرين)[20] : تكسير سطحها وتكسير جرمها.

وأما **قطعة الكرة** فتزيد على الأشياء التي في المدور بثلاثة أشياء :

الخطُّ الخارج من رأسها إلى محيط قاعدتها، وتكسير سطحها، وتكسير جرمها.

وأما **المجسّم المتساوي القواعد** فيزيد على الأشياء التي في شكل قاعدته بثلاثة أشياء :

عمود سُمْكه، وتكسير سطحه، وتكسير جرمه.

وأما **المخروط** فيزيد على الأشياء التي في شكل قاعدته بأربعة أمور :

بعموده، وضلعه، وتكسير سطحه، وتكسير جرمه (ولمن شاء أن يزيد في الأشياء الثلاثة التي ذكرنا في كل شكل)[21] فتتضاعف المطالب في كل واحد منها بحسب ذلك مثل أن يزيد (في) **المثلث** مسقط العمود وفضل ما بين الأضلاع أو مجموعها أو مجموع بعضها أو نسبة بعضها إلى بعض أو نسبة الزوايا، أو غير ذلك، ومثل أن يزيد في **المستطيل** فضل ما بين ضلعيه أو مجموعها أو فضل ما بين الضلع والقطر أو مجموع الضلع ونحو ذلك في كل شكل.

إلا أن مطالب هذه الأشكال كلها منها ما يمكن الجواب عنه ومنها ما لا يمكن. فاعلمه.

ولنشرع في تكسير هذه الأشكال إذ هو المقصود.

أما **تكسير المثلث** فله في العمل وجهان :

**أحدهما**، أن تضرب العمود في الضلع الذي وقع عليه - ويسمّى قاعدة - وتأخذ نصف الخارج أو تضرب أحدهما في نصف الآخر. وعلته أن كل مثلث فإنه نصف السطح القائم الزاوية الذي أحد أضلاعه قاعدة المثلث وضلعه الثاني العمود على ما تبين في المقالة الأولى[22].

**والوجه الثاني** أن تأخذ نصف مجموع الأضلاع وتحفظه ثم تعرف فضله على كل واحد من الأضلاع، فما كان من الفضلات الثلاث تضرب أحدهما في الثاني وما اجتمع في الثالث وما اجتمع في النصف المحفوظ، وتأخذ جذر الخارج (يكن التكسير)[23].

وعلة هذا العمل الشكل (يج) من الشكل الثاني من النوع الثالث من الجنس الأول من كتاب المؤتمن (بن هود)[24] الذي خبره : كل مثلث فإن نسبة السطح الذي يكون من نصف مجموع أضلاعه في فضل ذلك النصف على

---

19) في ا : نصف الدائرة.

20) عبارة ساقطة في ب ج.

21) فقرة واردة في «ا» دون النسختين الأخريين، والكلام لا يستقيم بإثباتها، والظاهر أنها من خطأ النساخ.

22) في ا، ج : القاعدة الأولى.

23) عبارة ساقطة في ب، ج.

24) هو يوسف المؤتمن بن هود أمير سرقسطة (473 - 477 هـ/1081 - 1085)، كانت له عناية بالرياضيات والفلك، ألّف كتاب «الاستكمال» في الهندسة والفلك، ولموسى بن ميمون شرح عليه.

أحد الأضلاع إلى سطح المثلث كنسبة سطح المثلث إلى السطح الذي يكون من فضل نصف جميع الأضلاع إلى كل واحد من الباقيين أحدهما في الآخر.

والعمل في استخراج العمود الواقع على أي ضلع أردنا : أن تأخذ فضل ما بين مربعي الضلعين الباقيين وتقسمه على القاعدة، فما خرج ـ إن زدته على القاعدة ـ كان ضعف المسقط الأكبر، ونصفه هو المسقط الأكبر، وإن أخذت الفضل بينه وبين القاعدة بقي نصف المسقط الأصغر ونصفه هو المسقط الأصغر، ومتى خرج المسقط مثل القاعدة فالمثلث قائم الزاوية وهي التي تحيط بها القاعدة والضلع الأقصر[25]، ومتى خرج المسقط أعظم من القاعدة فالمثلث منفرج الزاوية ـ وهي التي تحيط بها القاعدة والضلع الأقصر من الضلعين ـ ومتى كان الضلعان متساويين فالمسقط نصف القاعدة لأن الفضل الذي بين المربعين (يكون)[26] لا شيء، فقسمته على القاعدة يخرج منه لا شيء، وزيادة لا شيء على القاعدة أو نقصانه منها لا يغير فيها شيئا فتكون القاعدة هي ضعف كل واحد من المسقطين. ومتى نقص مربع أكبر المسقطين من مربع أكبر الضلعين أو نقص مربع أصغر المسقطين من مربع أصغر الضلعين وأخذ جذر الباقي كان العمود.

**ولاستخراج المسقطين** وجه آخر أعمُّ من الذي قبله وهو أن تأخذ ربع الضلع الأطول فإن كان مثل مربعي الضلعين الباقيين فالمثلث قائم الزاوية التي يُوترُها الضلع الأول، وإن كان أعظم من مربعي الضلعين فالمثلث منفرج الزاوية التي يوترها الضلع الأول، فتجعل أي الضلعين شئتَ قاعدةً ثم تأخذ نصف زيادة مربع الضلع الأطول على مربع الضلعين وتقسم على القاعدة يخرج مسقط العمود الأصغر، فإن زدته على القاعدة يخرج المسقط الأكبر، وإن كان أصغر من مربعي الضلعين فالمثلث حاد الزاوية، فتأخذ فضل المربعين عليه وتجعل أي الضلعين الأقصرين شئت قاعدة وتقسم نصف الفضل المذكور على القاعدة يخرج المسقط الأصغر، فإن نقصته من القاعدة يخرج المسقط الأكبر. وعلة هذا الوجه من المقالة الأولى من (بج) ومن (بد) من اوقليدس[27].

**وأما تكسير المربع** فأن تضرب ضلعاً منه في مثله، أو تأخذ نصف مربع قطره يكن التكسير، وعلته من آخر المقالة من الكتاب (أي كتاب أوقليدس).

**وأما المستطيل** بأن تضرب طوله في عرضه.

**وأما المعين** فإنه ينقسم بقطره الأكبر إلى مثلثين منفرجي الزاوية وبقطره الأقصر إلى مثلثين حادّي الزاوية ويكون نصف أحد القطرين عمودا على القطر الثاني فيجب أن يكون تكسيره بضرب أحد قطريه في الثاني وأخذ نصف الخارج، أو بضرب أحدهما في نصف الآخر لأنّ تكسير كل مثلث منهما هو بضرب نصف أحد القطرين في نصف الثاني.

وإن شئت إذا قسمته[28] بقطره الأطول فانقسم بمثلثين منفرجي الزاوية تستخرج العمود من أحدهما الواقع على أحد الضلعين ـ على ما تقدم ـ وتضربه في أحد أضلاع المعين يكن التكسير، لأن السطح (ضعف المثلث)[29] وعمود أحدهما مثل عمود الآخر.

**وأما الشبيه بالمعين** فإنه ينقسم بالقطر إلى مثلثين متساويين فتستخرج عمود أحدهما على ما تقدم ـ إذ ارتفاعهما واحد ـ وتضربه في جميع القاعدة التي وقع عليها العمود ـ لأن السطح ضعف المثلث ـ يكن التكسير.

**وأما المنحرف** فمنه ما يكون ضلعان منه متساويين ومنه ما ليس كذلك.

---

25) في ب، ج : الأصغر.

26) ساقطة في ب، ج.

27) المقصود كتاب الأركان أو الأصول الذي وضعه أوقليدس (القرن الثالث قبل الميلاد)، وترجمه إلى العربية إسحق بن حنين العبادي (ت عام 298 هـ/910م) وأصلحه ثابت بن قرة الحراني (ت عام 288 هـ/901م). وهذا الكتاب الذي يبحث في أصول الهندسة مشتمل على خمس عشرة مقالة.

28) في ج : إذا قسمت (بدون هاء الضمير).

29) عبارة ساقطة في ب.

(فالأول يسمى عريضة[30] وهو ينقسم بقطره إلى مثلثين تستخرج عمود أحدهما، لأن ارتفاعهما واحد، وتضرب في نصف قاعدتيهما ـ وهما الضلعان المتوازيان ـ يكن التكسير)[31].

**والثاني** ينقسم بمثلثين أيضا فيكسر كل واحد منهما على ما تقدم ويجمع التكسيران.

**وأما الدائرة** فتكسيرها بضرب نصف القطر في نصف الدور أو كل أحدهما في ربع الثاني. وعلة ذلك بينة من كتاب المؤتمن[32]، فإنه بين أن كل دائرة فإن سطحها مساو لسطح المثلث القائم الزاوية الذي أحد ضلعيه المحيطين بالزاوية القائمة مساو لنصف قطرها، والضلع الآخر مساو للخط المحيط بها، وبين أيضا أن محيط الدائرة يزيد على ثلاثة أضعاف القطر بأقل من سُبُع القطر وأكثر من عشرة أجزاء من واحد وسبعين من القطر، فلذلك جعل الزائد على ثلاثة أضعاف سبعا بتقريب، فيلزم من ذلك أن تكون نسبة تكسير الدائرة إلى مربع قطرها نسبة أحد عشر من أربعة عشر.

**وأما المقوس**، فنصف الدائرة تكسيره كتكسير الدائرة : تضرب نصف القطر في نصف القوس والتي هي أكبر من نصف الدائرة فتضرب نصف قطر الدائرة التي هي منها في ضعف قوسها وتحفظه، وتضرب فضل ما بين نصف القطر وسهمها في نصف وترها فما خرج تجمعه مع المحفوظ يكن التكسير. والتي هي أصغر من نصف دائرة تضرب نصف قطر الدائرة التي هي منها في نصف قوسها وتحفظه وتضرب فضل ما بين نصف القطر وسهمها في نصف وترها فما خرج تنقصه من المحفوظ يبق التكسير.

وعلته أنه إذا ضرب نصف القطر في نصف القوس كان الخارج يزيد في الصغرى وينقص في الكبرى مثل تكسير المثلث الذي قاعدته وتر القوس وزاويته على مركز الدائرة وعموده فضل ما بين نصف القطر وسهم القوس، فلذلك وجب ما ذكرناه من العمل.

ومعرفة من أي دائرة هي القطعة تكون : أن تقسم مربع نصف وترها على سهمها وتزيد الخارج على سهمها يكن قطر الدائرة التي هي منها.

وعلة ذلك أن السهم وبقية القطر يكون نصف الوتر وسطا في النسبة بينهما أبدا لأنه عمود المثلث القائم الزاوية التي في نصف الدائرة على ما تبين في سادسة أوقليدس[33].

### وأما تكسير سطح المجسمات :

فالدائرة منها : تضرب مربع قطرها في أربعة وتنقص من الخارج سبعة (ونصف سُبُعه) يبقى تكسيرها، لأنه قد بين أرشميدس[34] أن بسط كل كرة فهو مساوٍ لأربعة أضعاف أعظم دائرة تقع فيها، وتقدم أن نسبة بسط الدائرة إلى مربع قطرها نسبة أحد عشر من أربعة عشر، فلذلك وجب ما ذكرناه من العمل.

وأما قطعة الكرة : فإنك تربع نصف[35] الخط الخارج من قطعة رأسها إلى دائرة قاعدتها وتسقط منه سُبُعه ونصف سُبُعه يبق تكسير سطحها، لأنه تبين في «الأصول» أن بسط كل قطعة من كرة مساو للدائرة التي نصف قطرها مساو للخط الخارج من نقطة رأس القطعة إلى الخط المحيط بدائرة قاعدتها.

وأما سائر المجسمات فتكسر كل سطح من سطوحها على حدة ثم تجمع الجميع.

### وأما تكسير أجرام المجسمات :

**فالكرة منها ونصف الكرة** : تضرب بسيطها في ثلث نصف قطرها يكون تكسير جرمها.

---

30) العريضة يشترط فيها ـ عند أهل الصناعة ـ موازاة الرأس للقاعدة.

31) فقرة ساقطة في ج.

32) كتاب المؤتمن بن هود الذي سبقت الإشارة إليه.

33) الإشارة هنا إلى المقالة السادسة من كتاب الأصول.

34) أرشيمدس رياضي يوناني عاش في مدينة سيراكوس وتوفي بها عام 212 ق.م.

35) في ب : ضعف.

**وأمـا القطعـة الكبرى** من الكرة : فتضرب نصف ثلث قطر الكرة التي هي منها في بسـيط القطعـة وتحفظـه ثم تـقـط نصف (قطر)[36] الكرة من سطـح القطعـة وتضرب ثلث الباقي في بسيط قاعـدة القطعـة وتجمعـه مع المحفوظ يكن التكسير.

وأمـاالقطعـة الصغرى من الكرة : فتضرب ثلث نصف (قطر)[37] الكرة التي هي منهـا في بسيـط القطعـة وتحفظـه ثم تـقـط سهمـا من نصف قطر الكرة وتضرب ثلث البـاقي في بسيط قاعدة القطعة وتطرح الخـارج من المحفوظ يبقى التكسير.

وعلـة ذلـك تتبين من علة تكسير المخروطـات لأن (كـل) كرة فهي تنقسم بمخروطـات مجتمعـة الرؤوس (على مركز)[38].

وتبين في «الأصول» أن كـل جسم فمخروطـه مثـل مثله، ومن علة المقوسات التي ذكرت قبل.

**وأما المجسم المتسـاوي الغلـظ** فتضرب سهمـه في قاعدته يكن تكسير أحدهمـا في الآخر ـ أعني سهمـه الـذي يصل بين مركزي قاعـدتيـه وسهمـه القـائم على الـسهم الأول على زوايا قائمة.

**وأمـا المجسم المخروط** فتضرب ثلث سهمــه في بسيط قاعدته يكون تكسيره، وقد ذكرنا علته.

وهـذه نبـذة جـاءت على حسب عرضنـا لأعلى مـا ينبغي، ومن أحاط علماً بصناعة الهندسـة يقدر على فرض الأشكال وعلى استخراج ما يمكن استخراجه من مجهولاتـه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



36) كلمة ساقطة في ب.
37) كلمة ساقطة في ب.
38) عبارة ساقطة في ب.

# الحياة الأدبية في العصر المريني الأول

(2)

## متابعة الأدب المريني للأحداث

للأستاذ محمد المنوني

### أولا : الأدب البطولي

من الظواهر البارزة في العصر المريني الأول : وجود تجاوب بين الأدب وعدد من الأحداث المعاصرة، وسيأتي في البداية تحليل هذه الظاهرة في قطاع الأدب البطولي.

ومن المعروف أن هذه الفترة عاصرت - في أوائلها - محنة الأندلس الكبرى، حيث ضاعت قواعد شبه الجزيرة وكثير من مدنها، وانحازت بقايا المسلمين إلى رقعة صغيرة قامت عليها مملكة غرناطة الناشئة، وقد تعرضت هذه - بدورها - إلى ضغط قوي جعلها تستنجد بالمغاربة لإيقاف المد القشتالي الجديد، وكان من الطبعي أن يستجيب هؤلاء أمام إلحاح جيرانهم، ويواصلوا رسالتهم التقليدية في نجدة الأندلس والدفاع عنها.

وهنا يبرز دور الأدب المغربي المعاصر في متابعة واقع النكبة، والدعوة - بالشعر والنثر - لنصرة القضية الأندلسية.

☆ ☆ ☆

ويمتاز هذا الأدب بطابع الانتصار للدين، وتصوير ما حل بالمسلمين من نكبات، وأحيانا تختلط فيه الموضوعية بمدح الحكام، كما عند الشاعر الملزوزي، وقد يبرز للميدان الأدب الرسمي : نثرا على لسان العزفيين، أو شعرا على لسان المرينيين[1]، مع صياغة هذا وذاك في أسلوب يعتمد على الوضوح والتأثير على المخاطبين.

وعلى العموم : فإن هذا النوع يمثل تجديدا - إلى حد - بالنسبة للمعروف من الأدب المغربي خلال الفترات السابقة.

☆ ☆ ☆

وبعد هذا : سيأتي تصنيف الأحداث التي تابعها الأدب المغربي في خمسة مواقف :

الأول : عام اثنين وستين وستمائة، ففيها تصاعد ضغط القشتاليين على مملكة غرناطة تمهيدا لتصفيتها بالمرة، وهنا تستنصر الأندلس بالمغرب لصد العدوان، وتغمر المغاربة موجة من التفجع لواقع جيرانهم، ويتصدى الأدب ليتجاوب مع الشعور الوطني، وهذا ما يترجمه الشعر على لسان مالك ابن المرحل[2]، حيث أنشأ قصيدة يحرض فيها بني مرين وجماعة المسلمين : على التحرك لإنقاذ الأندلس، وقد

1) القصد إلى منشور أبي القاسم العزفي أمير سبتة، مع القصيدة الدالية، لابن المرحل على لسان أبي يوسف المريني، وأمامنا مقتبسات منهما خلال هذا العرض.

2) قال السيد محمد مرتضى : «والمرحل كمعظم : مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن المرحل : أحد فضلاء المغاربة، له نظم حسن، وكمحدث : صدر الدين بن المرحل : أحد الأعلام» : «تاج العروس» الطبعة المصرية الأولى 342/7.

قرئت هذه القصيدة البطولية المطولة بصحن جامع القرويين من فاس بعد أداء الجمعة، وأصغى إليها جموع المسلمين، وبكوا عند سماعها، وانتدب كثير منهم للجهاد[3]، وهو يقول في مطالعها :

استنصر الـــــدين بكم فـــأقـــدموا
فـــــإنكم إن تسلمـــــوه يسلم
لا تسلموا الإسلام يـــا إخـوانـنـــا
وأسرجـــــوا لنصره وألجمـــــوا
لاذت بكم أنـــدلس نـــاشـــدة
برحم الـــــــــــدين ونعم الرحم
فـــاسترحمتكم فـــارحموهـــا إنــــه
لا يرحم الرحمن من لا يرحم
مـــا هي إلا قطعـــــة من أرضكم
وأهلهـــــــــا منكم وأنتم منهم
لكنهـــا حـــدت بكـــل كـــافر
فـــالبحر من حـــدودهـــا والعجم

وإثر هذا يتفجع الشاعر على مصير الفردوس المفقود ومحنة أهله ويقول :

لهفـــا على أنـــدلس من جنـــة
دارت بهـــا من العـــــدا جهنم
استخلص الكفـــار منهـــا مـــدنـــا
لكـــل ذي دين عليهـــا نـــدم :
قرطبـــــة هي التي تبكي لهـــا
مكـــة حـزنـــا والصفـــا وزمـزم
وحمص وهي أخت بغـــداد ومـــا
أيـــــامهـــــا إلا صبـــا والحلم
استخلصـوهـــا موضعـــا فموضعـــا
واقتـــدروا واحتكمـــوا وانتقمـــوا
وقتلـــــوا ومثلـــــوا وأسروا
واحتملـــوا وأيتمـــوا وأيمـــوا

أيـــام كـــان الخـوف من أعـــوانهم
والجـــــوع والفتنـــــة وهي أعظم
حتى إذا لم يبـق من حيـــاتهـــا
إلا ذمـــاء تـــدعيـــه الـــذمم
دعـوا العهـود واعتـــدوا ومـــادروا
بـــــــــــأنهم بحبلكم تعتصم

وهنا يعقب الشاعر باستنهاض همم المغاربة الذين تناسى الإسبان حميتهم وبأسهم، ويقول في هذا في مواضع من القصيدة :

ظنـوا ـ وكـان الظن منهم كـاذبـا ـ
أن ليس للـــــه جنـود تقـــدم
مـــا صـــدقـوا أن وراء البحر من
يغضب لـــلإســـلام حين يظلم
ولا دروا أن لـــــديكم حرمـــــة
يحفظهـــــا شبـــــابكم والهرم
لـو عرفـوا قبـائـل العـــدوة مـــا
عـــدوا على جيرانهم واحتـــزمـــوا...

وبعد بضعة أبيات تتابع القصيدة الإلحاح على المغاربة :

يـــا أهـل هـــذي الأرض مـــا أخركم
عنهم ؟ وأنتم في الأمـــور أحـــزم
تـــسابـق النـــاس إلى مـــواطن
الأجر فيهـــــــا وافر والمغنم...
إخـوانـنـــا مـــاذا القعـود بعـــدهم
أفي ضمان اللـــــه مـــا يتهم ؟
هـــل هي إلا جنـــة مضمـونـــة
أو عـــودة صـــاحبهـــا مكرم
حـــدوا الســلاح وأنفروا وســـارعـوا
إلى الـــــذي من ربكم وعـــدتم
إن أمـــام البحر من إخـــوانكم
خلقـــــــا لهم تلفت إليكم

---

3) «الذخيرة السنية»، «دار المنصور» بالرباط 1972 : ص 98.

ونحـــــــوكم عيــــــونهم نــــــــاظرة
لا تطعم النـــــــــــوم وكيف تطعم ؟
والروم قـــــــد همت بهم ومـــــــالهم
ســــــــواكم ردء فــــــــأين الهمم[4] ؟

☆ ☆ ☆

وننتقل - الآن - إلى المناسبة الثانية التي يتجاوب فيها الأدب المريني مع واقع الأندلس، ويتعلق الأمر بعام ثلاثة وستين وستمائة، حيث صمم الفونصو العاشر على استئصال مملكة غرناطة، وقرر أن يبعث إلى كل بلدة منها فرقة عسكرية لحصارها[5]، وهنا أصدر أبو القاسم العزفي أمير سبتة منشورا وزعه على قادة المغرب : الحكام والنخبة، ليستنفرهم - جميعا - للدفاع عن شبه الجزيرة، والمنشور محرر في رسالة ضافية، ومن فقراتها.

«أفي الحق - عباد الله - أن تزهدوا في الجهاد، وتناموا عن الكفرة وأعينهم منكم في سهاد، وتسلموا من من المسلمين بالأندلس إخوانا في الله : توالونهم ويوالونكم.

فانهضوا - رحمكم الله - إليهم متقدمين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين.

فقد آن - عباد الله - إخلاص النية، والتماس ما عنده من الدرجات السنية، ولا تخلدوا بركون إلى سكون، والدين يدعوكم لنصره، وصارخ الإسلام قد أسمع أهل عصره، والصليب قد أوعب في حشده، فالبدار البدار بإرهاف الحد، وإعمال الجهاد في نيل الجد».

وهكذا تستمر الرسالة العزفية في إلهاب حماس المغاربة واستثارة نخوتهم، في نفس طويل تتخلله استشهادات بآيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة، لتوجه - بعدها - الخطاب للنخبة المغربية :

«وأنتم - معشر العلماء والصلحاء - يلزمكم دون من دونكم عهدة التذكير والتبصير، فقوموا لله مقاما محمودا، واتقوا الله وقولوا قولا سديدا، وحرضوا على الجهاد عن أرجائكم، وقدموا إلى الله - تعالى - صدق التجائكم...».

وبعد هذا تتخلص الرسالة لبني مرين :

«وأرجو أن الله - تعالى - ينصر هذا الدين، بسيوف العصابة المباركة : بني مرين، الليوث الظافرة، ولهم الأعداد الوافرة، والجموع المتكاثرة، والعساكر التي تسيل - بالفضاء - منها البحور الزاخرة[6]».

☆ ☆ ☆

وإلى هنا تنتهي مختارات الرسالة العزفية، وسيعتزم - بعد هذا - أبو يوسف المريني على الجواز للأندلس عام سبعين وستمائة، حيث يبرز للميدان أديب ثالث ينتهز هذه الفرصة، ويساهم - من جهته - في متابعة الأدب المريني للأحداث الأندلسية، وهكذا يخصص أبو فارس عبد العزيز الملزوزي جزءا من قصيدة مطولة، ليحث فيه بني مرين على تحقيق العبور لشبه الجزيرة، وهو يقول في هذا :

مرين الأقــــودوا الجيــــــاد لنهبهــــــا
وللغـــزو يــــا أســـد الفـــوارس فـــانفروا
ومن يـــك ذا بـــأس كيعقـــوب والنـــدى
فيظفر بـــــالكفــــــار فهـــو المظفر
لقـــد سكن الأعـــدا مســـاجـــد ربنـــا
وكـــــان بهـــا قبـل المهيمن يـــذكر
فعـــادت إلى الخنـــزير والشرك مسكنـــا
وبـوقـــــاتهم فـــوق الصـوامـــع تـزمر
وكم غنمـوا منــــا حســـانـــا كـواعبـــا
وغـــــزلان در في الأقــــــــاصر تقصر
وكم مقلـــة أبكـوا وكم غـــــادة سبـــوا
وكم أغيـــــــد أبلـــــوا فكيف التبصر

4) القصيدة - كاملة - بـ«الذخيرة السنية» ص 98 - 100.
5) «المصدر» ص 102.
6) المنشور العزفي بكامله في «المصدر» ص 102 - 108.

وكم أيتموا منا بنين أصاغرا
فأكبادنا من حالهم تتفطر
يظنون أن الدهر قد نام عنهم
وأن علاهم لا تزال تظفر
أما علموا أن الإلاه يبيدهم
بجيش مليك نصره متيسر[7]...

☆ ☆ ☆

وقد تحقق هذا العبور الذي يلح عليه الشاعر الملزوزي، وكان في عام أربعة وسبعين وستمائة، غير أنه حدث أن غرناطة كانت قد جرحت شعور المرينيين خلال هذا الجواز، وحين عاد أبو يوسف إلى فاس أراد ابن الأحمر محمد الثاني أن يعتذر عن الواقع، وتبادل الطرفان ـ في هذا الصدد ـ مخاطبات شعرية : في قصائد حققت إسهام أدب العدوتين في تلطيف الجو وتهدئة الخواطر، وقد ساهم الأدب المغربي بقصيدتين لكل من الملزوزي[8] وابن المرحل[9]، وهذه نخب من القصيدة السبتية التي كانت على لسان العاهل المريني، ومطلعها.

شهد الإلاه وأنت يا أرض اشهد
أنا أجبنا صرخة المستنجد

والقصيدة تصور مشهد المغاربة في مسارهم إلى الأندلس، وتشير للعواطف الأخوية المتبادلة :

لما دعا الداعي وردد معلنا
قمنا لنصرته ولم نتردد
نسري له بأسنة قد جردت
من عضبها والصبح لم يتجرد
لولا الأسنة والسنابك مادرى
أحد بسير خيولنا في الفرقد
والخيل تشكونا ولا ذنب سوى
أنا نروح بها وأنا نغتدى
لو أنها علمت بنا في قصدنا
كانت تطير بنا ولم تتردد
الله يعلم أننا لم نعتقد
إلا الجهاد ونصر دين محمد
ثم اعترضنا البحر وهو كأنه
ملك تقدم بالجيوش لمرصد
فترامت الخيل العطاش لورده
هيهات ما الماء الأجاج بمورد
يا خيل إن وراءنا ماء روى
ومشاربا ومزارعا لم تحصد
وأحبة بين العدا قد أصبحوا
يتوقعون الموت إن لم تنجد
من مطلق العبرات إلا أنه
تجري دموع جفونه لمقيد
ومفجع لا يستلذ بمطعم
ومروع لا يستقر بمرقد
إخواننا في ديننا وودادنا
ولهم مزيد تحبب وتودد
نسري بأجنحة البزاة إلى العدا
مثل الحمام الحائمات الورد
واستقبلت بحر الزقاق بعصبة
نفدت عزائمها ولم تتعدد
فاستبشروا في أفقهم بطلوعنا
كالشمس يوم طلوعها للأسعد
حتى بغتنا القوم في أوطانهم
إن الحوادث لاتجيء بموعد
ثم التقينا بالذين استصرخوا
منا بكل مؤيد ومسدد

7) نفس «المصدر» ص 127 ـ 128.
8) قصيدة الملزوزي لا يعرف منها سوى الشطر الأول من مطلعها : «لبيك لا تخشى اعتداء المعتدى»، حسب ابن خلدون في «العبر» المطبعة الأميرية بمصر 1284 هـ : 200/7.
9) أورد ابن خلدون الشطر الأولى من مطلعها : «العبر» 200/7، وورد منها عند ابن القاضي في ترجمة ناظمها من «درة الحجال» نشر دار التراث بالقاهرة خلال الترجمة رقم 915، مع الرجوع إلى مخطوطة خاصة من «درة الحجال».

وإثر هذا تتخلص القصيدة إلى العتاب على سلوك ابن الأحمر وجيشه إزاء المرينيين خلال العبور الأول : في نفس طويل يستأثر بالقسم الثاني منها.

☆ ☆ ☆

ونشير - الآن - إلى الجانب الختامي من هذا العرض، وهو يرتبط بعام أربعة وثمانين وستمائة : بعد عودة أبي يوسف من العبور الرابع والأخير، حيث توج بالمعاهدة التي فرضها السلطان المريني علي القشتاليين لصالح الأندلسيين، وقد حيا هذه المناسبة الشاعر الملزوزي في أرجوزة مطولة، فاستعرض فيها غزوات السلطان وبنيه وحفدته، وهنأه بما تسنى له من النصر والظهور، وامتدح قبائل بني مرين والعرب على اضطلاعهم بالجهاد ورفع رأية الإسلام[10].

## ثانيا : أدب التهاني

واكب أدب التهاني - ولو في نطاق محدود - مسيرة بعض الفتوحات والتوليات والأعياد.

ومن ميزات هذا الأدب أن تختلط فيه التهنئة بالمديح، مع الاهتمام - في التهاني البطولية - بوصف المعارك، وتجسيم أبعاد الانتصار، والمبالغة في الحماس، وأخيرا تختتم القصيدة بإهدائها للمعنيّ بالأمر والإشادة بمحاسنها، وبالنسبة لأسلوبها : تتميز بالسلاسة والوضوح وانتقاء التعابير.

ومن الموضوعات الجديدة في هذه الفترة قصائد التهنئة بعيد المولد النبوي الشريف، ومن طبيعتها أن تفتتح بالحنين إلى البقاع المقدسة، وتنتقل إلى المديح النبوي وذكر المعجزات، ثم تتخلص إلى مدح السلطان المريني مقيم الاحتفال.

وأقدم تهنئة مولدية معروفة هي التي نظمها ابن القراق : أحمد بن سعيد بن أحمد التجيبي السبتي، ليقدمها لأبي سعيد الأول، ومطلعها :

بشرى الهدى بطلوع اليمن حين بدا
في ليلة خير مبعوث بها ولدا

ولسنا نتناول - الآن - هذه المولديات سوى من جانب عنصر التهنئة الذي تختتم به.

☆ ☆ ☆

وإنما نذكر التهاني ببعض الفتوحات والولايات، وهما موضوعان تقاسمهما - في هذه الفترة - مالك ابن المرحل وعبد العزيز الملزوزي، حيث أنشأ الأول قصيدة بمناسبة فتح مدينة مراكش على المرينيين، بينما ينظم الثاني قصيدة ليتجاوب فيها مع أفراح تنصيب يوسف المريني في ولاية العهد لوالده يعقوب بن عبد الحق، ولأجل أن نتبين مدى متابعة هذا الأدب للأحداث : نورد نخبا من كل من القصيدتين.

وقد كان فتح مدينة مراكش عند مطلع عام ثمانية وستين وستمائة، حيث بادر ابن المرحل بتقديم القصيدة التالية إلى الأمير الأديب : عبد الواحد بن السلطان أبي يوسف، فيقول في مطالعها.

فتح تبسمت الأكوان عنه فما
رأيت أملح منه مبسما وفما

فتح كما فتح البستان زهرته
ورجع الطير في أفنائه نغما

فتح كما انشق صبح في قميص دجا
وطرز البرق في أردائه علما

أضحت له جنة الرضوان قد فتحت
أبوابها وفؤاد الدين قد نعما

10) القصيدة من بحر الرجز في نفس طويل، حيث يحتفظ بها - كاملة - «روض القرطاس» دار المنصور بالرباط 1973 : ص 364 - 372.

الحمـد للـه هـذا مـا وعـدت بـه
يـا خير من ولي الـدنيـا ومن حكمـا
لم يخلف اللـه وعـدا كـان واعـده
فـاشكر يضاعف لك الحظ الـذي قسمـا
بفتـح مراكش عم السرور فمـا
يكـابـد الغم إلا قلب من ظلمـا
حبـا بهـا اللـه مـولانـا الأمير كمـا
حبـا أبـاه فـأسنى فتحهـا لهمـا
فلم يـزل سعـده المـألـوف متصـلا
بسعـد والـده المنصـور منتظمـا
فـدولـة الـدين والـدنيـا قـد احتفلت
في الفتـح والنصر والتـأييـد بينهمـا
فـاقت الأرض من شوم بهـا وصحت
وأصبحت وهي تلحى الشكر والحلمـا
لمـا رأت رايـة السلطـان قـد رفعت
في أفقهـا قرعت أسنـانهـا نـدمـا
فـاستقطفت منـه قـولا من سجيتـه
أن يحقر الـذنب والعـوار إن عظمـا

وإثر هذا يعدد الشاعر الآمال المعقودة على الدولة الجديدة، ويقتضبها في أبيات ثلاثة يقول فيها :

من سنـة اللـه أن يحيي خليقتـه
على يـديـك وأن يكفيهم النقمـا
وأن يقـوم بـك الإسـلام من أود
وأن يـديم بـك الإحسـان والنعمـا
وأن يقر عيـون المسلمين وأن
يشفي الصـدور وأن يبري بـك الـقمـا

ومن هنا تتخلص القصيدة لامتداح السلطان المريني، لتعقب بالتهاني الحارة بافتتاح عاصمة الموحدين، ثم تكون الخاتمة تقديم القصيدة في أربعة أبيات تبتدي هكذا :

يـا بنت فكري ضعي عنـك النقـاب إذا
بلغت حضرتـه ثم انثري النظمـا[11]

☆ ☆ ☆

وقد حدث ـ بعد هذا في عام واحد وسبعين وستمائة ـ أن كان نفس السلطان احتفل ـ في مدينة سلا ـ بتنصيب ولده يوسف في ولاية العهد، وهي المناسبة التي انتهزها عبد العزيز الملزوزي ليقدم قصيدة موضوعية، وهو يستهل شعره بنسيب قصير، ثم يسجل ـ إثره ـ إرتساماته عن منظر البحر من شاطئ سلا، ليتخلص إلى ذكر ولاية العهد ومدح السلطان أبي يوسف، وقد جاء في نسيب القصيدة :

يـا ظبيـة الـوعسـاء قـد برح الخفـا
إني صبرت على فراقـك مـا كفى
كم قـد عصيت على هـواك عـواذلي
وأنـاب بـالتبعيـد منـك وبـالجفـا
حملتني مـا لا أطيـق من الهـوى
وسقيتني من غنـج لحظـك قرقفـا
وكـوتني ثـوب النحـول فمنظري
للنـاظرين عن العيـان قـد اختفى
هـذا قتيلـك فـارحميـه فـإنـه
قـد صـار من فرط النحـول على شفـا
لهفي على زمن تقضى بـالحمى
وعلى محـل بـالأجيرع قـد عفـا
أترى يعـود الشمـل كيف عهـدتـه
ويصير بعـد فراقـه متـألفـا

وأخيرا تختتم القصيدة بإهدائها والتنويه بمنشئها :

خـذهـا إليـك قصيـدة من شـاعر
في نظم فخرك كيف شـاء تصرفـا
خضـع الكـلام لـه فصـار كعبـده
مـا شـاء يصنع نـاظمـا ومـؤلفـا
لا زالت الأمجـاد تخـدم ملككم
مـا زارت الحجـاج مروة والصفـا[12]

---

11) القصيدة ـ بطولها ـ في «الذخيرة السنية» ص 119 ـ 121.
12) «الإحاطة» نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة 1977 : 4/23 ـ 25، مع الرجوع إلى مخطوط الإسكوريال.

# اللغة العربية في أبعادها الثلاثة

للدكتور محمد الكتاني

**ـ اللغة كمعادل للوجود والفكر**

تعتبر اللغة من المظاهر الأساسية للوجود الإنساني، إن لم تعتبر المظهر الوحيد والجوهري لما يتميز به الإنسان عن الحيوان. ومن ثم حددت الفلسفة القديمة الإنسان بأنه حيوان ناطق.

وعندما نحلل ظاهرة النطق أو ظاهرة اللغة حسب أي منهج من مناهج التحليل نجد أنفسنا أمام ثنائية لعلها مصطنعة، هي ثنائية الفكر واللغة. ونغرق حينئذ في خلاف لا ينتهي إلى حد، بين العلماء والدارسين حول علاقة الفكر باللغة.

ومن المفيد هنا أن نذكر أهم مذاهب أولئك الدارسين والمفكرين.

ـ فهناك موقف يعتبر اللغة والفكر شيئا واحدا لا ينفصل أمرهما عن الآخر كما لا ينفصل وجها العملة الواحدة عن بعضهما.

ـ وهناك موقف يعتبر اللغة قد سبقت الفكر، وأن الفكر نشأ بواسطتها وعبر تطورها.

ـ وهناك موقف يعتبر الفكر أسبق من اللغة، ومستقلا عنها، وأن اللغة مجرد وعاء خارجي يحتوي عملية التفكير.

وأصحاب الموقف الأول هم النفسانيون السلوكيون. وأصحاب الموقف الثاني هم الاجتماعيون والانثربولوجيون والفلاسفة الوضعيون المعاصرون. وأصحاب الموقف الثالث هم الفلاسفة المثاليون الذي يعتقدون أن اللغة ليست سوى وسيلة للتعبير. وأنها مستقلة عن الفكر وتابعة له تماما. وأن الأفكار تنشأ من غير أن يكون للغة دور في تكوينها. وأن الإنسان يفكر أحيانا ويستغرق في تفكيره من غير أن يقدر أحيانا على التعبير عما يخامره من الأفكار والخواطر.

ولا يسع المجال في سياق هذا الحديث للوقوف عند تقويم هذا الخلاف أو عرض أدلة كل فريق من أولئك الفرقاء، لأن الخلاف متشعب وممتد وعميق. ولكن حسبنا من الخلاف أن يفضي بكل فريق إلى ترتيب نتائج أو افتراض أساسيات في منطق التحليل للظواهر الاجتماعية ككل.

فالموقف السلوكي ينظر إلى سطح اللغة. أي الكلام كأنساق محفوظة وعادات يكتسبها الفرد ومن خلالها يكتسب التفكير نفسه.

والموقف الانثروبولوجي والوضعي ينظر إلى اللغة كعمق ومجال للفكر، ومن ثم يعتبرها مصدرا للفكر وقواما

له، وأن حدودها هي حدود الفكر نفسه، والموقف المثالي يعتبر اللغة آلة وواسطة ووعاء للفكر لا أكثر ولا أقل، ومن ثم يهتم بتكييف الفكر للغة وتأثيره فيها.

وقد اتخذت هذه المواقف لنفسها مناهج متباينة في دراسة اللغة. فمنها ما انصرف إلى دراسة اللغة (الكلام) في نطاق البنية الصوتية والدلالية والتركيبية للغة من اللغات أو لمجموعة من اللغات المقارنة فيما بينها للإنتهاء إلى الإحاطة بالبنية العامة لتلك اللغة.

ومنها ما انصرف إلى تحليل علاقة الفكر باللغة، وبحث أنماط الاستجابة اللغوية للمؤثرات الخارجية من حيث هي استجابة سلوكية فكرية ولغوية.

ومنها ما انصرف إلى تحليل أعمق للغة من حيث هي بنية باطنية، وبنية ظاهرية. وأن هناك علاقة تحويلية بين البنيتين يوفرها النحو الخاص بكل لغة. وقد أفادت البحوث اللغوية من هذه التعددية المنهجية، فازدهرت وتغلغلت في البحث عن العلاقة بين المؤسسة اللغوية وسائر الظواهر الإنسانية والإجتماعية الأخرى. وعكست هذه الجهود في مجموعها الاهتمام البالغ الذي حظيت به اللغة في الفكر العلمي المعاصر.

وإن دل هذا الاهتمام باللغة على شيء فإنما ينبغي أن يدل أساسا على دور اللغة في تحقيق إنسانية الإنسان أولا، ودورها في تحقيق معرفته لنفسه ومعرفته للكون المحيط به ثانيا، ودورها آخر الأمر في التواصل والتعايش والتفاهم.

فلولا اللغة ما كان للإنسان أن يؤسس مجتمعا ولا أن يؤسس معرفة ولا أن يعي عالمه ووجوده، ولا أن يحتفظ بإدراكاته ووعيه ولو للحظات، ولا أن يدخر تجربة من تجاربه للأجيال المقبلة.

وهذه طائفة من الآراء العلمية في سياق تأكيد هذه الحقيقة. يقول دي تراسي Destutt de Tracy (1836) وهو فيلسوف فرنسي من مدرسة كوندياك Condillac «إن تكوين الأفكار وثيق الصلة بتكوين الكلمات. فكل علم يمكن رده إلى لغة أجيدت صياغتها. ومعنى قولنا عن علم معين إنه تطور وتقدم هو أن ذلك العلم ضبط لغته. لا أكثر ولا أقل. ضبطا يتم إما بتغيير ألفاظه وإما بأن يحمل الألفاظ القائمة أدق في معانيها».

ويعلق الدكتور زكي نجيب محمود على هذا بقوله : كانت الفكرة الأساسية التي أراد دي تراسي عرضها على أعضاء اللجنة الفرعية (للعهد القومي الفرنسي للعلوم يومئذ) مستمدة من الإضافة التي أضافها (كوندياك) إلى (لوك)[1] وهي أن اللغة ليست بمجرد التعبير عن أفكار تكونت. بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التفكير نفسها. فاستنتج دي تراسي من ذلك أن تطوير العلوم رهين بتطوير اللغة، وهي نتيجة لها من الأهمية والخطورة ما لا يحتاج منا إلى بيان. لأنه في هذه الحالة يصبح محالا أن يتغير للناس فكر دون أن تتغير اللغة في طريقة استخدامها»[2].

«وقد كان سابير E. Sapir وهو أحد رواد علم اللغة الحديث من القرن الحالي من أكبر أنصار النظرية القائلة بأن اللغة هي التي تجعل مجتمعا ما يتصرف ويفكر بالطريقة التي يتصرف ويفكر فيها. وأن ذلك المجتمع لا يستطيع أن يرى العالم إلا من خلال لغته ويقول بالنص :

«البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده، ولا يعيشون فقط في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي، ولكنهم في الواقع يعيشون تحت رحمة تلك اللغة التي اتخذوها وسيلة للتفاهم في مجتمعهم. وحقيقة الأمر أن العالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين كما أنه ليس في العالم لغتان تتشابهان تشابها كبيرا إلى درجة اعتبارهما تمثلان نفس الواقع الاجتماعي»[3].

---

1) كوندياك CCONDILLAC فيلسوف فرنسي (1780).

2) ولوك (جون) LOK (JOHN) فيلسوف إنجليزي (1704).

2م) تجديد الفكر العربي ص : 211.

3) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة للدكتور نايفخرما ص 220.

وكـان المفكرون المسلمـون في عصـور الازدهـار الثقافي الإسلامي قد اهتموا باللغة من حيث هي أداة للتواصل وتحقيق المعرفة واكتشاف الحقيقة المرموز إليها في النص القرآني. وكانت لهم آراء ربما تفوق في قوتها وعمقها ما جاء به الغربيون. وكان الدافع إلى هذا التفوق المبكر في اكتشاف أهمية اللغة هو القرآن نفسه من حيث هو نص معجز من ناحية. ومن حيث خطاب يستوجب الفهم الأكثر صحة للنص. ومن حيث كون بعض آياته تفرض اللجوء إلى التأويل.

فهذا الجاحظ وهو أحد أئمة علم اللغة والأدب وعلم الكلام والفكر يؤكد أن العالم ينقسم إلى عالم يعي ذاته وغيره من العوالم وهو الإنسان وعالم لا يعي شيئا، فالكائنات إذن إما عاقلة وإما غير عاقلة. وإذا كان العالمان قد استويا من حيث الوجود فقد تفاوتا من حيث إدراك الوجود. وقد خص الإنسان بإدراك الوجود من حيث وهب البيان. أي القوة الناطقة. وقد وهب الخالق المدبر للكون هذا البيان للإنسان ليجعله دالا مستدلا، أي دالا بوجوده على وجود خالقه، مستدلا بالكون على الوجود المطلق، فاللغة للإنسان هي اقتضاء وجودي وليست عارضة من عوارض وجوده. وبهذا المعنى يكون الجاحظ قد أقر بأن الإنسان قد وهب اللغة والفكر معا لا أسبقية لأحدهما على الآخر. وإنما هما متكاملان لا يتراءى لك أحدهما متقدما إلا بدأ لك من وجه آخر أنه متأخر. وكان يتصور اللغة واصلة بين وجودين من عدة اعتبارات :

- فالإنسان روح ومادة، واللغة واصلة بينهما.
- والله مطلق الوجود. والإنسان نسبي الوجود والخطاب الإلهي وهو (لغة) واصل بينهما.
- ووجود الأشياء في حد ذاتها كون. ووجود الحكمة فيها كون آخر واللغة مرآة بينهما.
- والإنسان في ذاتيته عالم وسائر أفراده عوالم أخرى واللغة وصل بينهما.

وبهذا المعنى أيضا ندرك الفكرة التي قررها ابن حزم حين نزل الظاهرة اللغوية منزلة الباعث على التئام البشر مع مقتضيات الطبيعة، وبالتالي لالتئام الكون جملة، فقرر أن علاقة الإنسان بالأشياء إنما تتجلى في المعرفة. ثم قرر أن لا سبيل إلى معرفة حقائق الأشياء إلا بتوسط اللفظ.

فاللغة كما نظر إليها الفكر الإسلامي تترقى في منازل الوجود الإنساني فتكون قوة كامنة أي قدرة غريزية. ثم تخرج من القوة إلى الفعل ثم تصير كلاما مكتسبا وملكة وروية ثم تتوحد مع الفكر فتصير هي والفكر ملكة واحدة.

### اللغة كمعادل للقومية العربية

تأخذ اللغة من ناحية ثانية بعدا اجتماعيا وسياسيا حين ترمز إلى الوجود القومي في ماضيه وحاضره وتطلعاته. وحين تحقق لأبناء الأمة الواحدة الوحدة في المشاعر والأفكار.

ومن المتعارف عليه لدى علماء النفس أن هناك ثلاث نزعات أساسية تساعد على صياغة المجتمع صياغة متجانسة، وهذه النزعات هي : **المشاركة الوجدانية والاستهواء والتقليد**، حتى إنهم يطلقون على هذه النزعات أحيانا النزعات الاجتماعية، لأنها تعمل بقوة على تماسك البناء الاجتماعي وصيانته من عوامل التمزق والاختلاف.

فالمشاركة الوجدانية تعني إحساس الفرد بالانفعالات والمشاعر التي يحس بها آخرون من أفراد مجتمعه. فيطرب لطربهم، وينفعل بمشاعرهم ويأسى لأساهم.

والاستهواء هو التأثر بآراء الآخرين الذين يمثلون أي مظهر من مظاهر التفوق. والتقليد هو محاكاة وانقياد عفوي لإتيان سلوك يماثل سلوك الآخرين.

وتلعب اللغة الدور الأساسي في تحقيق هذه الأنماط من السلوك كلها، فعن طريقها يتم التعاطف والتأثر والاستهواء والاقتداء والتقليد.

نتصور مثلا طائفة من الناطقين باللغة العربية المتقنين للتعبير بها القادرين على التأثر ببلاغتها يخاطبون في أي موضوع بأسلوب عربي بليغ ومؤثر، ولو أنه خال من المنطق والاستدلال، فإنهم ينقادون للمخاطب وجدانيا وينفعلون بآرائه ويستجيبون عفويا لمقولاته.

بل إن الكلمات التي لكل لغة من الايحاءات والرموز والدلالات النفسية والتاريخية ما لا يمكن التعبير عنه بلغة أخرى، ولذلك لا مجال للحديث عن مجتمع متضامن أو وحدوي أو متآخ خارج لغته المشتركة التي تحقق الانسجام والتوافق والاشتراك في المشاعر والأفكار فيما بينهم، ولذلك يقول العالم اللغوي العربي الدكتور إبراهيم أنيس :

«إن القومية في حقيقة أمرها ليست إلا الشعور بما يجذب أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض لتتألف منهم وحدة متميزة. وقد تخدعنا بعض المظاهر الخارجية والعادات الاجتماعية الطارئة التي لا تتسم بالثبات والدوام. والتي تطرأ على الشعوب في فترة من تاريخها تحت ضغط سياسي أو اقتصادي أو حتى ثقافي. قد يخدعنا هذا كله فنلتمس فيه مقومات القومية، غافلين أو متغافلين عن الرباط الحقيقي ذي الصبغة الدائمة الخالدة الذي قامت القرون الطويلة بنسجه ودعمه وتعميق جذوره، في قلوبنا ونفوسنا وهو اللغة.

فتصورنا للقومية بوصفها رباطا وثيقا بين الأفراد يبدأ من الأسرة التي هي أصغر صورة للقومية ثم القرية وهكذا. وعلى قدر اتساع مناطق القومية يقل وثوق ذلك الرباط بين الناس، لا لشيء سوى أنهم يكتشفون أن بينهم فروقا نطقية محلية تباعد بينهم، وتخلخل تماسكهم. فإذا نشأ بينهم ما يسمى باللغة المشتركة عادت إليهم وحدتهم، وتطلعوا إلى هذه اللغة التي تلم شتاتهم، وتجمع ما قد تبدد من وحدتهم وانسجامهم. وإذا لم تتكون لقوم من الأقوام تلك اللغة المشتركة فلا قومية بينهم إلا من حدود الأسرة أو القبيلة[4]».

ولذلك قام بناة القوميات الأوربية في العصر الحديث بتعميق الوحدة اللغوية والارتكاز عليها في تحقيق الوحدة القومية بين شعوبهم. فهذا هودر العالم الألماني يكتب عن علاقة اللغة بنفسية الأمة، ويقول في هذا السياق :

«إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب أو الأمة من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وإن قلب الأمة لينبض في لغتها، ويتحرك بحركتها. وإن من يحاول أن ينتزع من شعب لغته أو ينال من أقوالها يحاول أن يمس أثمن ثروة لذلك الشعب[5]».

ونظن أن اللغة العربية أصدق مثال وأوفاه على ما للغة من تأثير في تحقيق الوحدة والتضامن والعمل على الاستمرار التاريخي في ظل القيم التي تدخرها اللغة العربية عقيدة وتراثا وقيما أخلاقية.

ويستطيع المرء أن يلاحظ أن الشعور بالوحدة العربية لدى العرب نشأ منذ العصر الجاهلي واستمر إلى العصر الحديث، مرورا بكل العصور التاريخية الممتدة على مدى القرون. وأن يلاحظ أن اللغة العربية كانت في مقدمة عوامل هذه الوحدة، ويجد في القرآن الكريم البوتقة التي صهرت كل الأجيال والعقول والقلوب في قالب واحد من التجاوب العميق مع كلام الله. ومن خلال هذا التجاوب الذي لا ينقطع لحظة عبر التاريخ الإسلامي تكونت لدى المسلم العربي خاصة تلك الاستجابة اللغوية الحميمة إلى كل خطاب عربي آخر، والتي ظلت تشده إلى العربية آدابا وتراثا وفكرا وتاريخا.

فلا غرابة أن تتجه حركة النهضة الحديثة في عالمنا العربي إلى استثمار هذا العامل الأساسي في استرجاع الوحدة العربية، كما لا غرابة أن يتجه الاستعمار الغربي منذ احتل الأوطان العربية إلى تدمير هذه اللغة ومحاصرة تأثيرها، وتضييق نطاقها وفصل الأجيال الحديثة عن ماضيها بكل وسيلة من الوسائل.

وفي فجر الانبعاث العربي ظهر المصلحون الكبار الذين أيقظوا الشعوب العربية من سباتها ووجهوها نحو الإصلاح وطرح الأفكار البالية والتقاليد الجامدة. وكان في مقدمة ما دعوا إليه إصلاح اللغة العربية، يقصدون لغة الكتابة التي كانت قد تحولت إلى صناعة ركيكة أو عامية

4) ابراهيم أنيس : اللغة بين التربية والعالمية ص 103.

5) المرجع نفسه.

فجة، وفي مقدمة المصلحين يأتي الشيخ محمد عبده الذي قال عن نفسه وهو يحدد أهداف الاصلاح :

«وارتفع صوتي بالدعوة إلى إصلاح أمرين خطيرين أو عظيمين :

1) تحرير الفكر من التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة.

2) وإصلاح اللغة العربية».

هكذا بدا منهج الإصلاح لمفكر عميق النظر، فهو يقوم على قطبي الفكر واللغة. وقد كان إصلاح اللغة يعني تحريرها من الجمود، وإحياء تراثها بإحياء ثقافتها من جديد. بعد أن فسدت أذواق الناس وجمدت قرائحهم واستعجمت ألسنتهم، ووقعت القطيعة بينهم وبين تاريخهم وتراثهم.

لم يفهم الناس يومئذ معنى أن تكون البداية من اللغة هي البداية المنهجية للنهضة، بل مشوا مكبين على وجوههم، وظنوا أن البداية للرقي هي في اصطناع الأزياء الجديدة، واستهلاك المصنوعات الغربية الحديثة. إذ كان تصورهم للغة من البساطة بحيث لم يتجاوز حدود الإدراك العامي. إلا أن الزمن كان كفيلا بأن يظهر ذلك التناقض الذي ينطوي عليه واقع الأمة العربية يومئذ، إذ بعد مرور عقدين أو ثلاثة من السنين بدأ الصراع اللغوي بين أنصار الفصحى وبين أنصار العامية، بين دعاة القومية الضيقة الذين رأوا منهج النهضة في إحياء لغات مندثرة أو اصطناع عاميات مبتذلة، وبين دعاة اللغة العربية وحماتها الذين رأوا ألا قومية ولا شخصية إلا في إطار الإسلام والعروبة بالمعنى اللغوي لا العرقي.

**اللغة كمعادل للعقيدة :**

إن ارتباط اللغة العربية بالإسلام من المسائل التي مر بها الكثير من الباحثين والمفكرين من غير أن يمحصوها بالقدر الذي ينبغي إلا قليلا منهم.

ومن هذا القليل نجد الإمام الشافعي في مقدمة الأئمة الذين أحسوا بارتباط اللغة العربية بالدين من جهة إعجاز القرآن الذي هو مناط العقيدة والبرهان على صدق مبلغها. ومن جهة الاستنباط لأحكام الشريعة على أساس فقه اللغة التي نزل بها القرآن. ومن جهة تصحيح العقيدة في المسائل المشتبهة حين تهجم الشبه على عقول الجاهلين بلغة القرآن فيحسبون المجاز حقيقة والحقيقة مجازا، والمحكم متشابها والمتشابه محكما. وقال في رسالته :

«فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله تعالى، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك. وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيرا له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها، ويأتي البيت، وما أمر بإتيانه ويتوجه لما وجه له، ويكون تبعا فيما افترض عليه وندب إليه لا متبوعا».

ومن هؤلاء الأئمة المحدثين الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار[6] الذي قال في الموضوع :

«وجملة القول إن إقامة دين الإسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل وسنة نبيه المرسل، سواء في ذلك هدايته الروحية ورابطته الاجتماعية وحكومته العادلة المدنية، وأن المسلمين لم يكونوا في عصر من العصور أحوج إلى الوحدة المفروضة عليهم المتوقفة على هذه اللغة فهم في هذا العصر الذي تمزقوا فيه كل ممزق، فأصبحوا أكلة لمنهومي الاستعمار ومستعبدي الشعوب، وصدق رسول الله ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»[7].

وقد لاحظ الكاتب المفكر الحجة مصطفى صادق الرافعي بأن القرآن جعل الجنسية العربية تسع وتشمل كل المؤمنين عن انقياد وسخاء واعتزاز، بعد أن قاد العرب إلى

6) الجزء التاسع ص 312.

7) المرجع السابق.

رحاب الإيمان والهداية بزمام الإعجاز وروعة البيان الذي كان لهم فطرة غالبة. ويقول :

«ولقد كان من إعجاز القرآن أن يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة الجنسية لا عصبية فيها[8] إلا عصبية الروح، إذ أخذهم بالفطرة حتى ألف بين قلوبهم، وساوى بين نفوسهم، وأجراهم على المعدلة في أمورهم، فجعل منهم أمة تسع الأمم بوجهها كيف أقبلت، لأنها لا توجهه إلا لله، فكان بينها وبين الله كل ما تحت السماء. ومن هذا المعنى نشأت الجنسية العربية، فإن القرآن بدأ كما علمت بالتأليف بين مذاهب الفطرة اللغوية في الألسنة، ثم ألف بين القلوب على مذهب واحد، وفرغ من أمر العرب فجعلهم سبيلا إلى التأليف بين ألسنة الأمم ومذاهب قلوبها، على تلك الطريقة الحكيمة التي لا يأتي علم التربية في الأمم بأبدع منها.

فأما التوفيق بين مذاهب قلوبهم، فباللين الطبيعي الذي جاء به القرآن، ولو نزعت الطبيعة الإنسانية إلى غير معانيه لكانت طبيعة شر، وإن ظنت منزعها إلى الخير، وأما التأليف بين ألسنتهم فيما ذهب إليه من المعنى العربي الذي حفظه القرآن على الدهر، ببقائه على وجهه العربي الفصيح لفظا وحفظا وأداء، لا يجد إليه التبديل سبيلا، ولا يأتيه الباطل موجها أو محيلا، ولا يدخله التحريف كثيرا أو قليلا، بحيث كأنه عقدة لغوية لا تتحلل منها الألسنة المختلفة أبدا، وهذا من أرقى معاني السياسة، فإن الأمم إن لم تكن لها جامعة لسانية، لا يجمعها الدين ولا غير الدين إلا جمع تفريق، وجمع التفريق هذا هو الذي يشبه الاجتماع في الأسواق على البياعات وعروض التجارة ونحوها، فإن سوق الأمم تتاجر فيها الأديان والأهواء وتكدح فيها المصالح والمفاسد، وفيها كذلك التغرير والخطار، والكذب والخداع، ولكل من أهلها شرعة ومنهاج. فبقاء القرآن على وجهه العربي، مما يجعل المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم، من الأسود، إلى الأحمر، كأنهم في الاعتبار الاجتماعي وفي اعتبار أنفسهم جسم واحد ينطق في لغة التاريخ بلسان واحد، فمن ثم يكون كل مذهب من مذاهب الجنسية الوطنية فيهم قد زال عن حيزه، وانتفى من صفته الطبيعية، لأن الجنسية الطبيعية التي تقدر بها فروض الاجتماع ونوافله، إنما هي في الحقيقة لون القلب لا سحنة الوجه»[9].

وبعد أن يستعرض صنيع التاريخ باللغات الكبرى من يونانية ولاتينية وصنيع التاريخ بلغات الكتب السماوية بالأخرى وصنيع التاريخ باللغات الأوربية في تفرقها وتشعبها وإدالة بعضها من بعض يلتفت إلى العربية فيجدها قد صمدت لدواعي الانهيار والزوال بفضل القرآن.

كيف صيرها القرآن جنسية متجددة مع الأجيال، يعصمها من الزوال كما يعصم العقيدة من الزيغ والانحراف. ولم يمنع ذوي السلطات والنفوذ أن ينزلوا العاميات منزلة العربية إلا القرآن.

على أن البعد العقدي الذي تتميز به اللغة العربية هو كما وقف عليه الشافعي بعمق وهو أن اللغة العربية هي السبيل إلى إدراك معجزة القرآن، وأن الإيمان يقوى بقدر تمكن المسلم من لغة القرآن. ويضعف بقدر ضعفه فيها. وإننا لنشاهد هذا في عصرنا مشاهدة المحسوس، ونرى أن الأجيال التي فقدت سليقة العربية، ورامت اكتسابها بالتعلم، ولم تنل أي حظ من التكوين العربي يضاهي ما حصلت عليه من اللغات الأجنبية هي في إيمانها على قدر نسبة تحصيلها من العربية أو تمكنها فيها.

وإن السؤال الذي يقض مضاجع الغير على دينهم هو : كيف يتسنى للأجيال التي لم تنشأ على العربية أن تؤمن بكون القرآن معجزا، وهي لا ترى في لغته ذلك الإعجاز الذي يميزه عما سواه، من ضعف تمييزها بين طبقات الكلام العربي، فكأنها عديمة الإحساس بأقوى دلائل نبوة محمد ﷺ وهو هذا الاعجاز القرآني.

---

8) إشارة إلى الحديث الشريف : (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية).

9) الرافعي : إعجاز القرآن ص 88/87.

وهـذا مـا أحس بـه مفكر مسلم خضع في تكـوينـه العقلي واللغوي للثقافة الغربيـة، وأدرك الحواجز التي تحول بينـه وبين تمحيص عقيدتـه، فـوثب بـه الإيمـان على لب المشكلات التي تتخبط فيها الأجيال التي نشأت مثلـه على ثقافة معادية للإسلام باسم العلم.

قال مالك بن نبي في كتاب الظاهرة القرآنية :

«لقد قام إعجاز القرآن حتى الآن على البرهان الظاهر على سمو كلام الله فـوق كـلام البشر، وكـان لجـوء التفسير إلى الدراسة الأسلوبية لكي يضع لإعجاز القرآن أساسا عقليا ضروريا، فلو أننا طبقنـا نتـائج فرض مـارجليوث كمـا فعل الدكتور صباغ ـ لانهار ذلك الأساس. ومن هنا توضع مشكلة التفسير في صورة خطيرة بـالنسبـة لعقيـدة المسلم، أعني بـالنسبـة إلى إعجـاز القرآن في نظر هـذا المسلم. وربمـا لم يكن التطور العقلي ليقتصر عن دفع شبـابنـا الجـامعي إلى ملاحظة تقادم المقياس القديم إن ذلك المقيـاس الـذي كـان يقدم حتى ذلك الحين الدليل القـاطع على المصدر الغيبي للقرآن. أما بالنسبة للعقل ذي الصبغة الديكارتية فأيـة قيمـة تبقى لبرهان يبدو منذئذ وقد فقد موضوعيتـه، وأصبح ذاتيـا محضا وهذا الموضوع لا يتصل ببيان القرآن الـذي بقي على ما هو عليه حين نزوله، ولكن بوضع المسلم نفسه.

والحق أنـه لا يوجـد مسلم ـ وبخـاصـة في البلاد غير العربية ـ يمكنه أن يقارن موضوعيا بين آيـة قرآنيـة، وفقرة مـوزونـة أو مقفـاة من أدب العصر الجـاهلي، فمنـذ وقت طـويـل لم نعـد نملـك في أذواقنـا عبقريـة اللغـة العربيـة، ليمكننا أن نستنبط من مقارنة أدبية نتيجة عـادية حكيمـة، ومنـذ وقت طـويـل أيضا تكتفي عقـائدنـا في هـذا البـاب بـالتقليـد الـذي لا يتفق وعقـول المتعلقين بـالمـوضـوعيـة. فمشكلة التفسير توضع إذن في ضوء جديد»[10].

وهكذا يمكن تأكيد ارتبـاط اللغـة العربيـة بـالعقيـدة ارتبـاطـا عضـويـا ويصبـح التمكن منهـا واستمرار أنسـاقهـا ونظـامهـا من قبيل الضرورة التي تفرض استمرار الـدين من قبيل الضرورة التي تفرض استمرار اللغة العربية.

نخلص من هذا التحليل لأبعاد اللغـة العربيـة الفصحى باعتبـارهـا معـادلا للفكر ومعـادلا للعقيـدة ومعـادلا للقوميـة بمعناها الإنسـاني لا بمعنـاهـا العرقي، نخلص من هـذا كلـه إلى نتيجة أساسية تفرض نفسها وهي أن الحفـاظ على اللغـة العربية بأنسـاقهـا ومعجمهـا ونحوهـا وجمـاليـاتهـا ومنطقهـا الـداخلي هو في نفس الـوقت حفـاظ على الـوجـود العربي والإسلامي والإنسـاني للأمـة التي تلتف حول القرآن وتلتـزم برسـالـة الإسلام وتحمل للإنسـانيـة منـذ القـدم رسـالـة خير وعطاء وإسهام حضاري ونضال عن القيم العليا.

إن هـذا التطـابق بين الوجود وبين اللغـة في الإطـار العقدي والإنساني والقومي يفسر لنا لم كانت اللغـة العربيـة مستهدفة دائما للتشغيب عليها وعلى النـاطقين بهـا، من قبل الشعوبيين القـدمـاء والشعـوبيين الجـدد والمستعمرين، على النحو الذي نجده مفصلا في التاريخ العربي الحـديث، ممـا لا داعي لتناوله في هذه المقالة[11] ولذلك ينبغي أن نـدخل في حسابنا كلمـا هبت زوبعـة من هـذه الزوايـا المصطنعـة للنيل من اللغة الفصحى أنها خطة من خطـط الغزو المبيتـة ضـد الأمـة العربيـة للمس بـأقـوى عروة من عرى وجـودهـا والتحامها.

ولن تكون عاقبة الذين يخوضون المعركـة ضـد اللغـة العربية أو يحطبون في حبل أعدائها غير عاقبة الـذين خلوا من قبل.

---

10) الظاهرة القرآنية ص 56.

11) فصلنـا الكلام في هـذا المـوضـوع في كتـابنـا (الصراع بين القـديم والحديث) فليرجع إليه من شاء الوقوف على تفاصيله.

من مخطوطات القرويين:

# كتاب بهجة الناظرين وأنس الحاضرين

عرض: الأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

كتاب يتحدث عن الشرفاء الحسنيين آل أمغار، الذين كانوا يسكنون بزاوية عين الفطر قرب مدينة أزمور، والذين كانوا يمثلون ظاهرة صوفية عملية، قائمة على نشر العلم وإقرار السنة المحمدية، ومحاربة كل الانحرافات العقائدية.

سار مؤلفه على نسق القدماء المهتمين بذكر الكرامات، وتسجيل خوارق العادات، ولكنه في الوقت ذاته كان يسجل بعض اللمحات التاريخية والاجتماعية والفكرية المنسجمة مع السياق الواقعي الذي لا يثير أي اندهاش عند القارئ العقلاني.

وقد حظيت هذه الزاوية في إطارها التاريخي بتقدير جلّ الدول التي تعاقبت على المغرب في عهدهم، نظرا لموقفهم الشريف واعتقادهم الطاهر، ونظرا لالتزامهم بمبادئهم التي قاموا عليها، فنحن نرى في الكتاب بعض الظهائر والرسوم، وبعض الرسائل الرسمية التي أثبتت انتسابهم لذرية النبي ﷺ، والتي أوصت بهم خيرا، أو التمست منهم دعاء صالحا، أو أعفتهم من بعض الجبايات المفروضة نظرا لما يقومون به من عمل بناء في توجيه الرأي العام نحو العلم والعمل.

كان ذلك ابتداء من الدولة الزناتية اليفرانية حيث نجد رسالة موجهة إلى إسحق بن إسماعيل الآمغاري من لدن الأمير تميم بن زيري بن يعلى ثم استمر ذلك من بعد، فنجد في الكتاب بعض الرسائل أو الرسوم من علي بن يوسف بن تاشفين أثناء عهد المرابطين، وبعض الرسائل مما كتبه أبو العلاء إدريس بن أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المومن وهو المعروف بأبي دبوس، أيام عهد الموحدين، ومما كتبه يوسف بن يعقوب المريني وأبو عنان من بعده في عهد المرينيين.

فمن هؤلاء جميعا صدرت الرسوم والرسائل الدالة على قيمة الأمغاريين في تاريخ المغرب وعلى مدى اهتمامهم بالإصلاح الجذري الذي بنوه على أصول من العلم والتقوى، إذ ليس هناك مجال لإنقاذ الإنسان إلا على طريق الجمع بين تربية العقل وتربية النفس معا، ولا يتأتى ذلك إلا بالمعرفة الهادفة، والأخلاق الطيبة الصالحة.

هذا وإن النسخة الموجودة بالقرويين تحمل الرقم 871 وهي مكتوبة بخط مغربي جميل جدا في مقياس 27 × 18 وتشتمل على اثنين وثمانين ورقة يمكن الاستفادة من أكثرها اللهم إلا ما يتعلق بالورقتين الأوليين فإن بهما بترا واضحا نظرا لضياع جزء كبير من طرفيهما.

يبتدئ الكتاب بقول المؤلف :

«الحمد لله الذي زين ذرية نبيه محمد ﷺ بتاج الشرف والكرامة، وألبسهم حلل المجادة، وحلي السيادة، وخصهم بين الأمم بمراتب الرفعة ومزايا الأثرة والإمامة، وجبلهم على مكارم الأخلاق، وكرم الأعلاق بأوضح علامة.

ثم استمر في الخطبة إلى أن قال عن أهل البيت النبوي :

«من أحبهم ووالاهم، وأكرم مثواهم وجلّ قدرهم وجبت له الكرامة، ومن باعدهم ونأهم وأبغضهم ولم يتولهم وجبت عليه الملامة، ومن أعرض عنهم ولو قلامة ظفر كان حقّا أن يحرم من شفاعة جدهم محمد ﷺ يوم القيامة».

وتوجد من نفس الكتاب نسخ كثيرة في الخزانات المغربية، من ذلك نسخة بالخزانة الحسنية مسجلة تحت رقم 1358 وقد وصفها الأستاذ محمد عبد الله عنان في الجزء الأول من فهرس الخزانة الملكية المطبوع عام 1980 وفيه ذكر محتواها الذي يكاد يكون هو نفس المحتوى الذي ذكره الأستاذ المرحوم السيد محمد العابد الفاسي حول نسخة القرويين.

ومن ذلك نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 3770 وهي التي اعتمد عليها الباحث الدكتور صباح إبراهيم الشيخلي في دراسته حول آل أمغار وهي دراسة في تركيب وبناء المجتمع العربي الصنهاجي في مدينة أزمور في القرن الخامس الهجري، وقد نشرت هاته الدراسة بمجلة البحث العلمي العدد الثالث والثلاثين الصادر بشهر نونبر عام 1982 إلا أنه نسب الكتاب لمحمد بن عبد العظيم الزموري الأكبر الذي قال عنه إنه كان معاصرا للسلطان المريني أبي سعيد المتوفى سنة 731 هـ موافق 1330 ميلادية.

والظاهر أنه نقل هذا التاريخ من التعليق الذي كتبه الأستاذ أدولف فور محقق كتاب التشوف حين ترجمته لمحمدبن عبد الله الأمغاري فقد تعرض في ذلك التعليق لكتاب بهجة الناظرين ونسبه لمحمد بن عبد العظيم الزموري الأكبر وهو سهو واضح. ولو تأمل السيد الشليخي أدنى تأمل لتبين له خطأ هذه النسبة ولتحقق بأن هناك شخصين كل منهما يسمى بنفس الاسم، أما أولهما فهو الأكبر وهو مؤلف الكتاب الذي يسمى بالأخبار في كرامات الشرفاء بني أمغار وكان حيا في عهد أبي سعيد المريني، وأما الثاني وهو مؤلف كتاب بهجة الناظرين فهو الأصغر وكان حيا عام تسعمائة هجرية حسب ما يذكره الذين ترجموا لحياته.

ويبدو مما سجله في كتابه أنه كان محبا لآل أمغار محبة عظيمة، يتبرك بذكرهم، ويشير إلى آثارهم، ويتتبع خطاهم في جل ما قاموا به من أعمال.

ورغم كونه كان ينشر بعض الرسوم المتعلقة بهم الصادرة عن مختلف الدول التي تحدثنا عنها سابقا، فإن أهم مرسوم كانت له به العناية الكبرى، كان هو المرسوم الصادر عن يوسف بن يعقوب المريني، نظرا لقيمته التوثيقية، ولما يحتوي عليه من الشهود المختلفين، الذين أدوا شهادتهم لدى القاضي عبد الله بن أحمد بن عبد الله البرغواطي قاضي أزمور في حينه، وذلك عام ستة وتسعين وستمائة هجرية (ورقة 7).

وتنص هذه الوثيقة نصا صريحا على صحة انتسابهم، ولقد أقر هذه النسبة جل المورخين المغاربة، ومن بين الذين ذكروها ذكرا يقينيا الفقيه سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله في الجزء الثاني من كتابه سلوة الأنفاس صفحة 218.

وعليه فلا معول على من أنكر نسبتهم، أو على من ظن أنها لم تلحق بهم إلا لأغراض سياسية، لأن الإنكار لا مبرر له ولا حجة عليه، ولا يؤيده دليل، وليس من المعقول ربط الموازنة بين المغالاة في إثبات الكرامات لهم وبين إثبات النسبة الشريفة لهم ليجعل ذلك مدعاة إلى النفي والإنكار.

وقد نبه ابن عبد العظيم في هذا الكتاب إلى أنهم كانوا مقربين عند صنهاجة أزمور، وأنهم جاوروهم وصاهروهم فصاروا يعرفون بالصنهاجيين نظرا لهذه المصاهرة والمجاورة، فليس مرجع الانتساب إليهم ناتجا عن

تولد منهم، وإنما مرجعه إلى المصاهرة المذكورة سابقا. ولا أدري على أي مصدر اعتمد الأستاذ أحمد بوشرب في كتابه عن دكالة حينما ذكر أن الأمغاريين وأبناء أبي محمد صالح الماجريين قد أعطوا لأنفسهم أنسابا شريفة مع أن بربريتهم لا غبار عليها.

إن هذا النفي لا مبرر له ولا دليل عليه، ولعل الملابسات التاريخية تقتضي عكسه لأن ظروف المغرب في الحقبة التي أقبل فيها الأمغاريون إلى بلاد دكالة في أواخر القرن الرابع الهجري كانت تتطلب رد فعل ضد الأعمال السيئة التي قام بها من قبل موسى بن أبي العافية إزاء الأشراف الأدارسة فلقد اضطروا في أيامه إلى الالتجاء إلى كل من يقدر على حمايتهم أو سترهم أو مساعدتهم على الهجرة إلى أي مكان، فلما انقضت دولة ابن أبي العافية تنافست القبائل في محاولة إنصاف الأشراف والتقرب إليهم واستدعائهم من مختلف الآفاق، وتسابقت إلى مناصرتهم ومصاهرتهم ليعوضوهم بذلك ما فقدوه أيام محنتهم.

وفي إطار هذه الرغبة الملحة القائمة على إنصاف الأشراف ومحبتهم والتبرك بهم، والمبنية على محاربة السياسة السابقة التي كانت في عهد موسى بن أبي العافية، يمكننا أن نربط التواصل الحاصل بين الشرفاء الحسنيين آل أمغار وبين صنهاجة أزمور. ثم زادت هاته العلاقة متانة حينما برز في هذه الأسرة أعلام لهم وزنهم العلمي والأخلاقي حسب ما سنراه فيما بعد أثناء تفصيل الحديث عن هذا الكتاب. الذي اعتمد فيه مؤلفه على أخبار شفوية من جهة، وعلى مصادر مدونة من جهة أخرى.

فمن المصادر التي أشار إليها واستفاد منها «كتاب الوسائل والزلفى» لأبي عمران الزناتي وكتاب «مطالع الأنوار في كرامات أسلاف بني أمغار» للشيخ الفقيه أبي عمران بن عيسى الهنائي وكتاب «تحفة الأصفياء في تعريف الأولياء» له أيضا، وكتاب «الأخبار في كرامات الصالحين بني أمغار» للشيخ الفقيه محمد بن عبد العظيم الزموري الأكبر وكتاب «تنقيح الأخبار في كرامات الصالحين بني أمغار» وهو لم يعزه لأحد، وقد نقل منه الشيء الكثير، وكتاب «أنس العارفين في بني أمغار الصالحين» ولم يعزه أيضا لأحد. ولقد ذكر الفقيه السيد عبد السلام ابن سودة رحمه الله في كتابه «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» أن هذا الكتاب وأمثاله من الكتب المؤلفة في مناقب آل أمغار والتي لم تعز لمؤلف معين قد تكون للتجيبي وقد تكون للتادلي صاحب التشوف وقد تكون لمحمد بن عياض، ذلك أن هؤلاء قد أشار إليهم صاحب دوحة الناشر وذكر أنهم قد ألفوا كتبا في ذكر هذا البيت الشريف.

ولقد رأيت أن ربط الأحداث التاريخية بهذه الأسرة الكريمة لا يتأتى لنا إلا إذا حددنا أسماء أعلامها المشهورين ليكون ذلك تيسيرا لتحديد الزمن ولتحديد التصورات الفكرية المحيطة بها، وسأعمل جهد مستطاعي لاستخلاص الجوانب ذات الفعالية في بلورة الروح المغربية وفي بلورة التطورات الحضارية دون أن أركز على الجانب الصوفي المبني على الكرامات، لأن ذلك سأرجئه لدراسة أخرى تتلاءم مع التصديق التلقائي الذي يصدر عن أصحاب الذوق والذي لا يتنافى أحيانا مع الإمكان العقلي.

**• 1 - إسماعيل أمغار**

يقول المؤلف إن جدهم الذي أتى إلى المغرب في القرن الرابع الهجري وهو **إسماعيل أمغار** كان يسكن المدينة المنورة ثم انتقل إلى جدة ومنها انتقل مع أخوين له إلى المغرب فاستوطن بموضع بساحل البحر وهو الذي سمي برباط عين الفطر قرب أزمور. أما أخواه فقد ذهب أحدهما وهو الشيخ أبو زكرياء إلى أراتوعزا من بلاد حاحا فتناسل منه الشرفاء الزكراويون، وأما الآخر وهو أبو يعقوب فقد ذهب إلى موضع الشبيك ببلاد جانانة فتناسل منه الشرفاء الشبوكيون.

وذكر المؤلف أن الموضع الذي أقام به إسماعيل كان ملكا لقبيلة جدالة وهم رؤساء صنهاجة وأعيانهم، فلاحظوا وجود هذا العابد بين أظهرهم فأعلموا بذلك قائدهم وزعيمهم عبد العزيز بن بطار وأخبروه بحالة هذا الشريف وبزهده وبعبادته، الشيء الذي جعل بينه وبين بعض الحيوانات الموجودة بهذه الأرض ألفة لا تتسنى لكل أحد، فأعجب ابن

بطار بهذه الظاهرة واقترح عليه أن يزوجه بابنته فقبل ذلك وأصبحت هذه المصاهرة ذات فعالية في خلق انسجام بين الشرفاء الأمغاريين وبين صنهاجة أزمور حتى أصبحوا يعرفون أحيانا بالشرفاء الصنهاجيين نظرا للتجاور والتصاهر الحاصل بينهم.

• 2 - **إسحاق بن إسماعيل**

وشاءت الأقدار أن تلد هذه المرأة الصنهاجية من زوجها إسماعيل ولدا ذكرا سموه **إسحاق** فنشأ في طلب العلم وفي ممارسة العبادة، وتعهده والده بعناية وأنشأه على سننه في احترام العلم والعمل، وظل محبوبا لدى القبيلة الصنهاجية طوال حياة والده فلما توفي الوالد خلفه ابنه وقام مقامه في توجيه القبيلة وتعليمها، وكانت سنه إذ ذاك بلغت الخامسة والعشرين.

كانت الحقبة التي نشأ فيها إسحق عسيرة جدا، لأنها كانت تمثل أيام اضطراب وفتن ناتجة عن بعض الحروب الداخلية التي سادت البلاد من أجل البحث عن استقرار يعيد لها هيبتها التي ضاعت أيام تدخل الدولة المروانية والدولة الفاطمية في شؤون المغرب في أواخر عهد الأدارسة أثناء القرن الرابع الهجري.

وكان هذا التدخل القوي من عوامل انحلال الدولة الإدريسية ومن عوامل تأسيس دولتي مغراوة وبني يفرن.

إن دولة مغراوة كانت تحكم مدينة فاس وما جاورها، وأما دولة بني يفرن فكانت تحكم مدينة سلا وتادلا وما جاورها. وكان يعمل زعيمها الأمير تميم بن زيري على إدماج ملك المغراويين إليه زيادة على أنه كان يعمل على محاربة البرغواطيين بأرض تامسنا بحيث كان يغزوهم مرتين في السنة.

ومن المعلوم أن بلاد أزمور كانت محط عنايته فقد أراد أن يشجع فيها الحركة السنية فوجد في آل أمغار ضالته لذلك كان يشجعهم ويعينهم لأن موقفهم السني يتلاءم مع أهدافه التي كان يريد تحقيقها.

وقد سجل لنا ابن عبد العظيم في كتابه رسالة كتبها تميم بن زيري ابن يعلى اليفرني إلى أبي جعفر هذا يقول فيها (ورقة 25) :

«من عبد الله المتوكل عليه، المفوض أمره إليه، ابن الأمير أيده الله بنصره، إلى أبي جعفر إسحق بن الشيخ الولي ذي المآثر الشريفة، والمراتب الدينية المنيرة، المشرفة بالسعادة الدنيوية والأخروية ونفائس الكرامات العظمى، والسجايا العلوية الحسانية المذهبة للظما، أبا عن أب، عن سلفه الصالح المنتمي بالبنوة، إلى مراتب النبوة، قطب المدار، إسماعيل أمغار، المتبرك نفع الله به.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد حمد الله العظيم، والصلاة على نبينا المصطفى وعلى آله نعم الآل، والرضا عن مصابيح الإسلام، أصحابه البررة أهل الدين المستقيم، وعلى الأئمة الخلفاء الراشدين...

فإني كتبت لكم معلما بمالي في جنابكم من الاعتقاد، وخلوص المحبة وحفيل الوداد، وإني راغب بأن استظل بظل عنايتكم، وأحظى ببركتكم، موقنا بعهد الله في مرضاتكم، طالبا من الله الثبات على سبيل طريقتكم، خائفا منه الطرد والحرمان عن بابكم، فإني لحمد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، رأيت أفضل ما يقربني إليه خلوص محبتكم، وتوقيركم على الدوام والاستمرار، بقطبانيتكم الظاهرة للأنوار، بسطت رعيكم المأمول، واستظهرت جانب البرو القبول، والخير المستمر الدوام الموصول، وصرفت عليكم الزكاة والأعشار لتفرقوها على أيديكم من الأغنياء إلى المساكين لصدقكم في ذلك، وتحرير الأقرباء والجيران والشركاء والأصهار إلى غير ذلك، والمفسدين فلا حرج عليهم ولا تتريب على أحد منهم فيما تقدم، ولهم من الصفح الشامل والعفو السابغ الكامل، ما يستقرون به في مهاد العافية، ويوردهم من آمالهم الموارد الصافية، وليكونوا موقنين بما يستقبلونه من الدعة الضافية الجلباب، والأمنة التي يتعرفونها بحول الله تعالى دائمة الاستصحاب، هم أعينها ولهم صفاتها وفيهم رغبة الاتصال بكم، والتكفل

بخدمتكم، والتمسك بكم التماسا لحرمتكم وبركاتكم، والله سبحانه ينفع المسلمين ببركاتكم، ويسقينا من سمائكم بسحائب الرضا المأمول الرحمى، ويجعلكم طارحين عنا الوزر الأمنع الأحمى، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وكتبه في أوائل ربيع الأول المبارك عام تسع وأربعمائة عرفنا الله خيره وبركاته».

صح وكتبه تميم بن زيري.

إن هذه الرسالة تصور لنا جانبا من سياسة بين يفرن ببلاد المغرب آنذاك، وتوضح لنا ذلك التقرب إلى أهل السنة، وتبرز لنا جانبا من سياستهم الجبائية، فهم إذا كانوا يتركون الحرية للأمغاريين ولأقاربهم وجيرانهم في توزيع زكواتهم فإن معنى ذلك أن المراقبة على الزكوات كانت داخلة في سياسة الدولة وفي اختصاصاتها.

هذا وإن إسحاق الذي وجهت إليه هاته الرسالة بالذات كان محترما لدى الخاص والعام، ولقد أقام فترة من حياته بمدينة أيير واستطاع في هذه الفترة أن ينشر كثيرا من آرائه السنية، وأن يجعل السكان يخضعون لسلوكه، ويتأثرون بأخلاقه، فقد ورد في الكتاب الذي تتحدث عنه أن أهل أيير كان يدعوهم إلى عبادة الله، واتباع سنة رسوله ﷺ، لا يفارق من اجتمع معه بالذكر والموعظة حتى يرق قلبه ويطمئن إلى عبادة الله تعالى، ولا يقرأ أحد إلا وينال من بركته في العلم والدين، ولا يراه من هو لص وبه خاينة إلا ويتوب ببركته.

ومن المفروض في الرجل الذي تجتمع فيه هذه الصفات أن يكون موفور العقل، مكتمل الشخصية، صادق القول والفعل، وأن تكون الجوانب العلمية غير مهملة، وأن تكون الطرق التربوية والتلقينية تتجاوب مع روح المتلقين.

وحيث إن الموقف العقائدي كان له أثر في التوجيه الفكري والديني فإن الاهتمام به كان ضروريا في تلك الحقبة، لذلك عمد هذا الشريف إلى البحث عمن يحدد موقف أهل السنة من الاعتقاد الذي يوفق بين الإيمان الصادق وبين استخدام بعض الأقيسة المنطقية، دون أن يخرج العقيدة عن مسارها المستقيم واستعان في ذلك بأهل العلم وبحث عنهم ولو في غير إقليم، ويحتفظ لنا كتاب الزموري هذا بوثيقة قيمة تبرز مدى العناية التي كان يوليها إسحاق الأمغاري لهذا الجانب من الدين فلقد أرسل أبا شعيب أيوب إلى أحد العلماء الاسفاقصين التونسيين والتمس منه أن يضع له عقيدة مكتوبة تعينه على تقريب المسافة الفكرية بين أتباعه وأنصاره.

ونظرا لقيمة هذه العقيدة المكتوبة فإننا سننقلها للقراء ليدمجوها في إطار المصنفات المؤلفة في أوائل القرن الخامس الهجري.

وهي موجودة ضمن رسالة كتبها العالم الصوفي أبو الطيب سعيد بن أحمد الاسفاقصي، وقد عرفت فيما بعد **بعقيدة الصالحين.**

إن هذا العالم هو الذي توجه إليه أبو شعيب أيوب الموفد من لدن الشيخ إسحاق الأمغاري كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

قال في رسالته المتضمنة للعقيدة (ورقة 28).

«أكرم الله أخي كرامة أوليائه، وخصه بجزيل نعمائه، وجعله في الدنيا من المتلذذين بطاعته، وفي الآخرة من الفائزين برحمته، وتوفاك على الإيمان، وشملك بأنواع الغفران.

اعلم - علمك الله بعلمه - أنني كنت حريصا على الاجتماع بك - جمع الله لك خير الدنيا والآخرة - حين وصل إلي من عندك أخي وأخيك في الله أبي شعيب، وأقرأني سلامك، وأخبرني بمحبتك لنا، وما انطوت عليه من الإخاء في الله تعالى، نسأل الله أن يجعلك وإيانا من المتحابين فيه ثم سأل ضمن كتابي شيئا في الاعتقادات فبادرت إلى ذلك ابتغاء مرضاة الله.

فعليك بالنظر في تعين المخلوقات فإنه من أعظم القرب والطاعات، فإذا أفضى بكم النظر إلى العالم بحدوثه فأثبت مقام الدليل على حدوثه، فلا يجوز على الله تعالى شيء من حقائقه، وتعلم أن الحد للمحدود والعدد للمعدود فالمحدود مصور والمعدود مقدر، وتصح الزيادة في الجميع

والنقص، وما كان كذلك فالله تعالى بخلافه **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**.

وإياك واعتقاد الكون في الجهات والركون إلى المحدثات فهذه صفات المخلوقات، وإن تعرض إبليس اللعين عند هذه النكتة كيف يصح وجود الموجود وكيف يكون الباري تعالى واحدا لا عددا ولا من عدد فالجواب أن يقال :

ليس من شروط الموجود الحدود ولا من شرطه العدد ولا من شروطه الكون في مكان وجهة، لأن النوم واليقظة موجودات غير محدودين، وهما غير محدودين ولا كائنين في مكان وجهة لأنهما لا أطراف لهما ولا حدود، وإنما الحد لقليل من المخلوقات وهي الجواهر والأجسام.

وإذا كان في المخلوقات موجود بهذه الصفات، فالخالق أحرى وأولى وإنما أريتك النوم واليقظة مثالا لرد اللعين. فليس الباري سبحانه كالأعراض، تعالى عن ذلك، ثم تعتقد أنه واحد على أربعة أوجه : واحد غير محدود وغير معدود وغير مقسم لا تجوز عليه التجزئة والتقسيم، واحد في ملكه لا شريك له، وواحد في صفات الكمال، لا أحد له صفة كصفاته، وواحد في الاختراع لا أحد يخترع معه شيئا. وأنه قديم الصفات ليس كلامه بأصوات ولا قائم بلسان ولهوات، وراءٍ بغير مقلة، وعالم بغير قلب، تنزه عن مشابهة الأجساد أظهر المعجزات على أيدي رسله، وجعلهم أدلة على منهاج سبله، أفلح من آمن بجميعهم للتصديق، واتبع شريعتهم للتحقيق.

ثم أوصيك بتقوى الله العظيم، وإياك أن تتورع في الظاهر وتترك إلى ظن فإن عمل الباطن أفضل من عمل الظاهر بعد القدوة، والقدوة هم الصحابة رضي الله عنهم وقد تقدموا فهم الأدلة وبهم اقتده وبهداهم اسلك.

وإياك وعملا ينقصك عند الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ثم ذكر المؤلف أن تاريخ الأصل الذي استنسخت منه هذه العقيدة كتب سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

إن هذه الرسالة المتضمنة للعقيدة تعتمد رغم إيجازها على أمور لها قيمتها في رسوخ الإيمان لدى المسلم الذي مزج بين العقيدة النزيهة وبين السلوك المستقيم، وإن كاتبها قد دعا إلى التأمل في الكون وإلى التفكير في أسباب الوجود، وحاول أن يعطي لبعض الموجودات خصائص مميزة تتعلق بالمكان والجهة للتوصل إلى تفيهما عقلا عن الباري سبحانه وتعالى.

والظاهر أن المقابلة التي قابل بها بين الموجودات المحدثات وبين الباري سبحانه وتعالى ليست إلا إظهارا للجانب السني في الطريقة البرهانية التي يتوصل بها إلى إثبات وجود الله وتنزيهه عن المشابهة كيفما كان نوعها.

ومن خصائص هذه العقيدة أن الإيمان سبيل إلى السلوك الاجتماعي السليم وإلا كان غشا وخداعا ولهذه الغاية اشتملت هذه العقيدة على وصية تتعلق بعدم النفاق والمخاتلة وتدعو إلى الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ.

ونحن لو أخذنا هذه العقيدة في إطار البحث الجاد، لوجدنا أن هناك التحاما كبيرا بينها وبين سياسة الزناتيين الذي كانوا يحرصون تمام الحرص على إقرار المذهب السني ومحاربة كل المذاهب المعارضة له، خصوصا إذا كانت من المذاهب المغالية لمذهب البرغواطيين الذين قاومهم تميم بن زيري اليفراني أولا، ثم قاومهم فيما بعد عبد الله بن ياسين أثناء تأسيس دولة المرابطين.

ولهذا يمكننا أن نقول إن موقف الأمغاريين من نشر العقيدة السلفية ومؤازرة الدولة اليفرانية كان من أسباب التمهيد لانتصار دولة المرابطين فيما بعد.

وليس من البعيد أن تكون هذه الحركة الإصلاحية معتمدة على تنظيم محكم وأن يكون إرسال أبي شعيب أيوب إلى أبي سعيد الاسفاقصي داخلا في إطار هذا التنظيم.

ومن المعلوم أن أبا شعيب يعتبر من أسس الحركة الإصلاحية آنذاك وكان له دور فعال في مواصلة العمل من أجل تحقيق الأهداف التي كان يدعو لها الأمغاريون بحيث

نراه بعد موت أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل يتقرب إلى ابنه أبي عبد الله محمد ويجعله شيخا له وتصبح هذه الظاهرة الصوفية ذات تأثير في مفهوم التصوف المغربي.

ومن يوم تولى أبي عبد الله الأمغاري زعامة هذه الفئة الصوفية أصبح رمزا هو وأبناؤه وأحفاده للجدية والصلاح وحب العلم والعمل.

وفي كتاب ابن عبد العظيم اهتمام كبير بالحديث عن أبي عبد الله وأبنائه حتى أصبح معروفا لدى أهل التصوف بأبي البدلاء.

- **3) أبو عبد الله محمد أمغار**

هو الشخصية الصوفية المغربية التي نالت إعجاب الصنهاجيين بعد موت والده. ولقد تحدث عنه المؤلف بإجلال وتعظيم، ونقل بعض النصوص المتصلة بحياته فقال نقلا عن كتاب أنس العارفين وهو من الكتب التي اعتمد عليها ولم يعزها لأحد :

«اتفق الجم الغفير والخلق الكثير أن الشيخ أبا البدلاء أبا عبد الله محمد الشريف بن أمغار هو شيخ المشايخ في عصره، وهو شيخ الولي أبي شعيب أيوب، وأبو شعيب شيخ الولي الشهير أبي يعزى، وأبو يعزى شيخ الولي الذي شاعت فضائله وكراماته أبي مدين التلمساني، وأبو مدين شيخ الولي أبي محمد صالح الماجري الدكالي نفع الله ببركاتهم...» (ورقة 36).

إن هذا التسلسل يدل على القيمة التي كان يوليها أهل التصوف المغربي لأبي عبد الله الأمغاري، تلك القيمة التي اكتسبها عن جدارة سواء في الإطار الشعبي أو في إطار الدولة نفسها. فإذا كان والده إسحق قد نال إعجاب الزناتيين. فإنه هو قد نال إعجاب المرابطين، وهذا يدل على أن موقف الدولة المرابطية كان امتدادا لعمل الزناتيين وتحقيقا لكثير من أغراضهم فقد ورد أن علي بن يوسف بن تاشفين كان لا يبرم أمرا في سياسته حتى يستلهم جل الفقهاء حكم الله فيه، تقديرا للمسؤولية وتحقيقا للأهداف الدينية التي كان يتوخاها من حكمه، خصوصا فيما يتعلق بالاتفاق على الحاجيات الضرورية لتسيير شؤون البلاد، فقد ذكروا أنه حينما ورث الملك عن والده يوسف، لاحظ أن مدينة مراكش غير محصنة التحصين الكافي، لأن بناء سورها لم يتم بعد، فأراد أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة ولكنه خشي أن يكون إتمام بناء السور ليس من الضرورات اللازمة، وأن المال الذي سينفق عليه محتاج إليه فيما هو أهم فاضطر إلى استشارة العلماء في مشروعية هذا الإنفاق، فقال بعضهم إنك لا تقدر على بنائه لأنه يحتاج إلى مال كثير قد يفني بيت مال المسلمين. وقال آخرون إن بناءه ضروري لتحصين المدينة وإن الإنفاق عليه من الإنفاق الواجب، ومن بين القائلين بذلك أبو الوليد ابن رشد الجد صاحب البيان والتحصيل الذي قال للملك المرابطي لا يحل لك سكنى هذه المدينة بدون سور (ورقة 14).

ولما رأى ابن رشد تردد الملك في قبول فتواه التمس منه أن يستشير أبا عبد الله أمغار في ذلك فهو الرجل الصالح والعالم الفقيه الذي يتحرى في أحكامه ولا يلقيها جزافا، فكتب إليه علي بن يوسف يستشيره في الأمر ويلتمس منه صالح الدعاء، فلما تلقى رسالة الأمير بعث إليه أن اشرع في بنائه فهو ضروري لحماية البلاد، وبعث مع فتواه قدرا من المال ليوضع في صندوق الإنفاق ونصيحة يرجو فيها حسن اختيار من يتولى الإشراف على هاته العملية.

ونحن نلاحظ هنا أمورا ثلاثة :

**الأمر الأول** يتعلق، بالجانب العلمي حيث إن أبا عبد الله أفتى بوجوب بناء السور حماية للمدينة وتحصينا لمرافقها وهو في ذلك يوافق رأي ابن رشد.

**الأمر الثاني** أمر إيجابي دفعه إلى إشعار المواطنين بوجوب الإسهام في نجاح بعض المشاريع الضرورية التي قد يعجز على تحقيقها بيت مال المسلمين، ولذلك أرسل مع الجواب مبلغا ماليا إسهاما منه في هذا المشروع.

**الأمر الثالث** يتعلق بضرورة اختيار الأمناء النزهاء الذين إذا ترأسوا مثل هذه المشاريع لم يغلوا ولم يغشوا ولم يخاتلوا، ولهذا أوصى الخليفة بضرورة انتقاء المسؤولين

الصادقين الذي تنجح الأعمال على أيديهم وتتحقق الغايات بوجودهم.

والغالب أن علي بن يوسف بن تاشفين لم يشرع في بناء السور إلا بعد أن اجتمع لديه المال الكافي لتحقيق مشروعه، ذلك أن الزمن بين الفتوى وبين البناء كان متراخيا، فإن البناء لم يشرع فيه إلا في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة أي بعد موت ابن رشد سنتين كاملتين.

يقول المولف (ورقة 14).

«وذكر الشيخ العالم الباحث المحقق أبو مروان عبد الملك بن موسى الوراق في كتابه الذي صنفه في أخبار المغرب أن الإنفاق بلغ في سور مراكش نحو السبعين ألف دينار ذهبا وفي جامعه الأعظم نحو ستة آلاف دينار وكانت قبل ذلك مبنية بالطوب».

ولم يكتف الوراق بذكر هذه الأخبار بل أشار إلى كتاب وجهه علي بن يوسف بن تاشفين إلى أبي عبد الله أمغار سنة سبع وعشرين وخمسمائة يلتمس فيه منه الدعاء الصالح. ولقد نقله الزموري في كتابه هذا أو جعله ضمن منتقياته (ورقة 14).

يقول فيه :

«من أمير المسلمين، وناصر الدين، علي بن يوسف بن تاشفين، إلى أبي عبد الله محمد بن الشيخ أمغار وليه في الله، أكرمك الله وإيانا بالتقوى. ويسرك للعلم بما يوافق رضاه، من حضرة مراكش حرسها الله عقب ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وقد علمنا ما أنت عليه من الخير والدين، والجد في أحوالك على النهج الصالح المستبين، فاعتقدناك في الأولياء، ورتبناك في أهل الذكاء، وخاطبناك نادبين لك إلى اختصاصنا بخالص الدعاء، واقسم لنا في ذلك حظا من ابتهالك في الأوقات المرجوة واعتمد فيه رسم المواصفة والصفا، والله يجعلنا ممن ألهم ما يرضاه، ويستعملنا فيما يوجب زلفاه ورحماه، بقدرته لا إله سواه، وتبلغ سلاما جزيلا كثيرا لأقاربك وأهل بيتك الشرفاء الفضلاء ورحمة الله وبركاته».

إن أمثال هذه الرسائل التي كانت تصدر عن علي بن يوسف بن تاشفين تدل على تقديره لأهل العلم والصلاح، وتبين مقدار اعتزازه بهم داخل مملكته، فهو يدمج أبا عبد الله في عداد الأولياء والأذكياء ذوي الفطنة والمعرفة.

وهذا الإدماج الرسمي إنما هو تعبير عما كان يكنه المواطنون لهذا الشريف من تقدير ولما كانوا يولونه لقبيلته من الاحترام.

ولقد استطاع أن يكسب ذلك التقدير والاحترام بالتزامه الصادق الذي كان يتحلى به في سلوكه وفي حرصه على تربية أبنائه تربية تقتبس منه بعض صفاته.

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى أنه قد خلف سبعة أولاد ثلاثة من امرأته الأولى التي أنجبت قبل وفاتها كلا من الفقيه عبد النور والسيد ميمون والسيد عبد الله، وأربعة من السيدة حواء الصنهاجية بنت زكرياء بن أبي زكرياء الصنهاجي الذي كان أحد المتطوعين في جيش يوسف بن تاشفين حين ذهب إلى الأندلس وهم أبو عبد الخالق عبد العظيم وأبو عبد السلام وأبو يعقوب يوسف وعبد الحي.

ولقد سار أبناؤه على سننه وكانوا مثالا للعلم والولاية والصلاح وقدأشار المؤلف إلى ترجمة بعضهم.

وسنحاول من خلال ما كتب عنهم استخلاص بعض الأخبار التاريخية وبعض الملامح الاجتماعية مثل ما قمنا به من قبل، لأن استغلال أمثال هاته الكتب - المهتمة بالتصوف وذكر الكرامات - للحقائق التاريخية يحتاج إلى إمعان نظر والي بحث متواصل وإلى مقارنات بين ما ورد فيها وبين ما ورد في كثير من الكتب التاريخية، مع محاولة استنطاق النصوص استنطاقا يتلاءم مع الواقع التاريخي الذي لا يتعارض مع الشخصية المغربية، ولا يتنافى مع كيانها القوي المتين، وسنتتبع ذلك مع بعض أحفاده المذكورين في الكتاب أيضا.

- **4) أبو عبد الخالق عبد العظيم بن أبي عبد الله أمغار.**

نال هذا الرجل من الحظوة في عهد الموحدين ما سجله رجال التاريخ ومن بينهم الفقيه الزموري في كتابه

هذا، ويلاحظ من خلال ما كتب عنه أنه طال عمره إلى أن حضر بيعة محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن.

ومن المعلوم أن الناصر بويع له في حياة والده، ثم جددت له البيعة بعد وفاة الوالد، وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول عام خمسة وتسعين وخمسمائة أي في اليوم الذي توفي فيه يعقوب المنصور، فأقام بمراكش بقية ربيع الأول وربيع الثاني ثم نهض في فاتح جمادى الأولى إلى مدينة فاس فأقام بها بقية السنة المذكورة (الاستقصا ج 2 ص 214).

إن البيعة إذن كانت في مدينة مراكش حيث كان الناصر مقيما، فهو لم يكن خارجها، لكن الزموري يحكي غير هذا نقلا عن كتاب أنس العارفين، فهو يقول إن الناصر حين وفاة والده كان بمدينة اشبيلية وأن أبا عبد الخالق الأمغاري كان يشيع بين الناس أن الخلافة ستكون للناصر ولن تكون لأي واحد من أبناء المنصور الآخرين المقيمين بالحضرة، وأن خبره هذا قد ذاع بين الناس حتى وصل الناصر، فكتب إليه يستفسره عن رأيه فأيده، وجاء الناصر حينئذ إلى مراكش فتنازل له إخوته هناك وجعلوه الخليفة لوالدهم.

وحينئذ أصبح لأبي عبد الخالق شأن كبير لدى الناصر بعد تقلده منصب الإمارة، حتى إنه كان يكتب إليه في كل حين ويلتمس منه الدعوات. ومن جملة ما يوجد من الوثائق في هذا الموضوع رسالة أرسلها الناصر إلى أبي عبد الخالق من إشبيلية يتحدث فيها عن انتصاره المعنوي وعن تنازل النصارى عن المقاومة خوفا منه وعن استسلامهم وخضوعهم وخنوعهم وهي رسالة تتلاءم مع الوقائع التي وقعت في السنة الثامنة بعد الستمائة أي قبل وقعة العقاب التي اندحر فيها جيش الموحدين عام تسعة وستمائة.

وحيث إن الناصر توفي سنة عشر وستمائة فإن هذه الوثيقة لا تنسجم مع التاريخ الذي كتب عقبها داخل الكتاب لأنه خطأ بيّن واضح فلا معول عليه، فقد أرخت في الكتاب على أنها كانت سنة خمس وعشرين وستمائة مع أن تاريخها الحقيقي كان في السنة الثامنة بعد الستمائة حسب ما سبقت الإشارة إليه.

قال المؤلف نقلا عن كتاب تنقيح الأخبار (21).

«كان أمير المومنين محمد الناصر (وقد أقحم سهوا كلمة ابن بين محمد والناصر) بن أمير المومنين يعقوب المنصور بن أمير المومنين يوسف بن أمير المومنين مومن بن علي وهم ملوك الموحدين رحمهم الله لما عزم على السفر إلى الجهاد في سبيل الله وقمع أعداء الله بعث إلى الشيخ أبي عبد الخالق نفعنا الله به بأنه أخذ في الحركة يلتمس منه الدعاء ليعينه الله على الجهاد في سبيل الله وقمع أعداء الله.

ولما وصل إلى اشبيلية وتيسر له النصر كتب إليه الرسالة التالية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

من أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته إلى الشيخ الصالح الولي أبي عبد الخالق بن الشيخ أبي عبد الله أمغار أدام الله كرامته بتقواه.

سلام كريم عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ونشكره على آلائه ونصلي على سيدنا محمد نبيه المصطفى الكريم ورسوله وعلى آله وأصحابه الفائزين بقدر السبق بحوله ونسأل الرضا عن الإمام المعصوم، الهادي المعلوم، القائم بأمر الله تعالى والداعي على بصيرة إلى سبيله، وعلى الخلفاء الراشدين المهديين المجاهدين في تتميم أمره وتكميله.

وإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم علما نافعا، وعملا إلى أعلى المقامات رافعا، وجاها يكون في مواقف الشفاعة مدافعا، من حضرة إشبيلية حرسها الله.

والذي نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه والعمل بما أنتم علماء به بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجد والاجتهاد في غزو

العدو، وتمكين الهدو، وأساس الدين التقوية وسبله السجية السوية والفروض التي لا يضاع فيها الثاني ولا الثانية، ولم تتكلف على هذه الأمانة ولا تعرضنا لنقل عهود الدنيا والديانة حتى وجدنا تلك الأسس منهدة وألفينا تلك السبل منسدة، وأهبنا تلك الفروض مضاعة مع فرائض عدة، وكان العدو قد كلف بالفتنة المبيرة، وعزم على الاستيلاء على هذه الجزيرة، فأعان الله على قمع شرته، وإطفاء جمرته، فانقبض بسطه، وانقمع تسلطه، وانطوى على الشر له والخير للمسلمين تأبطه، وإعادة سورته ذلت، وكثرته قلت، وهد كيده، وضعف أيده، وكل ذلك بلطف الله تعالى وحده، ووعده السابق بإظهار دين الحق ولن يخلف الله وعده، فأمنت السبل وكانت خائفة، وسكنت الفتن وكانت مرادفة، واطمأنت القلوب بعد أن كانت راجفة، وتهنى المسلمون بحول الله ربيعا وخريفا، وشتاء ومصيفا، وغزا العدو عقر داره، وأجاب إلى الصلح بعد إبائه عنه ونفاره، ثم عقده باختيار المسلمين لا باختياره، والحمد لله على نصره لجيوش المسلمين ونعمائه، بذلك ثم قال وابشروا به من لديكم وابسطوا بالدعاء لنا أيدي إخوانكم وأيديكم فالله تعالى يعلم أن اعتقادنا بالدعاء فوق الاعتقاد بسمر الصفاد، والبيض الحداد، وأن دعوة منكم آثر عندنا من مائة ألف بطل ومائة ألف جواد، وبحول الله تعالى وقوته نستمد الوثوق به سبحانه أوثق ما أعددنا والعمل هو سبحانه يعدكم بتوفيقه ولا يصدكم عن طريقه بمنه والسلام الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته».

وتعد هذه الرسالة الموحدية صورة للعلاقة الرابطة بين أحد الملوك الموحدين وبين فقيه من فقهاء آل أمغار وسيد من ساداتهم، وتتجلى فيها بعض الجوانب الفنية التي كان يستعملها الأدباء المغاربة آنذاك من حيث وضوح الدلالة وقصر الجمل، والاعتماد على الفواصل المتجانسة التي توحي بجمال الأداء وتوازن الأصوات.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن مضمون الرسالة مطابق أشد المطابقة لأخلاق أبي عبد الخالق الذي كان يتصف بالحزم والصدق والإحسان والإنصاف والتواضع والحرص على حفظ مصالح العباد، فمن أخلاقه الفاضلة المنسجمة مع القيم الإسلامية أن امرأة استحقت حقا ناتجا عن شهادة شهدها أبو عبد الخالق، فلما ذهبت من عين الفطر إلى أزمور، قال القاضي إن هذا الحق لا يمنح لك إلا إذا أدى الشاهد شهادته عندي، فرجعت المرأة إلى عين الفطر متحسرة متألمة فإذا بأبي عبد الخالق يسرع في إنصافها ويذهب راجلا إلى أزمور ليؤدي عند القاضي تلك الشهادة التي إذا أهملت ضاع مع الإهمال حق المرأة، ولم يرج من ذلك إلا إحقاق العدل وإنصاف المحتاجين إليه (52).

ومما زاد هذا الرجل شهرة لدى معاصريه أنه لم يستغل جاهه لمصالح ذاتية تلهيه عن الواجب، فقد كان زيادة على زهده ونزاهته وعلمه حريصا على حماية البلاد من السقوط في أيدي الأعداء.

وقد نقل ابن عبد العظيم نصا في الموضوع فقال : (53 ظ).

«حدثني جماعة من أهل الفضل والدين والصلاح من أهل رباط عين الفطر حرسها الله حديثا متواترا أن الشيخ أبا عبد الخالق قال لهم ذات يوم خذوا حذركم، خذوا أسلحتكم واستعدوا للقاء عدوكم من المشركين واعزموا على قتالهم، فتعجبنا من قوله إذ لم نر أثر عدو ولا مجاورته معنا، وما اجترأنا على سؤاله عن ذلك، وقد علمنا أنه لا يخبر إلا عن حق ولا ينطق إلا بصدق فلما كان من الغد إذا بالروم جاؤوا، سبقتهم في البحر فقاتلناهم قتالا شديدا حتى نصرنا الله عليهم فولوا مدبرين منهزمين بفضل الله تعالى وبركة الشيخ نفعنا الله به».

إن أمثال هذه النصوص هي التي تصور لنا الدوافع التي جعلت سكان عين الفطر وأيير وأزمور يضعون ثقتهم في آل أمغار، فهم لاحظوا فيهم قوة الإخلاص وسلامة الطوية وعدم الهروب من المسؤولية، وما مواقف أبي عبد الخالق إلا صورة عملية تبرز بعض ما ذكرناه، وكذلك كانت أخلاق الكثير من أبناء أبي عبد الله أمغار وأحفاده وسنقتبس شيئا منها عند الحديث عن بعض الأعلام

الآخرين الذين ترجم لهم ابن عبد العظيم في كتابه، نذكر من بينهم أبا يعقوب يوسف بن أبي عبد الله أمغار.

**• 5) أبو يعقوب يوسف بن أبي عبد الله أمغار**

هو أخ شقيق لأبي عبد الخالق السابق الذكر، كان مهتما بالدراسات الدينية ملتزما بها، وكان في الوقت ذاته صورة عملية لبذل الجهد من أجل الكسب الحلال، ظل على ذلك طوال حياته إلى أن توفي سنة 614 هـ.

لقد أشار إليه ابن عبد العظيم واعتبره رجلا تفتحت له آفاق المعرفة وشملته عناية الله بلطفه وتوفرت فيه بعض المميزات التي لا تتوفر إلا في الأولياء الذي منحت لهم بعض الكرامات وتيسرت على أيديهم بعض خوارق العادات ومع ذلك فإنه لم يستغل هذه الجوانب استغلالا سلبيا لأنه كان يرى أن روح الإنسان الصالح تتجلى في حب العمل وفي كسب الرزق عن طريق الجهد المتواصل البناء.

وفي إطار هذه الظاهرة أشار المؤلف إلى قصة تبين أخلاق هذا الرجل الفاضل، فقد ذكر أن ثلاثة من رجال آسفي قدموا عليه ليتبركوا به، فلما بحثوا عنه في داره لم يجدوه، فقيل لهم إنه في بستانه خارج البلد بقرب البحر يخدم فيه، وكم كانت دهشتهم حينما توجهوا إليه فوجدوه جادا في عمله مشمرا عن ساعديه يخدم أكثر مما يخدم الرجل العادي، ويعمل وحده أكثر مما تعمل جماعة.

وأحس الشيخ بفراسته أنهم فوجئوا بما رأوا، لأنهم لم يكونوا يظنون أنهم سيزورون رجلا مشغولا بشؤون الدنيا، مهتما بفلاحة أرضه، فهم جاؤوا إليه لما عرف عنه من العبادة والتقوى، لهذا قال لهم : (61)

«لقد قلتم في ضمائركم إني طالب للدنيا لما رأيتم مني من الكد والتعب... يجب أن تعلموا أن الاشتغال بالكسب والتسبب إلى الغنى عن الناس يحفظ الدين ويمنع من الريا ويعز العلم ويكون أدعى إلى قبول القول».

فلما سمعوا كلامه تابوا من أوهامهم وتيقنوا من صلاح خطته والتمسوا منه الدعاء.

إن موقف هذا الرجل ليعتبر درسا عمليا يهدف إلى أن الزهد الحق لا يقتضي الركون إلى الكسل والتواكل بل يجب على الرجل المسلم أن يعمل ما في استطاعته ليستغني بعمله عن الاضطرار إلى غيره من الخلق، فالعمل شرف، والبحث عن كسب الرزق عزة.

ولهذا يمكننا أن نستفيد من ملاحظته ما يأتي.

**أولا** ـ قيمة العمل في حماية الدين من الانهيار.

**ثانيا** ـ قيمة العمل في حماية العلم من الابتذال.

**ثالثا** ـ قيمة العمل في إثبات الشخصية الذاتية للفرد. فالذي يبدي فكرة صائبة أو يأمر بمعروف أوينهى عن منكر ثم ترى أنه مخلص في رأيه وفي عمله لا يهدف من وراء ذلك إلى مال يكسبه أو غرض يقضيه تستمع إليه وتقدره وتحرص على الاقتداء به والاهتداء بسلوكه. وتلك هي الخطة التي اتبعها أبو يعقوب هذا.

**• 6) أبو الحسن علي بن أبي عبد الخالق.**

بعد الحديث عن أبي يعقوب السابق تحدث المؤلف عن علم آخر من هذه الأسرة وتعرض لجانب من جوانبه العلمية.

هذا العلم المقصود هو أبو الحسن علي بن أبي عبد الخالق ذو الهمة العالية والسلوك المستقيم.

كان من أشهر العلماء في عهد يعقوب المنصور. ظهرت نجابته في حياة والده وكان معجبا بكتب التصوف مهتما بآراء الغزالي مومنا بضرورة فهم المعاني حسب مقتضيات الأحوال وبشرح المقاصد حسب القرائن والأحوال.

قال المؤلف وهو يتحدث عنه : (91)

«ولقد نلقنا عن الثقات العدول أن القطب الفرد أبا العباس المري نفع الله به لما قطع مع أمير المومنين أبي يوسف يعقوب المنصور رحمه الله بمنه إلى بلد الأندلس برسم الجهاد فقال لأبي العباس يسأله عن أولياء الأندلس وصالحي هذه العدوة أيهما أفضل، فقال أبو العباس صالحو العدوة أفضل من صالحي الأندلس فقال له بماذا فضلتهم ؟ فسكت أبو العباس رحمه الله ولم يجاوبه فقال له الوزير يا أمير المومنين بمجاورتكم.

قال أبو الحسن علي بن أبي عبد الخالق بن أبي عبد الله أمغار نفعنا الله به... وسكوت الشيخ أبي العباس المري ليس من باب العجز وإنما ذلك من باب الحكمة، وبيان هذه الحكمة أن رسول الله ﷺ قال : «لا تمنعوا الحكمة لأهلها فتظلموهم ولا توتوها لغير أهلها فتظلموها». فعدم جوابه للمنصور حكمة إذ لو رآه أهلا للجواب لجاوبه...

وبيان ذلك أن العلوم على ثلاثة أقسام : علم الظاهر وعلم الباطن وعلم السر، فعلم الظاهر يفتى به لأهل الظاهر، وعلم الباطن يفتى به لأهل الباطن، وعلم السر لا يفتى به لهؤلاء ولا لهؤلاء، بل يستعمله صاحبه فيما بينه وبين الله تعالى ولا يحل لصاحبه إفشاؤه، فالغالب أن أمير المومنين المنصور رحمه الله من أهل الظاهر، والجواب الذي طلب من أبي العباس من علم الباطن، فكيف يجاوب بعلم الباطن لمن هو من أهل الظاهر فإن ذلك لا يفهمه، والشيخ أبو العباس رضي الله عنه مع الحديث النبوي واقف متفقه فيه إذ فيه صفة النهي، وهو قوله عليه السلام لا توتوها، وظاهر النهي التحريم على المشهور عند أرباب الأصول، فلو جاوبه لوقع في المحذور نفع الله به وبأمثاله بمنه وكرمه...».

- **7) أبو إسحق إبراهيم بن أبي الحسن**

هو شخصية أخرى تمثل جانبا آخر من جوانب الإحسان الذي اشتهرت به هذه الأسرة، فقد كان غنيا من الأغنياء المشهورين الذين أقبلت عليهم الدنيا وتيسرت لهم أسباب الرخاء، إلا أنه لم يستغل ما له لعبث عابر ولا للهو جذاب ولا لاستعلاء على المحرومين والمحتاجين، بل استعمله في مشاريع خيرية متنوعة، فقد ذكر المؤلف عنه أنه حبّس في سبيل الله عز وجل ثلاثين موضعا بين أراضي الحرث وجنّات من أعناب ومحلات زرع وولجات على ضفة البحر، حتى إنه إذا سمع بأن هناك أرضا ابتكرت غلتها قال هي حبس في سبيل الله، زيادة على ما يصرفه في بنيان المساجد وبنيان القناطر وتسهيل الطرقات والإكثار من الصدقات وفك العاني وغير ذلك من المصالح (76).

قال المؤلف هو كما قال القائل :

إن عرفان ذي الجلال لعز ... وضياء وبهجة وسرور

وعلى العارفين أيضا بهاء ... وعليهم من الصيانة نور

وعلى كل حال فإننا حاولنا أن نقدم صورة ولو موجزة عن هذا الكتاب واقتصرنا فيما تقدم على ذكر بعض الأعلام المشهورين، واخترنا من سيرتهم ما يتلاءم مع الواقع وما لا تتضارب ما صدقاياته مع الإمكان العقلي.

ومع ذلك فإن الصورة الحقيقية لمحتواه لا تتم إلا بقراءته في أصوله، ولا تتجلى إلا إذا التحمت فيه نفس القارئ مع الروح الصوفية المهيمنة على مؤلفه **ابن عبد العظيم**، فرحم الله الجميع وأعاننا على الاستفادة مما خلفه الأجداد للأحفاد.



# حارس المجد والحضارة شكراً

## للشاعر الأستاذ محمد العثماني

أي شوق إلى اليراع العتيد ... هزني للهوى والنشيد ؟

كنت أدعى إلى يراع يلبي ... فإذا بي إلى أصم عنيد

جمدت فوقه حروف وحالت ... مدة كالجماد أو كالجليد

ود لو عاد مثل ما كان مغرى ... بشريف من المعاني جديد

غير باق لديه إلا صُباب ... عيٍّ فكري به، وكلت جهودي

رام قولا فمن له بلسان ... مبدئ في بيانه ومعيد ؟

يبدع الحمد للإمام المفدى ... وليوم من الزمن حميد

☆ ☆

ياصبا الذكريات عودي إلينا ... فمنى كل عاشق أن تعودي

لك في سائر الزمان مسار ... فاستفزي صبا الربى والنجود

صافحي الأطلس العظيم رخاء ... في صباح مبارك وسعيد

واحملي من نسائم المجد بشرى ... وانشري العطر عن تراث مجيد

باركي العرش يومه فإذا أنـ ... ـت على ملتقى أغر العهود

أي عيد وأي يوم عظيم ... هو خير من ألف يوم وعيد ؟!

راجع الشعب فيه ألواح ماضيـ ... ـه وأسفار ملتقاه الجديد

ووعاه حقائقا وكتابا ... خر شكرا بما وعى للسجود

كان ساعا وكان أيضا قرونا ... طويت في ساعات يوم فريد

حفر الـدهر حـولـه كلمـات || رائعـات على صخـور الخلـود
عمقتهـا خمس وعشرون ذكرى || سجلت التـاريـخ صـك الشهـود

☆ ☆

حـارس المجـد والحضـارة شكرا || عن رعـايـاك والحمى الجـدود
وهنيئـا بيـوم عرشـك عيـدا || إنـه في التـاريـخ أمجـد عيـد
إنـه أرفـع العروش جـلالا || ضـاربـات جـذوره في الـوجـود
واكب الخـالـدين عبر عصـور || فهـو عنهم يملى على مستـزيـد
رحلـة في التـاريـخ ليست لعرش || من عروش «اليزيـد» أو «بـايـزيـد»
بـدل الـدهر غيره والليـالي || وهـو في مـوقـع أشمَّ شـديـد
كـل جيـل يشـع منـه ضيـاء || بـارك اللـه في سنـاه الجـديـد
في رحـاب التـاريـخ قمنـا إليـه || نتلقى منـه جـواز الصعـود
من وراء القرون يرنـو إلينـا || منبئـا عن حضـارة وخلـود
لم ير الـدهر مثلـه منـذ إسما || عيـل في ملكـه، ومنـذ الرشيـد
وكـذا أنت لايرى لـك نـد || بين أهـل الحجـا الملوك الصيـد
ينظر العـالمـون فيـك وفيـه || فـإذا بـالعيـد غير بعيـد
لم تـزل تحرس الحضـارة منـه || جـامعـا بين طـارف وتليـد
تقرن الحـاضر المضيء بمـاض || فـإذا بـالقـديم جـد جـديـد
ثـاني الأولين كنت، وفردا || في التحـدي، وأولا في الصمـود
وشهـابا من كـوكب غـاب جسمـا || حـاضر الروح بيننـا كـالشهيـد
رفـع اللـه فرقـدا أنت منـه || نجم من يستهـدي ورجم العنيـد

☆ ☆

رضى المسلمـون عن كـل جهـد || لـك فيهم، وكـل مسعى حميـد
منـذ عشرين حجـة يجـأر القـد || س إلى العـالم الأصم الصـدود
فـإذا أنت في المحـامـاة عنـه || واقف مـوقف السميـع الشهيـد
منذرا بالأخطـار في المسجد الأقـ || ـصى، وقـد جـال فيـه فسق اليهـود
فـائـزا من قطينـه بثنـاء || ودعـاء من ركـع وسجـود

من لإنســـانـــه بعــون ونصر    فهــو بين التقتيــل والتشريــد ؟
بين أهــل لا يرحمـــون ودنيـــا    حــامــل بــالمفــاجــآت ولــود
غـاب عنـه الرعـاة في الرأي شتى    مــزقتهم هــزائم كـــالحصيـــد
ألقــوهـــا ممضـــة كسيـــاط..    أدمنت مسهـــا جلـود العبيـــد
من يكن فـاقـد الحجـا فهـو لاهٍ    يتغنى بـــذكر «ليلى» و «رود»
آدك المسلمـون همـــا فمـــا أر    جـــأت نصحـــا لفرّد ووفـــود
كلمـــا رمت جمعهم في صعيــد    أمعنـــوا في تمـــزق وشرود
لست ترضى فعلا ـ وإن راق شكـلا    ـ ليس فيـه رضى العـزيـز الحميـد

☆ ☆

يــا أبـا النيرين صـانـــا وزانـــا    لــك تــاجـا : محمـــد ورشيـــد
ولشعب يمـــده ذلـــك التـــا    ج بتـــاج النمـــاء والتـــوحيـــد
مستعـــد لسحــق أي لـــدود    فليكن من حجـــارة أو حـــديـــد
كنت في خمســة وعشرين حــولا    غير وان في الـــدعم والتـــوطيـــد
تنشر الـوعي والهدى في الرعـايـا    وتنمي العقــول بـــالتســـديـــد
فترة كلهـــا نمـــا ويمن    فهي كـالقرن في الـزمان الرغيـد
تسحــق الجهــل والتخلف فيهـــا    راميـــا من معــاهـــد وســـدود
قُتــلا، كم يـــدمران بـــلادا    جـاثمــات على خراج «الرشيـد»
كم غنيٍّ في جهلــــه ليس إلا    كسفيــه لـــديـــه كنـز النقـود

☆ ☆

حامى الدين، حامى الوحـدة الكبـ    ـرى، هنيئـــا بيــومهـــا المشهـود
وهنيئـــــا بحب شعب وفيٍّ    لـــك يـــدعو بـــالنصر والتـــأييـــد
أي مـــدح نســوقـــه لـــك وردا    خـالـد العطر، لا كعطر الورود ؟
أي شعر يطـــول قمـــة مجـــد    ظـــافرا كنت فوقهـــا بـــالقعود ؟
بهرتني وصفـــا لهـــا كلمـــا أفـ    ـرغت وسعا تقول: هل من مزيـد؟
يحجم المبـدعون في الشعر والنثـ    ـر وقــوفـــا على أدق الحـــدود
أنت فوق الــذي تقــول ومـا قصـ    ـر عن قــولــه جيـــاد القصيـــد
نطـق الــدهر مبـدعـا ثم قــامت    نغمـــات التـــاريـــخ بـــالترديـــد
إنمـــا ننسـج القصـــائـــد شكرا    وولاء في الشعب جـــد وطيـــد

# رفرف السعد مذ أطلّ زمان

للدكتور محمد اتي شبيهنا ماء العينين

ربع قرن مضى يسود الرخاء ... وطننا أنت شمسه والضياء
هام في حبك الجميع يباهي ... يحفظ العهد والوفا والولاء
ملك في خصاله فيض بحر ... وسع العالمين منه العطاء
فإذا حلل العلوم وحيد ... درست من علومه العلماء
وإذا خاطب الجميع بليغ ... لا يجاري بيانه الفصحاء
عالم ماجد سموح كريم ... جأرت نحو عدله الضعفاء
وجدوا في رحابه مبتغاهم ... قصرت عن مكانه العظماء
خير عهد تراه أجيال شعب ... صاحب الملك مدحه والثناء
عهد خير ونعمة لا يضاهى ... بدل الفقر حل فيه الملاء
عهد عز ونهضة ونضال ... عم تحريرنا وتم الجلاء
كيف نحصي مآثرا منك عمت ... أرضنا حيث ضاق عنها الفضاء
رفرف السعد مذ أطل زمان ... لك في يمنه يد بيضاء
بث علما وصان عدلا فأضحى ... وصفه عنه تعجز البلغاء
نشر العلم والهدى شاد عزا ... أخصب الأرض منه تم البناء
وأزال الكفور قهرا بعزم ... تنتهي دون سلمه الهيجاء
مزق الشمل واستبيح حمانا ... وعلى شخصك المفدى رجاء
ما تركت الظلوم يطغى بحكم ... ساد فيه الرعاة والجهلاء

بل تصدت إليه منك جهود    يلحظ المجد ضنها والإباء
في العطاء الكثير أنت وحيد    لم يصل سيب مدك الكرماء
يتباهى بك الجميع مشيدا    وعنت نحو شخصك الزعماء
صاغ كل الملوك تاجا بدر    متسام وسيره الخيلاء
بينما أنت تخدم الشعب حقا    شرعة المصطفى عليك لواء
تجمع الشمل ترفع الظلم عدلاً    لسبيل العلى يقود الذكاء
عاهل تحرق العدا منه نار    وعلى الشعب جنة فيحاء
وعن المذنبين عفوك جم    لم يصل بعض عفوك الرحماء
وعلى الظالمين سيف دمار    وإلى بتر من يخون مضاء
بعد إحراق مسجد القدس ثارت    ثورة في فؤاده شماء
فدعا المسلمين نحو لقاء    بعد «طه» ما تم ذاك اللقاء
قارب الرأي وحد الصف ما صد عظيما عن الحقوق بلاء
سل عن الملك مصر حين دهاها    غدر صهيون واستبيح الحماء
ودمشق التي بها عاث قتلا    والشعارات فتنة وهراء
كيف بادرت للجميع مغيثا    فأعاد العلى لهم عظماء
جيشك الشهم في القتال جحيم    وليوث تخافها البأساء
ملك عادل شجاع عظيم    عم كل البلاد منه جداء
حين ساد الشقاق للعرب أبدى    حكمة عنها يعجز الحكماء
للمعالي رسالة القرن تدعو    أهل دين الهدى فهم أكفاء
وبجيد الزمان عقد نضار    عم كل البلاد منه جداء
حاز في الملك تاج فخر وعز    وبنى خير ما يكون البناء
جدد في طرائق المجد تسمو    وعلى الأرض نورها لألاء
روضة للجمال أرضك تلفى    جَدْبُها زهر، والجبال هباء
ذللتها جهود شعب عظيم    قاده الجد والوفا والذكاء
يستبين الصواب وهو بعيد    فيتم الرقي والنعماء
شككوا في السدود حين بناها    وبها في البلاد عم الرخاء
وبدستورنا العظيم يباهي    ما بناه الملوك والرؤساء
فإذا الشعب في المساواة يسمو    رافلا كسبه الوفا والثراء
حين خان الجار العهود جميعا    وبدا بين الناس منه شقاء
ألب الخائنين خطط ظلما    هجمة فكره الغبا والبداء

قــادهم للحمـــام غرزنيم ولكم ســاق للحمـــام غبــاء
غــار من مغرب عظيم جـديـد شــاد صرح العمران كيف يشـاء
اسروا ثلـــة وعـــاثـوا فســادا وهم في غبـــــائهم أسراء
زحفت عبر حكمــــة وجهـــاد للصحـــــارى مسيرة خضراء
أينـع المجـد في ربـوع ترامت كـان فيهـا الإقـلال والظلمـاء
جمع الشمل وحـد الصف نصحا أهـل دين الهـدى هم النصحـاء
وسقى المـــاء كـل شبر بعيـد فـإذا الـزهر في الصحـارى سنـاء
وبـدى الزحف لاقتلاع مسـاوي قـــاتـلات واخضرت البيـــداء
حسن السعي والفعـــال جليـل وصفـــه عنــه قصر البلغـــاء
أسعـد اللـه مغربـا قـدتـه إذ ملكـك الفـذ دونـه الجـوزاء
جعـل الجيش للبـلاد حـزامـا وبـك الشعب حصنـه الكبريـاء
حــل بعـــد المستعمرين رقي لا يضـاهى ونهضـــة ونمـاء
دم على الـدهر قمـة في أمـان مـا تـوالى صبـاحـه والمسـاء
والأمير الجليـل دام مصـونـا صحبـه السعـد والمنى والعـلاء
أسرة في البـلاد إشعـــاع نـور لا يغيب الـزمـان منـه ضيـاء
تتعب الجسم في مصـالـح شعب ولـــك الحب والنفوس فــداء
وفـق اللـــه شيعـــة الحسن الثــــاني وللمسلمين سر القضــاء



# هنيئاً للجنوب...

للشاعر الأستاذ محمد عبد الرحمن الدرجاوي

تباشرنا - وذلك غير طار - ... بتوسيع النماء وبالقطار
وبالعرش العظيم يعود عودا ... بأروع ما يلذ من ادكار
فربع القرن ذا زمن يسير ... ولكن كالقرون في الاعتبار
وفي زرع الكثير من المزايا ... وفي حصد الثمين من الثمار
وعيد العرش موعده أنيس ... يذكر بالكفاح والانتصار
وأمجاد توارثها ملوك ... كبار عن كبار عن كبار
به ازدوجت مسرتنا وقرت ... وعمت بالسعادة كل دار
وبشرنا الإمام بكل خير ... كذاك يكون تبشير الخيار
وأنذر من يعادينا فولى ... يلوذ من الهجوم إلى الفرار
وخيم حيث خيم فيه يأس ... وأطول ما يكون من انتظار
وأكذب ما يضل من التمني ... وأبشع ما يسوق من اندحار
وأغرب ما يكون من اغتراب ... وأخدع ما يصيب من اغترار
فأصبح في الحصار على فلاة ... بأسباب تعد من الحصار
وإلا فالإسار على خفاء ... - لأمر - أو شبيه بالإسار
فلا تعجب إذا ماهم أصيبوا ... بداء من دواخ أو دوار
ولا تعجب إذا عقت نساء ... وخان القائمون على الجواري
ولا تعجب وليس بمستحيل ... إذا فسد السلوك من الصغار

فما يجري هنالك فهو يجري ... بعقل مستميت مستعار
كذلكم كلاب الصيد تشلى ... وترجع في مرابطها القصار

□○□

لقد أمنت مراكزنا جميعا ... بإحداث القطار وبالجدار
وبالجيش العتيد يظل يبني ... وينشيء في المهامه والقفار
ويردي من أراد النيل منا ... بآساد مجلحة ضوار
وأمثال الصقور تحوم حوما ... يعود على الوطواط بالخسار

□○□

هنيئا للجنوب بخير عقل ... يمد بما يليق من اليسار
وبالعلم الغزير وبالتروي ... وبالتقوى وبالهمم الكبار
وسير في الحياة بكل رفق ... يؤمن من ضلال أو عثار
هنيئا بالقطار يجوب جوبا ... من الريف القصيّ إلى الصحاري
قطار للنماء به نماء ... كما ينمو النبات من القطار
يعين على الوصال بكل فج ... ويقضي في النماء بالانتشار
وليس يزيغه حمل ثقيل ... وليس يعوقه بعد المزار
وصرنا في الجوار به جميعا ... على بعد التنائف والبرار
ورابطة الوصال إذا توالى ... تبادلها كرابطة الجوار

□○□

ألا هنيء وفودك بالمزار ... وبارك في المسالك والقطار
مسالك ذي وفاء واعتدال ... ونصح واعتزاز وافتخار
جزاه الله عنا كل خير ... جزاءالصالحين ذوي الوقار

# رباعيات الفتى والبحر

للشاعر عبد الرحمن عبد الوافي

قـــد جـــاءنـــا المطهر　　بـــالصـــالحـــات يـــأمر
هـــو الحبيب الأنـــور　　شهر الصيـــــام المجتبى

☆ ☆

أهـــــــلا بشهر المغفره　　أهـــــــلا بحرث الآخره
من ربنـــا قـــد قـــدره　　يـــامرحبـــا يـــامرحبـــا

☆ ☆

يـــــامنـــــذر القلب الغرير　　في رحلـــــة العمر القصير
لأنت لي نعم النـــــذير　　إذ الجـــواد بي كبـــا

☆ ☆

ذريني يـــــانفس ذرينْ　　ألبِّ رب العـــــالمين
من عفـــوه لـــو تعلمين　　قريـــب إلا مـــن أبـــى !

☆ ☆

فشمري وحـــــــاذري　　يـــــانفس أن تكـــــابري
فـــزعت من كبـــائري　　يـــارب هب لي مهربـــا

☆ ☆

واستــــدركي مــــاقــــد مضى　　من الليـــــــالي في الكرى
ومن ســــويعــــات الهنــــا　　خبت كبرق أذنبـــــــا !

☆ ☆

ذريني بــــاللــــه عليــــك　　أفر من بين يــــديــــك
فطبــع اللهــو في عينيــــك　　لقيت منــــه نصبــــا

☆ ☆

ذريني هـــــذا مضجعي　　لحــــد يهــــد أضلعي
فتستغيث　　أدمعي　　«أي فتى قــــد عــــذّبــــا»

☆ ☆

أي　فتى　في　الظلم　　يشــــق بحر النــــــدم
وليس بعض العــــــوّم　　وقــــد عــــدمت المركبــــا

☆ ☆

عينــــاه خــوف وابتهــــال　　أمــــام مــوج كــــالجبــــال
والروح من حر النــــــزال　　كميت تمشي الهيــــدبى !

☆ ☆

تصهــل من هــوج الريــــاح　　الطــــاعنــــات بــــالرمــــاح
فــــالمــوج من دم مبــــاح　　قــــد صــــار شيئــــا عجبــــا

☆ ☆

هنــــا دعــــا الفتى الحــزين　　ربــــــه في البحر الثخين
«ربــــاه شطــــك الأمين　　عن نــــاظري هَـلْ غُيبــــا ؟

☆ ☆

ربــــاه أين المنهــــل　　أم غيبتــــه السبــــل
وهــــل ســــواك أســــأل　　شراب روحي الأعــــذبــــا

☆ ☆

يــــا نــــور النــورانيــــة　　الليــــــل أفنى شمعتي
فــــاقــــذف بنــور ظلمتي　　ومــــزقن الحجبــــا

☆ ☆

يـــارب هـــا إني طريـح    على الثري شلـــوا جريـــح
وذي جراحـــاتي تصيـح :    أي دم قـــد سكبـــا !

☆ ☆

يـــارب هـــوذا اللعين    يركض ركض الفـــاتحين
وإني من مـــاء مهين    يقـــال يخشى اللهبـــا

☆ ☆

وإلا تنصرني عليـــه    أكن من أسلاب يـــديـــه
فثبتن أحمـــل عليـــه    بسيف حـــق مـــانبـــا...

☆ ☆

مضت على الفتى شهـــور    مـــابين مـــوت ونشـــور
والمـــوج حـــولـــه يخـــور    وحشـــا ضريرا مرعبـــا

☆ ☆

وبينـــا هـــو في صـــلاة    يشـــق بحر الظلمـــات
ويـــدعـــو ربـــه النجـــاة    إذا ضفـــاف وربى !

☆ ☆

إذا جنـــات وأنهـــار    ونخـــل صـــادح الأطيـــار
يـــاسحر هـــاتيـــك الأذكـــار    لا أحلى.. لا أعـــذبـــا

☆ ☆

فصـــاح في جـــوف السرى    أحقـــا رب مـــا أرى ؟
أحقـــا أم هـــو الكرى    أهـــداني حلمـــا عجبـــا

☆ ☆

وجـــاءه صـــوت البشير :    أنـــا أنـــا زين الشهـــور
أنـــا هـــديـــة الغفـــور    لكـــل عبـــد أذنبـــا

☆ ☆

أنـــا المسمى رمضـــان    وفيَّ أنـــزل الفرقـــان
أنـــا من عظم الرحمـــان    وتـــوج بي الحقبـــا

☆ ☆

فهللت وكبرت روح الفتى وأنشـــــدت :
«اليــــــوم رحلي اعتمرت يـــا سقرا معـــذبـــا

☆ ☆

اليــــوم صفــــد الرجيم وكب في سجن مــــذؤوم
حمـــــــدا للعلي العظيم من حمــده قــد وجبــا

☆ ☆

وهــا حبيب[1] كــالعرجـون جمـــالـــه سر مكنـــون
وهــــا رجـــال يهتفـــون مثــل الصغـــار طربـــا :

☆ ☆

«قـــد جــاءنــا المطهر بــالصــالحــات يــأمر
هـــو الحبيب الأنـــــور شهر الصيــــام المجتبى

☆ ☆

أهـــــــلا بشهر المغفره أهـــــــلا بحرث الآخره
من ربنـــا قـــد قــدره يـــا مرحبــا يـــا مرحبــا»

1) أعني به هلال رمضان.

# في رحاب العرش

للشاعر الأستاذ عبد الوافي السعيدي

حبور على كل النفوس تجددا ... وذكرني عهدا تليدا وجددا

وأظهر سرا طالما هو كامن ... بمكتنف الأحشاء والدهر أسعدا

وهيج أفراح المعنى صبابة ... وأتهم بالقلب العميد وأنجدا

ولاح بأفق المجد طالع سعدنا ... بنور يفوق النيرات توقدا

وكيف ووجه المغرب الحر في ضحى ... بطلعة هذا العيد أهدى لنا الهدى

ألا حبذا هذي المغاني وأهلها ... وأهلا وسهلا دائم الدهر سرمدا

وحيا إله الأرض رمز اتحادنا ... وحيا إله العرش عرشا موطدا

هو الملك الأرضى الأعز الذي له ... شفوف وفوق في المعالي ممجدا

هو الحسن الثاني الفريد نباهة ... إذا عنّ إشكال سمعت له النّدا

أعِد مدحه يا شعر وانشر شمائلا ... له فالهوى حيث المفاخر والجَدا

يتيه به الأقصى المبارك ساحبا ... ذيول البها مذ كان والفخر أوحدا

زهى بسناه المغرب الحرب فاخرا ... كروض أريض جاده الغيث والندى

نتيجة أقمار الكمال سما بهم ... إلى حيث حل البدر عزا وسؤددا

وكيف وآل البيت بيت نبوءة ... لهم شرف يعلو الخلائق محتدا

رعى الله فيناد دوحة علوية ... وروى رباها مسبل العز أجودا

وأبقى بنيها ماجدا بعد ماجد ... سيوفاً على أنف الخيانة والعدا

فيالك من مرعى خصيب تسابقت ... إليه بنو الآمال وِردا وموردا

ويالك من بحر تدفق نبعه — فأصبح زخّار المكارم مزبدا
ويالك من بدر منيف تطلعت — إليه بنو الدنيا فجاد وشيّدا
وسلم والتسليم عادة فضله — «لكل امرئ من دهره ما تعودا»
فلست ترى إلا معاني سؤدد — وباني أركان المجادة سيدا
أتته العلى عفوا فحاط ذمارها — وقلده منه الله سيفا مهندا
وتم على رغم الزمان لقاؤنا — بإخواننا في الأرض مثنى وموحدا
حللنا ربى الصحراء فانتكست بنا — قلوب حوت جمر الغضا المتوقدا
ولم تدر أن الحق أبلج واضح — لنا؛ ولنا في الحرب ما يبعث الردى
«مسيرة فتح» قادها الحق والهوى — وآيات قرآن يرددها الصدى
فهبت سراعا فرقة تلو أختها — فحطمت الأوهام واندحر العدى
وكيف وأوهام العداة تقشعت — سحابة صيف لا تطيق التلبدا
وباءوا بإفلاس وصفقة خاسر — وفزنا بنصر، كل يوم تجددا
فجاءت وفود العرب تنشر بيعة — تجدده عهدا وتنثر عسجدا
وزار أمير المؤمنين بقاعهم — وعانق أرواحا وأنجز موعدا
هنا في بلادي منبر الحق نادب — إلى الوحدة الكبرى وفي كل منتدى
سلوا المنبر الأعلى هناك من استوى — عليه من الشم الكرام مؤيدا
ومن قام وسط الجمع ينفث سحره — كما ينفث النحل الشفاء الموردا
بهمته القعسا ورأي وحكمة — خبت نار حرب أوشكت تتوقدا
ينوّر أحلاك السياسة كلما — تفرقت الأشياع رأيا ومقصدا
برأي سديد فاتق الرتق واضح — كأن له بين الملائك مرشدا
سلوا عن رعايا في فرنسا ألم يكن — لهم شرف من زائر راح واغتدى
تُطاوعه الأقدار حتى كأنه — هو القدر المقدور ساجلَ فرقدا
وفي كل يوم موقف يبعث الشجا — هنالك في أرض العروبة والندى
وفي كل قطر قد أقيمت مناحة — يسعرها صهيون رجس تمردا
ولكن آمال الشعوب تجددت — برمز التحدي أن يحرر مسجدا
كذا فليك التاريخ أعدل شاهد — فإن لنا في المسجدين لموعدا
قريبا سيأتي النصر ينشر طيبه — ويعرب أخبار الملاحم مبتدا

ألا فلتدم في حلة المجد رافلا ... وعش سالما فالعالمون لك الفدى

ونحن إذا ما الدهر أحدث رزأه ... روينا حديثا من ظلالك مسندا

فعرشك عرش الأكرمين أتيته ... بعزم سما فوق المجرة مقعدا

بك اكتست الآمال حلة نجحها ... وطير التهاني بالسعادة غردا

ووافت تباشير الهناء ودعوة ... إلى السلم من بعد الكريهة والردى

وألقت عصا التسيار فينا جموعهم ... وأسست المقلاد سلما مجددا

كذلك دأب الشهم في الناس والورى ... إذا عضهم ناب من الدهر أرفدا

وأنسى لشعب معضلات مشاكل ... وأبرزه في العالمين مسددا

ففي كل ساح جنة وعمارة ... وآيات حسن كالهلال إذا بدا

وألوية الأفراح في كل بقعة ... تذكرنا ذاك الفقيد محمدا

عليه من الرحمان شؤبوب رحمة ... ومثواه في دار النعيم مخلدا

ستنصرم الأعوام أي انصرامها ... ويبقى وعاء الحقد يكوى على المدى

هنيئا لشعب مغربي تحوطه ... لطائف مولانا وفى ما تعهدا

وما هي إلا المعجزات تواترت ... على شعبنا فاعتاد نصرا وعيًّدا

أمولاي هذا الشعب نال بك الرضى ... وجاهد حقا حامدا لك مقصدا

أمولاي دم للضاد تجبر كسرها ... فإنك تقوى أن تبدد ملحدا

فقد سامها خسفا دعاة رذيلة ... وحاق بها هون الضلال من العدى

أمولاي دم للدين تجبر كسره ... وللمغرب الأقصى لتكبت حسّدا

ودونكها مولاي تحفة شاعر ... يطير بها طير التهاني مغردا

سلام على الأنجال ماهبت الصبا ... وما طلعت بين الجبال مها الهدى

وثم على علياك مني تحية ... تقبل إجلالا لك الرأس واليدا

# الأيادي البيضاء

للشاعر أحمد شرف الدين

بعيدكموا الميمون يا ابن محمد ... يطيب لنا التمجيد بالشكر والحمد

نبارك عيد النصر عيدكم الذي ... به رحب النعمان بالفل والرند

بعيدكم يحلو النشيد ويزدهي ... وننعم في خير كثير وفي رغد

بساحتكم قد صغت شعري رائقا ... تعهدته غضا بألطف ما عندي

بأهداب عيني قد رسمت حروفه ... على نغمة الولهان في صفحة الورد

وحملته شوقا لعزمك طافحا ... وضمنته حبا يجل عن الحد

بذكراك يا مولاي ألف تحية ... أوجهها تسعى بألوية العهد

تواكبها الأنسام والعطر والشذا ... لتنشرها وردا لطالعك السعد

فأنتم مدى الأيام بسمة أمتي ... بل الأمة الغراء في صفة الفرد

ومغربنا المضياف مجد وعزة ... وأنتم بذاك المجد واسطة العقد

قضيتم على عهد الضلالة والأذى ... فلم تعد الأطماع في عهدكم تجدي

وحررتم الصحراء من قبضة العدى ... وعزمتكم تكفي لزعزعة اللحد

وسستم بلادي وهي حقا جديرة ... بفعلكم الميمون في العدل والرفد

وأنجزتم الدستور للشعب راضيا ... وحققتم الآمال في الأخذ والرد

أياديكم البيضاء وهي كثيرة ... تجل عن الإحصاء في معرض العد

هنالك في إفني تلقوا دروسكم ... فلم يجدهم غير اللجوء إلى الرشد

لقد لقن الأعداء ما جلّ وصفه ... وقد أبدت الأيام ما لم تكن تبدي
بفضلكم مولاي عزت ديارنا ... وطابت لنا الأيام في موكب المجد
بهمتكم خضنا معارك جمة ... بها برزت جند العدالة كالأسد
دعوتم لها كرها لردع خصومنا ... دعوتم لها طوعا بذلكم الجهد
لقد ظنها الأعداء ساعة موعد ... بجني ثمار النصب والغدر والكيد
ولكنها الأحرار تفرض حقها ... بقوة عزم بالكفاح وبالجند
فسل كل تل من صحارى جنوبنا ... وسل كل فج هل هنالك من قرد
وسل امكّلا والبئر والمحبس الذي ... به انجبست أنفاس حاقدنا الوغد
هناك رأيت الجيش يفتك بالعدا ... يداوي رؤوس الشؤم بالحز والحد
شبابكم المغوار في كل ساحة ... بحكمتكم أضحى المجلي ذا الوقد
ففي خطة العرفان والعلم زدتم ... معاهدنا فخرا ومجدا على مجد
وشيدتم الآلاف من عرصاتها. ... وحررتم الأفكار من وطأة القيد
جنودكم الأبطال في حلقاتها ... تصول على الظلماء صولة ذي لبد
أياديكم البيضاء وهي كثيرة ... تجل عن التعداد في معرض السرد
وهبتم لهذا الشعب كل حياتكم ... وهبتم له قلبا يفيض من الوجد
وهيأتم الأسباب في كل خطة ... ليبقى أبيّ النفس في عيشه الرغد
سعيتم إلى التصنيع في ثورة البنا ... وشجعتم الإنماء في القرب والبعد
وأنجزتم مولاي ما أدهش العدا ... سدودا بها نحيا ونسعد في الورد
مآذن في حضن المدائن آية ... تراها كما سلت سيوفك من غمد
موائننا تلك الموانئ كلها ... بدائع من عهد المفاخر والمجد
بواخرها كل يفاخر نده ... وما خابت الآمال في النقل والصيد
بدائعكم مولاي قد عم فضلها ... مرابعنا الخضراء في السهل والنجد
حملتم سليل المجد في كل موطن ... لواء الصفا والنصر والحب والرفد
دعوتم إلى دعم الصفوف بوحدة ... تكون مع الأيام قاعدة الجد
ومثلتم الأحرار في كل محفل ... فكنتم مثال النبل في الحل والعقد
وهذي بلاد العرب والعرب كلهم ... تحملكم أمر القيادة والذود
فلسطين ذاك الجرح بعض همومكم ... فشعبكم يفدي ورأيكم يهدي

قضيتنا في القدس أنتم أمينها	تسوسونها بالفكر والحزم والجد
مسيراتكم تترى، روائعكم شتى	مواقفكم فيض من العزم والود
كفاحكم الجبار في كل موطن	سيبقى مع الأمجاد في صفحة الخلد
ألا هل درى الأعداء ما هو واقع	بإفريقيا السمراء في مجلس الحقد
ألم يدركوا أنا صبرنا على لظى	وموقفهم ضرب من السخف والكيد ؟
ألم يعلموا أن الغواية والأذى	ستجعلنا ضدا على كل ذي صد ؟!
فدعهم أيا مولاي في حسو حقدهم	يعانون ما يلقون من وطأة الكمد
فهم وجموع الشر في كل موطن	سواء بسند الأرض كانوا أم الهند
سيادتنا فوق المطالب كلها	ونحن على حق السيادة في صمد
وان الذي يسعى المليك من أجله	سنعلنه حقا يجلجل كالرعد
مليلية تشقى وأنتم حماتها	وإن بها مولاي شعباً على العهد
وسبتة لن تبقى وعاياكمو بها	تئن من الأحزان في الأسر والقيد
عزائمكم فوق العزائم كلها	وعزم بناة المجد أوقد من زند
فدم سيد الأوطان يا حسن الهدى	وعش لوفاء الشعب والأهل والولد



# مفاخر تحتذى

للشاعر عبد الواحد السلمي

لعيدك عيد العرش أشدو مرددا ... وفي عيدك الميمون أحدو مغردا

على عيدك الأسنى ألف تحية ... فمقدمه، بشرى ترفرف بالندى

فللعرش أشدو : والسجايا تمدني ... وللعرش أعنو طائعا باسطا يدا

أُبايعه بالروح والقلب داعيا ... إلاه الورى يرعى حماك من العدى

يؤازر آزرتَه، ونصرته ... ويبقيك للإسلام سيفا مجردا

ويحمي ثغورا أنت طالع سعدها ... ويكلأُ جيشا في الحدود ترصدا

يرد بغاث الطير، شرذمة الخنا ... ويصليهمو نارا تصد من اعتدى

يؤدب أوباش المناوئ من بغى ... وجار على جيرانه وتمردا

ومالي شغلت الناس : تلك قضية ... غدت خبرا في جملة بعد مبتدا

بنينا وحصَّنا جنوب بلادنا ... وباتت «عيون» الثغر عقدا منضدا

وصلى صلاة الشكر لله عاهلي ... على رملها والسعد يحدوه منشدا

فحقق مولانا الوعود بزورةٍ ... تردد في كل البقاع لها صدى

وزار الحمى يختال فوق مطهم ... تحف به السبع المثاني متى اغتدى

زيارة خير تبعث الدفء والرضى ... إلى كبد المقرور؛ تمنحه الهدى

سل القصر عن أُسبوعنا في رحابه ... ورايتنا خفاقة، زهوها بدا

وأضواؤنا شمش تضيع سماءنا ... بليل : تباهي من إلى الشر أخلدا

تحدى أمير المومنين هراءهم ... ومن بالتحدي غيره يقهر العدى : ؟

سلام على أيام مولاي في الحمى ... وطوبى لنا : هم الجنوب تبددا

وقالوا أتى الميمون يرفل في سنى : ... أما راعك العيد الذي ضاء فرقدا ؟

فقلت لهم : من عاش تحت لواء من ... أتاح لنا عيشا كريما ممهدا :

ففرحته ممتدة، أبدية ... وأيامه ميمونة كلها ندى !

فبالحسن الثاني توطد مجدنا ... وبالحسن الثاني الفخار تأكدا

فخمس وعشرون التي مر عهدها ... أما سجلت للعرش ذكرا مخلدا ؟

بنينا سدود الخير تسقي حقولنا ... فتروى الأراضي بالنمير لنسعدا

أقمنا لنشر العلم في كل بلدة ... معاهد للعرفان واسعة المدى

محاكمنا ملء الحواضر والقرى ... رياض وقصر للعدالة شيدا

لنا ثُكن للجيش عدت وعززت.. ... بكل شديد البأس : إن هب أنجدا

وكم من يد أسدى مليكي لأُمتي ... وكم لقن المخذول درسا ليصمدا

أمولاي ياذا الرأي والحزم والجدا ... ومن إن ينادى للهداية أرشدا

جهودكمو في لجنة القدس حققت ... نتائجها فارتد من كان عربدا

وإيمانكم بالله نوّر سبْلكم ... ومن كان يخشى الله أضحى مؤيدا

فيامنقذ الصحراء بعد اغتصابها : ... شمال بلادي بحره اليوم أزبدا

كتائب عباد الصليب تنمروا ... وقد جردوا للثأر ما كان مغمدا

أرى إخواني ذاقوا الأمرَّ، وكأسهم ... طفت بالرزايا؛ والسعير تصعدا

تغشتهمو الأحداث أنى توجهوا ... وبات نذير الشر يقصف مرعدا

أراد العدى إدماجهم فتشبثوا ... بأرضهمو رغم التحرش والردى

ففي كل ساح وثبة علوية ... وفي كل ركن ثائر قد تجردا

وقدم إخواني زكيَّ دمائهم ... ولاء لعرش من يلوذ به اهتدى

فمُنَّ برأي يرتق الفتق ثاقب ... ويجمع شملا بالحروب تبددا

وعيدك يامولاي عيد فخارنا ... وأمجادنا : أبقاك ربي مقصدا

وحقق ما ترجو لشبليك من رضى ... يكللهم، تاجا من الفضل والهدى

وللنيرات الزاهرات بقصركم ... دوام المنى في ظل عرش تخلدا

# بيعة وولاء

للشاعر محمد بن محمد العلمي

أتيتك يا مولاي في العيد شاديا، ومن نبض قلبي قد نظمت القوافيا
فما الشعر إلا ترجمان مشاعر، تهز خفايا مهجتي وكيانيا
ومن عمق ذاتي قد رفعت محبتي، وبلغت للتاج الرفيع ثنائيا
فيا (حسن) الأمجاد، ها أنت أول، فلم نر في العليا لعهدك ثانيا
وما أنت إلا نعمة جل شكرها، وتلك الرعايا فيك تحمد راعيا !
أحبك رب الناس، فالكون كله يقدم للشهم الحبيب التهانيا !
إليك يد الرحمان مدت بعونه، وكنت له العبد المطيع المواليا،
فصنت أمانات له ومحارما، وللقدس لبيت الوجيب المناديا
وصليت شكرا للإله، فأنت من توالي دعاء حين تدري الدواعيا
أمولاي، يا من في فراسة مؤمن يصد بنور الله عنا الدواهيا،
ضمانك في ذكر حكيم وسنة، فكان وما ينفك سبعا مثانيا !
إذا كنت ترعى بالوفاء عهودنا، فها نحن زدنا صولة وتفانيا !
وقبل الربيع الغض أنت ربيعنا، تجلى على هذا الحمى الحر زاهيا !
وآذار قد أحيا القلوب، فأصبحت تناديه : مرحى ! قد أعدت شبابيا !
تملكني العشق القديم لمالكي، فلله شوقي، للحبيب، وما بيا !
وإن أنست روحي بمن هو روحها، فإن صباحي صار بالعرش ضاويا
وإن أمير المؤمنين أجل من ينير حياتي، فهو يسبي فؤاديا !
أباهي به.. أزهو، وأفخر دائما وأجعله الرمز المجيد المثاليا !
سلام على تلك العناية زانه بها ربنا من كان للخلق هاديا :

بنـــاء، وتشييـــــد، وتحرير تربـــة، وتوحيد صف صار كالطود راسيا !
يخوض الجهادين اللـذين بحكمـة همـا حقّقـا للمخلصين الأمـانيـا
ففي ظلـه ترجو الشعـوب ودادنـا، وتنشـد منـا حظـوة وتـآخيـا
فنلنـا احترامـا في الأنـام ورفعـة، ونحن ملأنـا بـالحضـور النـواديـا
تحـدثت الأنبـاء عنـا بـدهشـة، فأصداؤنـا هزت قريبـا ونـائيـا،
وقد جاء أقطاب الصحافة هاهنـا، وفيمـا رووه أصبح الصدق راويـا !
وللحسن الثـاني ذكـاء وفطنـة، ونـور مبين قـد أزاح الـديـاجيـا
لقد أرجع الصحراء، فاسأل عيوننا، بسـاقيـة حمراء تحضن واديـا،
فلم تـك ربعـا خاليـا من وجودنـا، ولكن ولاء الأهل قـد كـان صـافيـا !
وإني أرى التـاريـخ يبعث نفسـه بـوحـدتنـا، فـالظلم أدبر فـانيـا !
لقـد أقسم الشعب الـوفي فلم يحس بذمتـه، بـل قـام ـ للمجـد سـاعيـا
ومـا ضرنـا من ينكرون حقـوقنـا، فلم يك ما قـد بيت الخصم خـافيـا !
فشكرا ـ لجيش صـامـد متبصر، يخوض جهادا في المعارك ضـاريـا !
وهـذا جـدار الأمن يحمي ذمـارنـا، ويصرف عن هـذي البلاد العواديـا
وفي رحلـة نحو الجنوب تبلـورت معـاني وفـاء كـان دومـا قيـاديـا
فـذلك الاستفتـاء حقـا ! وهـا هنـا وضوح بـه التوحيـد قـد كـان قـاضيـا
وفي أرضنـا نحيـا كرامـا أعـزة، برغم ادعـاء كـان للخصم، واهيـا !
وللشهـداء المجـد والخلـد كلـه ففيهم نرى تلك الجبـال الرواسيـا !
سـلام عليهم من بـلاد تكللت بتـاج غـدا في عهـدهم متفـانيـا !
فهم عيـدنـا في عيـد عرش ممجـد، فمن سيـد الأسيـاد زادوا تسـاميـا !

☆ ☆

على كـل وجـه بسمـة حسنيـة، تفجر من عمـق القلـوب الأغـانيـا
وفي كـل ركن بـالحبيب مسرة، وأنس بعيـد العرش قـد كـان طـاغيـا
ألا فـانظرو تلك الحواضر، واشهدوا قرانـا، فـإن الشـدو هـز البواديـا !
وفي كـل قلب قـد تـوطـد عرشنـا، فقـد فـاق بـالعشق العروش الكراسيـا
وفي غمرة العرس الكبير تنـاسقت فنون بهـا الـوجدان قـد كـان راضيـا
وألـوان هـذا العيـد تسبي ضميرنـا، وترفـع في الميـدان أحمر قـانيـا !
فـأكرم بـوعي في الرعيـة كلهـا ! وأنعم بشعب كـان للعشـق واعيـا !

نهوض لدى كل المجالات واضح، فقد كان فرديا، وكان جماعيا :
هو السر سر الله في العمق ظاهر، على أوجه الأحرار يحيي المعانيا !

☆ ☆

لقد عادت الذكرى، فكان رجوعها مشيدا على أس الكفاح المعاليا :
مشاريع تتلو منجزات عظيمة، تتوج مجهودا لنا متواليا
وقصة حب الشعب للعرش قصة تسير بها الركبان... جلت مغازيا !
فلا الشعر يكفيها أداء وروعة، ولا الفن وفّى من مداها المساعيا،
ولا بهجة التصوير مهما تناسقت تجسد من ذاك الغرام المراميا
فإن امتزاج الذات بالذات وحدة، يبارك منها الله ذاك التناجيا !
لقد ضرب الأمثال عرش وأمة يديمان في ظل الوفاء التلاقيا !
وفي بيعة الرضوان أعظم عبرة لأجيالنا، من صانت العهد غاليا !
تعيش وتبقى دولة علوية بها المجد في التاريخ قد دام راقيا !
فمن (طنجة) الفيحاء حتى (كَويرة) ترى الشعب مشبوب القريحة ناميا
وفي (وجدة) الشماء قد شاد وحدة بها أعطت الأحرار درسا وقائيا
فإفريقيا ترعى العروبة حقها، وذلك مسعاها غدا متتاليا !
كفى باتحاد الصف فينا مزية، ففيه ضمان كان للمجد حاميا،
يوالي جهودا في بناء مكاسب، ويعمل في صون السيادة فاديا
وللحسن الثاني من الفضل خيره علينا، فمرحى بالحبيب مواليا !
وليس يخاف الصعب فيما يرومه، فيجتازه صبرا، ولو كان قاسيا،
يقول : كفاني الله حافظ أمتي، وأن يصبح المجد الأثيل شعاريا !

☆ ☆

أمولاي، يا من كنت للفضل كوثرا، ودفء حياة في الشرايين ساريا
سلمت لهذا الشعب من أنت رمزه وعزته... فالأمر قد كان باديا
ففي عيدك الميمون جئتك طائعا، وجددت عشقا بيعتي وولائيا !
يعيش (ولي العهد) شهما موفقا، ويحيا (الرشيد) المرتضى متعاليا
فذلك بيت الماجدين على هدى، وذو همة لاتستسيغ التوانيا
كما كان بدئي في سمو مساره، لقد حقق الفوز المبين ختاميا !

# الرحلة الميمونة

آسية البلغيثي الهاشمي

بنـود خـافقـات جللتهـا — أكـاليـل المحبـة والسـلام
طـلائـع مـوكب بـالبشر تترى — وفي أجوائهـا سرب الحمـام
مـواكب رحلـة بـاليمن تسقي — بـوار ترابنـا غيث الغمـام
مسـومـة بعين اللـه سـارت — وسبـط المصطفى أهـدى إمـام
إمـام رائـد للشعب أمسى — كبـدر سـاطـع يـوم التمـام
أتتـك البيعـة الكبرى جهـارا — فطـاشت أسهم الغـدر الغشـام
ملكت العرش قلب الشعب حلمـا — فـأرخى طـائعـا أعصى زمـام
وكنت الحصن لـلأوطـان يحمي — ودرعـا ذائـدا كـل السهـام
عجمت الملـك شبـلا أطلسيـا — وليثـا راصـدا جـل الجسـام
عمـاد الـدين بـالقرآن أضحى — سنـاء للعـدالـة والـوئـام
منـار العلم والعرفـان أمسى — مشعـا لاهجـا فضـل الهمـام
فـأعشى نـوره الأعـداء حتى — تـداعى صرحهم وسـط الظـلام
وجـاء السير للصحراء وحيـا — ووصـلا للمفـاخر بـالعظـام
بـلاد العرب دانت بـالتـزام — لحر حـافـظ رعى الـذمـام

وشعب المسلمين إليـــــــك ألقى ... مقـــاليـــد الإمـــارة والكـــلام

فــــدم للمسجــــد الأقصى أمينـــا ... وذد عن حرمــــــة البيت الحرام

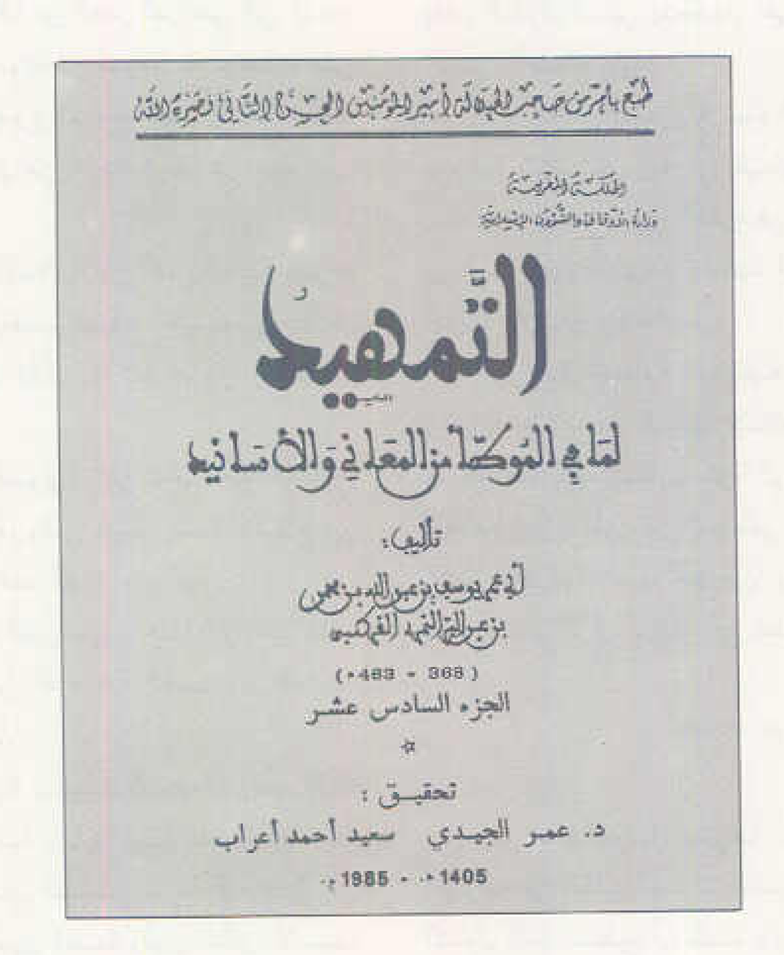
لأنت البلسم الشـــافي لـــداء ... وأنت الـــذخر يـــا خير الكرام

جمعت الشمـل والأعـداء حـزب ... رمـــانـــا بـــالرزايـــا والعظـــام

خطبت الــود والهيجـــاء نـــار ... وليس يرى ســوى برق الحســـام

رفعت الـوحـــدة الكبرى منـــاراً ... تبـوأ بـــالـــذرى أسمى مقـــام

حـــدود اللــه بـــالعـــدل استقـــامت ... حيـــاة للرعـــايـــا والأنـــام



# من نبويات أبي عبد الله المرابط الدلائي

للأستاذ عبد الجواد السقاط

موضوع الأمداح النبوية من أكثر الموضوعات انتشارا في الشعر المغربي، انطلاقا من العصر المرابطي إلى اليوم، ولا سيما إذا علمنا أن مجموعة من العوامل قد ساعدت على هذا الانتشار، وجعلت موضوع المديح النبوي بضاعة نافقة في سوق الإبداع الشعري في بلادنا، نذكر منها على الخصوص :

1) تمكن العقيدة الإسلامية من المغاربة، بما يطرحه هذا التمكن من إكبار وتعظيم لهذه العقيدة، ولحامل رسالتها سيدنا محمد ﷺ، ولآل بيته الطاهرين، وصحابته الكرام الراشدين.

2) تعدد الطرق الصوفية التي تتخذ من الأمداح النبوية دعامتها الأساسية، والتي تتوسل بهذه الأمداح في طقوس تختلف باختلاف هذه الطرق وتباينها.

3) التأثر بالشعراء الذين مارسوا هذا اللون من الشعر في المشرق، بدءا بالشعراء الصحابة كحسان بن ثابت، وكعب بن زهير وأضرابهما.

4) احتفال المغاربة بالمولد النبوي الشريف، ذلك الاحتفال الذي يعتبر مناسبة يتبارى فيها الشعراء، بدءا من العصر المريني الذي كان المنطلق لهذا الاحتفال إلى اليوم[1]، ويتنافسون في فنون الصنعة وألوان التأنق، لا سيما وأن هذه المولديات تلقى في محافل رسمية يحضرها أحيانا بعض الملوك الذين يشجعون على هذا اللون من الشعر، ويثيبون أصحابه عليه.

5) اتخاذ المغاربة سيرة الرسول ﷺ مثلا أعلى، ونبراسا يستضيئون به في حياتهم، ومن ثم فقد راحوا يتذكرون بهذه السيرة العطرة في كل مناسبة وعصر، وينظمها شعراؤهم ليزداد ترسخها في النفوس، وتبقى قدوة جديرة بالانتهاج والاحتذاء.

6) طول المسافة الجغرافية التي تفصل بين المغرب وبلاد الحجاز، مهد الدعوة الإسلامية ومبعث الرسول ﷺ ومثواه، مما يزيد المغاربة شوقا إلى زيارة المقام الشريف، وتطلعا إلى التملي بقبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، الشيء الذي يولد لديهم حبا قويا وتعلقا شديدا، لا يملك الشعراء منهم إلا أن يسجلوه في قصائدهم ومطولاتهم.

☆ ☆ ☆

من هذه العوامل وغيرها، يكون موضوع الأمداح النبوية في المغرب قد اشتد عوده، وكثر تناوله، هذا التناول الذي نستطيع أن نلمسه بارزا عبر العصور التاريخية

---

1) انظر في هذا الموضوع مقالا للدكتور عباس الجراري بعنوان : «المولد النبوي في الأدب المغربي»، مجلة المناهل، العدد 9، السنة 4، رجب 1397 هـ، يوليو 1977م، وكذلك كتاب «الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه» لنفس المؤلف، مكتبة المعارف بالرباط ص 139 - 167.

المتلاحقة،فإذا انطلقنا من العصر المرابطي، وجدنا القاضي عياضا الذي تعددت نصوصه في هذا الباب، والذي عبر فيها عن مدى تعلقه بالرسول الكريم، وعارم فرحته بزيارة قبره الطاهر، كقوله في مستهل قصيدة :

بشراك يـــا قلب هـــذا سيـــد الأمم
وهــــذه حضرة المختـــــار في الحرم
وهــــذه الروضــــة الغراء طــــاهرة
وهــــذه القبــــة الخضراء كـــالعلم
ومنبر المصطفى الهــــادي وحجرتــــه
وصحبــــــه والبقيـــــع دائر بهم
فطب وغب عن هـــموم كنت تعرفهـــا
وسل تنـل كـل مـــا ترجـوه من كرم[2]

وإذا توقفنا بعد هذا عند العصر الموحدي، ألفينا الشاعر ميموناً الخطابي الذي احتفظت له المصادر بمطولة فريدة مدح فيها المصطفى ﷺ، وأشار إلى جملة من مناقبه ومآثره، كقوله منها في موضوع الهجرة :

وأيتــــه في الغــــار إذ نـــزلا بـــه
وكـان لـه الصديـق بـالصدق ثـانيا
وقـد أرسـل اللـه الحمـــام لبـابـــه
وقــارنــه بـالعنكبـوت مضـاهيـــا
فبـاض على الفـور الحمـــام وشيـــدت
من النسـج أيـدي العنكبـوت مبـانيـا
فــدافـع عن صـديقـــه ورسـولـــه
بـأضعف أسبـاب الـوجـود مقـاويـا[3]

وإذا وصلنا إلى العصر المريني، لمسنا اهتماما متزايدا بالموضوع، سواء على صعيد المضمون أو الصياغة. ففي هذا العصر نجد ابن المرحل صاحب «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى»، وصاحب «المعشرات النبوية»، وهي كلها قصائد في مدح الرسول الكريم، والتذكير بأمجاده وآياته. وقد حاول ابن المرحل أن يلتزم لونا من الصنعة يتمثل في بناء قصائده على حروف المعجم، جاعلا بداية البيت هو نفس حرف الروي منه، كقوله في حرف الهمزة :

إمـــام هــــدى صلى النبيـون خلفـــه
وصلى عليـــــه أهــــل كــــل سماء
أمين على الـــوحي الكريم وإنمـــــا
هـــو السر لم يـــودع ســوى الأمنــــاء
أضـاءت بـه الـدنيـا، فمن وجهـه سرى
إلى الشمس والأقمـــار كـل ضيـــاء
أسرتــــه تهــــدي السرور، وكفــــه
تكف من الأعـــداء كـــل عـــداء
أتـــــاتــــا بقرآن كريم مفصـــل
جـلا صـــدأ الأذهـــان أي جـلاء[4]

ولا ننسى أن نشير في هذا العصر كذلك، إلى الشاعر أبي القاسم العزفي الذي مال نحو المديح النبوي سواء في شعره أو نثره، ومن نماذج ذلك قوله في آل البيت :

دريـــــــــة المصطفى إني أحبكم
وحبكم واجب في الـــــــدين مفترض
فليس يبغضكم، لا كـــــان بـــاغضكم
إلا امرؤ مـــــارق في قلبـــــه مرض
وحسبكم شرفـــــا في الــــدهر أنكم
خير البريـــــة، هـــذا ليس يعترض
ولست أطلب من حبي لكم ثمنــــــا
إلا الشفـــاعــــة فهي الـسؤل والغرض[5]

ونتوقف بعد هذا عند العصر السعدي لتقابلنا مجموعة من الشعراء الذين طرقوا موضوع المديح النبوي، ولا سيما

---

2) القاضي عياض الأديب، لعبد السلام شقور، مطبعة دار أمل، طنجة، 1983 ص 339، نقلا عن مجموع بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم 359.

3) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد المقري التلمساني، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ج 2 ص 389.

4) الـوافي بـالأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بنتاويت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1402 هـ، 1982م، ج 1 ص 339.

5) أزهار الرياض للمقري، النسخة المذكورة، ج 2 ص 377.

في إطار المولديات، بل منهم من خصوا به دواوينهم، كما فعل أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر الشريف العلوي الذي ذكر له صاحب الدليل ديوانا خاصا بالأمداح النبوية[6]، وكما هو الشأن بالنسبة لشاعرنا المرابط الذي جمع بعض المهتمين مجموعة من نبوياته في ديوان مستقل[7]، أكتفي منه الآن بالإشارة إلى مقطع من قصيدة يقول فيه :

تـــامى على كـل البريـــة منصبـــا
فكـل ذوي الأخطـــار بـــاد تضـــاؤلـــه
مـــواطنـــه كـــالمســـك لا بـــل تفـــوقـــه
وشتـــان مسكـــات الأريـــج وحـــائلـــه
لغرتـــــه نـــور تـــــاطـــع في النهى
بهـــا أبصر المكفـــوف والرشـــد شـــاملـــه
تعـــالـت مـــزايـــــاه وفـــــاح عبيرهـــــا
فللروض منهـــــا مـــــا أذاعت شمائلـــــه
وتـــــاهت بـــــه العليـــــاء وانتعشت بـــــه
أواخر أعـــــلام الـــــورى وأوائلـــــه[8]

وكذلك الأمر بالنسبة للعصر العلوي، حيث نجد استمرارا متميزا في طرق المديح النبوي، سواء كان ذلك في قالب القصائد التقليدية العمودية أو في قالب الموشحات، وسواء كان أيضا في إطار الدواوين الخاصة المستقلة أو في إطار القصائد المفردة. ونكتفي بالإشارة، من هذا الفيض الزاخر، إلى عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي صاحب الديوان في الأمداح النبوية[9] وعبد الكريم ابن زاكور صاحب ديوان «السراج الوهاج في مدح صاحب التاج والمعراج»[10]، وابن الطيب العلمي صاحب «القصائد المعشرة في التشوق إلى البقاع المطهرة»[11]، ومحمد الحراق القائل في مستهل موشحة في الموضوع :

قـمـــــــا بمن سما فـــــــوق سما
إذ سرى من بيتــــــــــــــه في الغلس
وأنيـــــل في المعـــــــالي قسمـــــا
لم تكن صلصلــــــــــــــة من جرس
آيـــــة كبرى رأى من ربـــــــه
مـــــا رآهـــــا قبلـــــه من أحـــــد
نـــــالهـــــا من بعـــــده عن سربـــــه
إذ عـــــلا الســـــدر ونـــــور البرد
يـــــا لهـــــا من رتبـــــة في قربـــــه
خص فيهـــــا بـــــالمقـــــام الأوحـــــد
فهـــو عن حب شفـــــاهـــــا كلمـــــا
ورأى عين البهـــــــا المقـــــــدس
ووعى عن الإلـــــــــه كلمـــــــــا
بثـــــــه في سره ومـــــــا نسي[12]

وأخيرا نشير إلى العهد الحسني الزاهر، وما عرفه فن الأمداح النبوية فيه من ازدهار وتواصل، يكفى أن نقتصر من نماذجه ورجاله على الشاعر محمد بن محمد العلمي القائل من قصيدة :

محمـــــد صفـوة الأكـوان قـــاطبـــة
من دينـــــه الحـــق يحيي أقـــوم النظم
يـــدعـــو إلى اللـــه في طهر وفي ثقـــة
نعم الأمين عظيم الجـــــــاه والقيم[13]

☆ ☆ ☆

6) دليل مؤرخ المغرب الأقصى لعبد السلام بن سودة المري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960م، ص 387.
7) يوجد هذا الديوان مخطوطا بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 3644.
8) ديوان محمد المرابط، النسخة المذكورة، ص 27.
9) يوجد هذا الديوان مخطوطا بالخزانة الحسنية تحت رقم 3071.
10) توجد بعض أجزائه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 1830، وكذلك بالخزانة الحسنية تحت رقم 2356.
11) التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد بن الطيب القادري تحقيق هاشم العلوي القاسمي ص 327.
12) موشحات مغربية، دراسة ونصوص للدكتور عباس الجراري، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1973م ص 187.
13) دعوة الحق، عدد 241، محرم 1405 هـ - أكتوبر 1984م، ص 101.

ولعلنا بعد هذه الإطلالة الخاطفة على مسيرة الأمداح النبوية في الشعر المغربي، نعود إلى شاعرنا محمد المرابط الدلائي، باعتباره واحدا ممن أسهموا في هذا الموضوع، وأعطوه من قريحتهم واهتمامهم الشيء الكثير.

فإذا نحن نظرنا إلى القصائد التي وصلتنا عنه في هذا الموضوع، وجدناها ست عشرة قصيدة، تصل في مجموعها إلى ألف وخمسة عشر بيتا (1015)، وهي نسبة كبيرة إذا علمنا أن كل ما وصلنا من شعره لا يعدو ألفا ومائتين وثمانين بيتا (1280). ومن هنا ندرك مدى اهتمام الشاعر بهذا الموضوع، وإلى أي حد استطاع أن يفرض نفسه فيه كحلقة متميزة ضمن هذه السلسلة الممتدة منذ العصر المرابطي إلى اليوم.

وبالنظر إلى هذه القصائد النبوية عند الشاعر، نستطيع أن نطرح الملاحظات الآتية :

1) لقد كان البناء الهندسي لقصيدة المديح النبوي عند شاعرنا يقوم على جملة من العناصر، قد تتواجد كلها في القصيدة الواحدة، وقد ينقص بعضها أحيانا.

فمن هذه العناصر :

أولا : تلك المقدمة الغزلية التي لم يكن الشاعر يعمد إليها في كل قصائده، ولكنه يوظفها بين الحين والحين، وهو توظيف غالبا ما يتسم بالطول الموحي بأن القصيدة أنشئت في الغزل لا في المدح، ومن نماذج ذلك قوله من قصيدة :

بي غـــادة منهم لفرط جمــــالهـــا
زهر الكـــواكب والبــــدور تصفــق
تـزهـو على غصن النقـــا بقـوامهــــا
وعلى الكثيب بردفهــــــــا تتروق
حـــوراء تعبث بـــــاللبيب عـــزازة
ولهــــا بـــــأفـلاذ القلـــوب تعلــق
زعمت فـؤادي ملهــــا فتبـــاعــدت
كــلا ودون وصـــالهــــا أتـــأرق
إن رابهـــــا مني تـــــورد منظري
فبنــــأيهـــا عني عـــلاه تحرق
أو غـــاظهــا أني صريـع لحـــاظهـــا
فبلحظهـــا المـــاضي يغـــان ويصعــق[14]

على أننا نستطيع القول بأنه غزل قد يدخل في إطار الرمز الشعري الذي يميل إليه المتصوفة، حيث يرمزون إلى الحب الإلهي أو حب الرسول ﷺ بـــالمرأة أو الخمر أو الطبيعة أو ما إلى ذلك[15]، كما نقرأ عند ابن الفارض مثلا :

فلي بين هـــاتيــك الخيـــام ضنينـــة
علي بجمعي سمحـــــــــــة بتشتتي
محجبـــــة بين الأسنـــــة والظبى
إليهـــا انثنت ألبـــاتنـــا إذ تثنت
ممنعـــة خلع العـــذار نقـــابهـــا
مسربلـــــــة بردين قلبي ومهجتي
ومـا غـدرت في الحب أن هـدرت دمي
بشرع الهـــوى لكن وفت إذ تـــوفت
جمـــال محيـــاك المصون لثـــامــه
عن اللثم فيـــه عـــدت حيـــا كميت[16]

ثانيا : مدح الرسول ﷺ والثناء عليه، فهو خير من وطئت قدماه الأرض، وهو الذي لولاه ما كان وجود، إلى غير ذلك من الأوصاف والنعوت التي نمثل لبعضها بقوله من قصيدة :

يــــا خير من وطئ الثرى وتسربـــل الـ
مجــد الأثيـل وبـــالعلى يتـــألــق
وتـــواترت آيــــاتـــــه الكبرى التي
ينـــدى بهـــا كبــد المحب الشيــق

14) ديوان محمد المرابط، النسخة المذكورة، ص 11، والبدور الضاوية لسليمان الحوات، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 261 ص 304.

15) انظر في هذا الموضوع كتاب «الرمز الشعري عند المتصوفة» للدكتور عـاطف جـودة نصر، دار الأندلس ودار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع، 1978م.

16) نفس المرجع السابق ص 185.

أنّى يســــوغ تطـــــاول من مفتر
أو نـــاكص، كـــلا فـــذاك الأخرق
من بعـدمـــا سطعت شـوارق مجـدكم
وتظـــاهرت واحتـــار منهـــا البـق
لـولاك مـــا نطـق الجمـــاد ولم تكن
في أوجهـــا هـــذي الكـواكب تخفـق
لـولاك مـــا هـــاج الركـــائب عــالـج
لـولاك مـــا حـــديت لـزمـزم أنيـق
لـولاك مـــا رجي الـسؤال لـســائـل
بعرى محـــاسن مجـــدكم يتعلـق[17]

ثالثا : استعراض معجزات الرسول ﷺ وترديد مناقبه وآياته، بدءا من القرآن الكريم أكبر هذه المعجزات، إلى كثير غيره كالإسراء والمعراج، ورد عين قتادة، وتظليل الغمامة، وحنين الجذع، وعودة الشمس بعد غروبها، وهو استعراض ما فتئ الشاعر يعود إليه في أكثر من قصيدة، كقوله من واحدة :

حـــدبت عليـــه نـواكب لاثت بـــه
للـــه مـــا حـــاكتـــه بـــالغيران
وحمت حمـــاه حمـــامـــة قمريـــة
صـــدحت مغردة بـــأيــك البـــان
ونحتـــه وارفـــة تميـــد وقـــد دوت
شـوقـــا إليـــه نـواظر القضبـــان
وتصـــافحت تـدعـوه ألسنـــة الحصى
شغفـــا إليـــه وظبيـــة القيعـــان
وغـــذا المئين غـــداة أضحـوا جـوعـــا
صـــاعـــا فطم بـــه على الفقران[18]

وقريبا من هذه العناصر، نجد عنصر آخر يتمثل في تتبع سيرة الرسول ﷺ بكل تفاصيلها ودقائقها، بدءا من نسبه عليه الصلاة والسلام، فمولده فرضاعه فشبابه فبعثته فجهاده في سبيل نصرة الإسلام...[19]، وفي هذا المضمار نقتصر على قوله في موضوع مولده ﷺ من قصيدة :

يـــا ليلـــة الميلاد مـــا أبهـــاك من
غراء جـــادك صيب يتـــدفـــق
فيـك انبرى أسمى الخـلائـق سـاجـدا
يرنـــو إلى نحـــو السمـــا يتملـــق
ومـلائـــك الرحمن في أفـــق السمـــا
رفعت أبـــاريقـــا تروق وتبرق
حفت بهـــا خير الأنـــام وقـــد غـــدا
مـــا بين بصرى والحطيم يخفـــق[20]

رابعا : وإلى هذه العناصر المتقدمة يضاف عنصر التوسلات التي كان الشاعر يتخذها مناسبة يتجه فيها إلى الرسول الكريم راجيا شفاعته وصفحه على غرار قوله :

إني اتكلت عليـــك يـــا من لا يرى
أبـــدا إليـــه القـــاصـــدون مثيـلا
إن تعف عن ذنب المرابطي الـــــذي
طلب الثـــواب مسببـــا فـــأنيـلا
ربحت تجـــارة سعـــده في شعره
فسعى فنـــال القصـــد والمـــأمـولا
فـــاغفر لـــه فيمـــا مضى والطف بـــه
واستره سترا من رضـــاك جميـــلا[21]

خامسا : وكذلك يضاف عنصر آخر، وهو التشوق إلى زيارة المدينة المنورة، والتمكن من زيارة القبر الطاهر، ذلك التشوق الذي لا يبرده إلا تحقيق الأمل والفوز بالمطلوب، يقول :

عسى وعسى يسخـــو الـــزمـــان بعـودة
تروي صـــدى عـــودي فيخضر ذابلـــه

17) البدور الضاوية للحوات، النسخة المذكورة ص 306.
18) نفس المصدر السابق ص 302.
19) انظر في ذلك كتاب «أبي عبد الله محمد المرابط الدلائي» لحسن جلاب مرقون بخزانة كلية الآداب بالرباط، وكذلك كتاب الشعر الدلائي لعبد الجواد السقاط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1985م.
20) البدور الضاوية للحوات، النسخة المذكورة ص 305.
21) نفس المصدر السابق ص 313.

وأسحب أذيــــــــــال المنى مترددا
إلى مسجــد نـــال السعــادة داخلــه
أصلي بــــه مــــــا بين قبر ومنبر
وأكرع في حوض حوى المجد نـاهلـه
أقبـــل آثــــار النبي وصحبــــه
وأسكب مـدرارا تهـاطـل وابلــه[22]

سـادسـا : ونختم هـذه العناصر بـالتصليـة على محمد ﷺ وعلى آله وصحابته، وهو العنصر الـذي لا تكـاد تخلو منه قصيدة من قصائد الشاعر في الموضوع، وكنموذج له قوله في نهاية إحدى قصائده :

فعليـــه مني بـــالسـلام تحيــة
عـدد النجـوم وهـــاطـل السحبـــان
وصحــــابــــه الغر الكرام وآلــــه الـ
ــزهر الصبـــاح زواخر العرفـــان[23]

2) لم تنحصر نبـويـات المرابـط في شخصيـة الرسول ﷺ كهدف متفرد، وإنما تجاوزت ذلك إلى هدفين آخرين لهما علاقة وطيدة بـالهدف الأول. فـأمـا **أحـدهمـا** فيشمل آل البيت النبوي الشريف الـذين تعلق بهم الشاعر تعلقا كبيرا تعرب عنه بعض قصائده كقوله في إحداها :

آل النبي معـــــــــــاشري أجري
ذكراهم سرا وفي الجهر
هم ســـــادتي وإليهم شغفـــــا
أهفـــو هفـــو حـــوائم الـــوكر
وهم الألى مـــلأوا الحشـــامقـــة
وصبـــــابـــة تنمـــو إلى الحشر
فـــأنـــا المملـــك مـــذ نشـــأت لهم
حتى أبلــــــــغ منتهى العمر
تفـــــديهم نفسي ومـــــا ملكت
وصغـــــار ولـــــدان هم أزري[24]

وأما **ثانيهما** فيتمثل في توجه الشاعر بالخطـاب إلى المدينة المنورة، مبديا هيامه بها، ومشيدا بمزاياها كمـدينـة تتميز بكونها مهبط الـوحي ومغنى الرسول ﷺ... يقـول من قصيدة :

يـــا دار خير الرسـل يـــا مثوى المنى
قلبي لأجلـــك ثـــائر الحركـــــات
يهنيـــك أنـــك مهبـط الـوحي الـــذي
يعتـــاده جبريـــل بـــالآيـــات
مغنى الرسـول ومنـزل قـد طـالمـــا
فيــــــه تردد دائم البركــــــات
أسمى الخليقـــــة منصبــــا وشفيعهم
يــوم المعـــاد لمجمـــع الحسرات[25]

3) لقـد ركب الشـاعر في نبـويـاتـه البحور الشعريـة التي تتميز بـالنفس الطويل كـالكـامـل الـذي يحظى عنـد الشاعر بحصة الأسد إذا مـا قورن بـالبسيـط أو المـديـد أو الخفيف. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الشاعر كان يختار من البحور ما يتسع لعواطفه المتأججة.. ويستطيع بواسطته أن يعبر عن عارم تعلقه وشديد هيامه. ولعله بهذا الاختيـار كذلك، يرتبـط بـالتيـار المحـافظ في الشعر العربي، ذلـك التيـار الـذي يقوم على وحدة البيت، الشيء الـذي يضطر الشاعر لركوب بحر تكثر تفعيلات البيت الواحد فيه لتشمل أكبر قـدر من المعـاني والصور، فيستقـل بـذلـك عن البيت الذي يليه.

4) تعتبر نبـويـات محمـد المرابط تجسيـدا للتيـار الصوفي الذي جرف الشـاعر كمـا جرف مجموعـة أخرى من أفراد أسرته ومعاصريه وهو تيار يتسم عند شاعرنا بـالـذوبـان المطلق في حب الرسول ﷺ وآله وصحـابتـه، والإقرار بقوة الخـالق الجبـار، وعظمـة رسـولـه الكريم، في نغمـة ملؤهـا الانكـار والتذلل أمام هذه القوة وتلك العظمة، ويبـدو ممـا وصلنا من شعر المرابط أن صوفيته لم تقف عند هـذا الحـد،

22) ديوان محمد المرابط، النسخة المذكورة ص 33، وكذلك البدور الضاوية للحوات، النسخة المذكورة ص 327.
23) البدور الضاوية للحوات، النسخة المذكورة ص 303.
24) ديوان محمد المرابط، النسخة المذكورة ص 21.
25) نفس المصدر السابق ص 39، والبدور الضاوية، النسخة المذكورة ص 291.

بـل تجـاوزت ذلـك إلى اتخـاذ بعض أعلام التصـوف رمـزا للسعادة الروحية والاطمئنان النفسي، وعلى رأسهم القطب عبد السلام بن مشيش الذي توجه الشاعر إليه، حيث يقول من قصيدة :

مـولاي هـا عبـدك الصب المتيم قـد
ألقى إليـك أكف الـذل مفتقرا

عسى عنـايتـك الشمـاء تغمره
بمجـدك الـوافر الضخم الـذي حضرا

وتمـلأ القلب إيمـانـا يروق بـه
نـور مبين يجلي منـه مـا انكـدرا

وينتـج الرشـد والعرفـان بـاهره
فيمحـق الشـك والأوهـام والغيرا[26]

ولعل هذا التجـاوز لم يكن خـاصا بشـاعرنا، بل إنه مـلاحظة تستوقفنا عند بعض شعراء الفترة، وخـاصـة من الأسرة الدلائية، كأحمد بن عبد الله بن محمد الحـاج الـذي يتوجـه بشعره إلى القطب أبي مدين الغـوث، حيث يقـول من قصيدة :

كيف يسلـو عن الهمـوم غريب
ترك العـز خلفـه وبـلاده

أذهبت عـزه صروف ليـال
نقضت من عـلاه مـا كـان شـاده

فعليـك معـولي يـا أبـا مـد
ين يـاغـوث خـائف يـا عمـاده

يـا منيـل المطلـوب يـا جـابر كسـ
ـر طريـد ألقى لـه بـالمقـاده[27]

☆ ☆ ☆

وعموما فتبقى نبويات محمد المرابط الدلائي جديرة بالتعرف إليها، والوقوف على خصائصها ومميزاتها، تمـامـا كما هو الشأن بالنسبة لبقية شعره. وطالما أن هذا الشعر لم ينشر بعد، بالرغم من أنه مجموع ومحقق[28]، فإنني أرى، مساهمة في إحياء تراثنا الدفين، أن أنشر اليوم إحدى هذه النبويات، محققة من المصادر الثلاثة التي وردت فيها، وهي ديوان محمد المرابط[29] والبدور الضاوية رقم د 261[30] والبدور الضاوية رقم ك 294[31]، مشيرا في الهامش إلى اختلافات التحقيق[32]، خاصة بين الديوان والبدور الأولى، أما البدور الثانية فهي فرع عن الأولى ومليئة بالأخطاء والتحريفات، ولذلك لم أشر إليها في هذا الهامش.

وفيما يلي نص القصيدة[33] محققة مشكولة، مذيلة ببعض الشروح اللغوية والإشارات التاريخية.

قف بـالطلـول وبث بعض هيـامي
وسـل المراسم عن بـدور خيـام[34]

وإذا الربـوع بـدت فعرج بـالحمى
وأذع بـلابـل لـوعتي وغرامي[35]

---

26) البدور الضاوية، النسخة المذكورة ص 333.
27) البدور الضاوية، النسخة المذكورة ص 436.
28) انظر مقالا بعنوان أبو عبد الله المرابط الدلائي : دعوة الحق، العدد 254، (يناير فبراير 1985).
29) رقم د 3644، بالخزانة العامة بالرباط، وقد قدم لها ناسخ الديوان بقوله : «وله رضي الله عنه»، وتقع القصيدة بين ص 8 وص10، وقد رمزت لهذا المصدر بـ : د.
30) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، وقد قدم لها الحوات بقوله : «وله رضي الله عنه وأرضاه»، وتقع بين ص 319 ـ 320، وقد رمزت لهذا المصدر بـ : بض.
31) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، وهو نسخة ثانية لكتاب البدور، وقد وردت القصيدة فيه بنفس التقديم السابق بين ص 312 ـ 314.
32) المغلظ يشير إلى الكلمة التي هي محط الخلاف في التحقيق أو محط الإشكال في العروض.
33) وهي من البحر الكامل، مع عروضة صحيحة وضرب مقطوع، والقافية مطلقة مردوفة.
34) الطلول : جمع طلل وهو الموضع المرتفع الشاخص من الآثار، المراسم : جمع مرسم، ويقصد بها الديار.
35) الربوع : جمع ربع وهو الدار، أذع : انشر وأظهر، بلابل : جمع بلبال وهو شدة الهم.

وقـل : المعـذب بـالصـدود وبـالجفـا

مــــا زال حلف أسى وحلف كــــلام[36]

اللـــه في دم عـــاشـق قــد هــالــه

بين دهى **فسطـــا** بنثر نظـــــام[37]

مــا رام كتمـــان الصبـــابـة والهـوى

إلا ومقلتــــــه تشي بسجـــــــام[38]

ألف السهـــــاد فمــــــا يقر قراره

فجفـونـــــه لم تكتحــل بمنـــــام[39]

واحيرتي بــان الأحبـــة فــاغتـدى

قلبي يكــــابــــد زفرتي وضرامي[40]

والهف **نفسي على الألى** ظعنـوا وقــد

**ضنـــوا بتــوديعي** ورد ســـلامي[41]

مــــاذا عليهم لــــو رثــــوا لقتيلهم

**بعجيب** وصلهم ورعي ذمــــــامي[42]

أقسمت بــــالقلب المبرح لــوعـــــة

لا زلت أهــواهم ليــوم حمـــــامي[43]

☆ ☆ ☆

يــا سـائـق الأظعـان هـل من **سـاعـة**

أحظى **بتــوديــع** فـــــذاك مرامي[44]

وأعفر الـــوجنـــــــات في ترب الحمى

فعسى بتعفيري يــــــــــزول أوامي[45]

لا بــل فــؤادي قـــد جعلت ثراهم

فخطى المطي تخطـــــه بــــدوام[46]

زمــوا الركـــــائب للسرى وتيممـــوا

شمس النبـوءة بــدر كــل ظـــلام[47]

طـــــه البشير أجــل مبعــوث ومن

يهمي بـــه لــلأرض صـوب غمـــام[48]

قمر بطيبـــــة قـــد تـــألـق نــوره

فبـــــدت لرأي العين أرض شــــــآم[49]

يــــا سين قـــد أومت لـسؤدده ومن

طـه الطهـــارة مـــا اختفت بلثـــام[50]

هـو صفـوة اللـــه الأمين لـوحيـــه

ولـــه لــدى الرحمـان **خير** مقـــام[51]

هـــو أحمـــد ومحمـــد والمصطفى

والمجتبى المختـــار **خير الأنـــام**[52]

36) الكلام : جمع الكلم وهو الجرح.

37) البين : البعد، فسطا : في بض : وسطا، نثر النظام : يقصد به ما أصاب حياته من اضطراب وانزعاج بسبب ابتعاد الحبيب عنه، وهو هنا رمز للديار المقدسة.

38) رام : حاول، وفي بض : زال، الصبابة : الشوق، تشي : تخبر وتفضح، السجام : سيلان الدمع.

39) السهاد : الأرق.

40) بان : بعد، ضرامي : اضطرامي واتقادي.

41) (نف) ــ (ي) على الألى : متفاعلن، والياء مد زائد كسر الوزن، ظعنوا : رحلوا، ضنوا : بخلوا، وفي بض : ظنوا، بتوديعي : في بض : بتوداعي.

42) القتيل : يقصد نفسه، بعجيب : في بض : ببديع، الرعي : الحفظ، الذمام : الحق والحرمة.

43) القلب المبرح لوعة : القلب الذي أتعبته اللوعة وآذته، الحمام : الموت.

44) الأظعان : جمع الجمع، والمفرد ظعينة، وهي الهودج أو المرأة ما دامت في الهودج، أو المرأة الراحلة عموما، وهنا يقصد بالأظعان الذين رحلوا لزيارة قبر الرسول ﷺ والديار المقدسة، ساعة : في بض : وقفة، أحظى : أنال حظي، أظفر، بتوديع : يقصد بتوديع هؤلاء الراحلين، وفي بض : بتوديعي، مرامي : بغيتي وهدفي.

45) أعفر الوجنات : أمرغها في التراب، الأوام : داء في الرأس.

46) المطي : جمع مطية وهي الدابة التي تركب، تخطه : تترك عليه علامتها.

47) زموا : ربطوا وشدوا، الركائب : جمع ركاب وهي الإبل، السرى : السير ليلا، تيمموا : توخوا وقصدوا، شمس النبوءة : يقصد محمدا عليه الصلاة والسلام.

48) يهمي : يسيل، به : يقصد بسببه وبفضله، صوب الغمام : عطاؤه وهو المطر.

49) طيبة : المدينة المنورة.

50) ياسين : السورة السادسة والثلاثون من القرآن الكريم، وهي مكية، أومت : لعلها تخفيف أومأت بمعنى أشارت، ولعله يشير إلى قوله تعالى في هذه السورة : «إنك لمن الرسلين على صراط مستقيم» (الآيتان 2 و3)، طه : السورة العشرون من القرآن الكريم، وهي مكية كذلك، ولعله يشير إلى قوله تعالى في هذه السورة : «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى» (الآية 13).

51) صفوة الله : المخلص له، خير : في بض : أي.

52) الأنام : البشر، وتقرأ : خير لنام نظرا لاستقامة الوزن.

وهو المشفع في العباد ومن به
يوم المعاد يلوذ كل همام[53]

كم آية قبل الولاد وبعده
بانت **لخير** الرسل بدر تمام[54]

ما احتازها من قبله أحد ولم
تظهر لغير نبينا من إمام[55]

**كالشمس** إذ ردت بعيد **غروبها**
حتى حباه الله كل مرام[56]

والبدر بعد كماله قد شق إذ
رام الفرى والعجز كل لئام[57]

من كفه نبع **الزلال** وفيه لل
حصباء تسبيح **بخير** كلام[58]

يا من له دنت الكواكب فاغتدت
تثني عليه من ورا وأمام[59]

وتود أن الأرض مثواها لما
في البعد **عنه** من ضنى وأوام[60]

لك حن جذع النخل إذ فارقته
وكذا الغزالة أفصحت بسلام[61]

في الغار قد نسج العناكب سرعة
وكذا الحمام حماك أي حمام ![62]

لك أخمدت نيران فارس رهبة
وتضعضع الإيوان بعد قوام[63]

كم آية لك في الحروب قد أعلنت
بعلاء مجدك في الورى بتسام[64]

---

53) يوم المعاد : يوم القيامة، يلوذ : يحتمي.
54) الولاد : أحد مصادر فعل ولد، قبل الولاد وبعده : يعني قبل مولد الرسول ﷺ وبعده، بانت : ظهرت واتضحت، لخير : في بض : بخير.
55) احتازها : حصل عليها.
56) كالشمس : في بض : فالشمس، غروبها : في بض : غؤوبها، حباه : أعطاه، وفي البيت إشارة إلى معجزة نبوية هي أن المشركين راموا تعجيزه ﷺ فطلبوا منه أن يرد لهم الشمس بعد غروبها ليثبت لهم صدق رسالته، فأسعفه الله تعالى بذلك (انظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد).
57) الفرى : جمع فرية وهي الكذب واختلاقه، وفي البيت إشارة إلى معجزة نبوية أخرى هي أن أهل مكة قد سألوا النبي ﷺ آية ليصدقوه فانشق القمر حتى رأوا جبل حراء بين طرفيه (انظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد، ص 25).
58) الزلال : الماء العذب، وفي بض : الفرات، الحصباء : الحصى، ومفردها حصبة، بخير : في بض : بأي، وفي البيت إشارة إلى معجزتين اثنتين، أولاهما نبع الماء من بين أنامله ﷺ، وقد وقع هذا مرارا كثيرة منها انفجار الماء من بين أصابعه ﷺ في غزوة تبوك حتى شرب القوم وتوضأوا، وهم ألف وأربعمائة، وفي رواية ألف وخمسمائة (انظر كتاب الشفا للقاضي عياض، مكتبة الفارابي دمشق).
وثانيتهما تسبيح الحصى براحتيه ﷺ، وقد وقع ذلك عندما أتى مكرز العامري رسول الله ﷺ فقال : هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله ؟ فدعا بسبع حصيات فسبحن في يده، فسمع نغماتها من جوفها (انظر سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد ص 33).
59) اغتدت : بكرت، وهنا يقصد صارت وتحولت.
60) عنه : في د وبض : منه، ولعل عنه أنسب، الضنى : المرض، الأوام : الداء.
61) حن : اشتاق، وفي البيت إشارة إلى معجزتين نبويتين، أولاهما حنين الجذع إليه ﷺ، فقد كان الرسول ﷺ يخطب إلى جذع كان يستند إليه، فلما اتخذ منبرا تحول عن الجذع إليه، فحن إليه الجذع، حتى ضمه، إليه فسكن.
وثانيتهما نطق الغزالة بين يديه ﷺ.
62) العناكب : جمع عنكبوت أو عنكب وهو دويبة صغيرة تنسج من لعابها خيوطا وتصيد بذلك النسيج طعامها، وفي البيت إشارة إلى معجزة نبوية أخرى هي حماية الحمام والعنكبوت له ﷺ، فقد نسج العنكبوت وباضت حمامتان على باب الغار الذي احتمى الرسول ﷺ داخله رفقة أبي بكر الصديق ليلة هجرته من مكة إلى المدينة.
63) الإيوان : يقصد إيوان كسرى ملك الروم، القوام : الاعتدال، وفي البيت إشارة إلى معجزتين أخريين هما خمود نار فارس وتصدع إيوان كسرى.
64) التسامي : العلو والرفعة.

جـــدلت أبطـــال العـــــدى وأذقتهم
بقــواطـــع القسي سم حمـــــام[65]

جـــاهـــدتهم في اللـــه حق جهـــاده
فجـزاك عنـــد اللـــــه يــــا ابن كرام

☆ ☆ ☆

يـــا من بـــه سمت السمـــاوات العلى
وبـــه البسيطـــة شرفت بـــدوام[66]

إني امتـدحتـك والـذنوب قـد أوهنت
ظهري فخـذ بيـدي يـوم زحـام[67]

مـــاذا أقـــول ومـــا عسى وإلهنـــا
بكـــلامـــــه أثنى وأي كـــلام[68]

وعليـــــك والآل الكرام تحيـــــة
تـزهـو بريـــاهـــا وعطر ختـــام[69]

---

65) جدلت : رميت، القسي : السيوف، بقواطع القسي سم حمام : في بض : بقواضب بترمام.

66) به سمت : في د : له سمت، العلى : جمع العليا وهي عكس السفلى، البسيطة : الأرض.

67) امتدحتك : في بض : مدحتك، أوهنت ظهري : أثقلت كاهلي، يوم زحام : يقصد يوم القيامة.

68) إلهنا بكلامه أثنى : يشير إلى ما في القرآن الكريم من آيات متعددة تثني على الرسول ﷺ كقوله تعالى من سورة القلم : وإنك لعلى خلق عظيم (الآية 4).

69) الريا : الرائحة، عطر ختام : في بض : حسن ختام.

# أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الفاسي وفهرسته

للأستاذ عبد الله المرابط الترغي

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن عثمان الرعيني الفاسي[1]، ولادة ووفاة، عرف بالسراج. يرجع أصله إلى الأندلس. ولد بفاس سنة 685 هـ وامتدت حياته بها إلى حين وفاته سنة 779 هـ.

وعرف بفاس بين علمائها وفقهائها بنشاطه العلمي والأدبي. وبرز بشكل واضح في مجال الرواية الحديثية، فدرّس ودوّن وقيد.

ويذكر الذين عرّفوا به أن له نشاطا واسعا في الأخذ عن الشيوخ في المغرب، ورحلة إلى المشرق لقي فيها من رجاله الجم الغفير. وقد بلغ عدد شيوخه نحو ستين شيخا[2]، ضمن «برنامجه» التعريف بهم وما أخذه عنهم.

من أشهرهم في المغرب :

- أبو الحسن الصغير وقد تفقه عليه.
- وأبو زيد الجزولي.
- وأبو الحسن ابن سليمان القرطبي نزيل فاس، وقد استكثر من الأخذ عليه، وأجازه فهرسته.
- وأبو عبد الله محمد بن أيوب الصنهاجي المفسر، أخذ عنه الحديث، وأنشده كثيرا من شعره.
- وأبو العباس ابن البناء المراكشي، قرأ عليه كثيرا من كتبه.
- وأبو الحسن علي بن موسى بن إسماعيل المطماطي لقيه بسلا سنة 723 هـ وأخذ عنه وأجازه.
- وأبو القاسم التجيبي السبتي، كاتبه من سبتة بالإجازة غير مرة، ثم لقيه بفاس في بعض قدماته إليها، فأخذ عنه كثيرا من كتب الحديث بين قراءة وإجازة.

---

1) تنظر ترجمته في : فهرسة السراج : 28 أ. فهرسة المنتوري 135، 247 وفي غير موضع . توشيح الديباج : 206 . نيل الابتهاج : 271 . جذوة الاقتباس 235/1 . درة الحجال 270/2 . وفيات الونشريشي 128 . وفيات ابن القاضي 217 . فهرس الفهارس 326/1 . شجرة النور 236 . أبو الوليد ابن الأحمر للأستاذ زمامة 113 . فهارس علماء المغرب 691.

2) نيل الابتهاج 272 . والجذوة 235/1.

• وأبو عبد الله محمد ابن رشيد الفهري السبتي، لازمه وأخذ عنه الحديث.

• وأبو القاسم القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد بن داود الصديني المكناسي[3]، أخذ عنه الشيء الكثير من كتب الحديث وأجازه.

ويمثل هؤلاء الثلاثة (التجيبي، وابن رشيد، والصديني) قمة الرواية الحديثية في المغرب على عصرهم، وكان لهم سابق الرحلة إلى المشرق ولقاء شيوخه، وهم جميعا دوّنوا شيوخهم في برامجهم ورحلاتهم.

وهؤلاء الثلاثة هم عمدته في الرواية الحديثية. وأكثر ما يعرف من رواياته يسندها إلى هؤلاء. وقد اتسعت مشيخته المغربية فأخذ عن غير هؤلاء، وهم كثير.

ثم أعمل الرحلة إلى المشرق، تحدوه الرغبة في الاستزادة من الرواية وتكثير الشيوخ. فنجده سنة 725 بتونس[4] يأخذ عن شيوخها مثل ابن عبد الرفيع، وابن قداح، بعد أن جلس في بجاية إلى حلقة أبي علي منصور المشدالي فأخذ عنه.

ويلازم في مصر أثير الدين أبي حيان الغرناطي، فيسمع منه كثيرا من الكتب وكثيرا من الشعر. وفي مصر أيضا يلتقي بأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري فينشده كثيرا من أنظامه في مدح الرسول ﷺ. ولعل الرعيني قد أثبت نصوصها في برنامجه.

وكما اتسعت مشيخته المغربية كثر أيضا شيوخه المشارقة. وقد أصبح بعد عودته إلى المغرب أحد المشيخة المعتمد عليها في رواية الحديث وإسناد مؤلفاته. وقد توزع نشاطه العلمي في جوانب متعددة :

1) فقد جلس للتدريس بفاس ولزمه الآخذون عنه والراغبون في روايته، وقد جمع بين الفضل والعلم وطول العمر، فتكاثر تلامذته واهتبلوا بروايته واتساع مشيخته وعلوّ أسانيده.

في مقدمة تلامذته أبو الوليد ابن الأحمر وقد عرف به في فهرسته[5] وذكر أنه أجازه عامة[6]. وقد حلاّه في مقدمة كتابه **نثير الجمان** بـ «شيخنا الفقيه المحدث الراوية المسند الحاج الرحال الصالح المعمر»[7].

ومن أشهر تلامذته أيضا أبو زكرياء السراج النفزى، يقول عنه :

«لازمته كثيرا، وقرأت عليه وسمعت، وسلسلت عليه جملة أحاديث بشرطها، وأنشدني من شعره وشعر غيره، وأجاز لي غير مرة إجازة عامة، في جميع رواياته وتصانيفه، وما له من نظم ونثر»[8].

وقد عقد له في فهرسته ترجمة حافلة ملأها بالإسنادات الحديثية والأدبية والإخبارية، فكانت أطول ترجمة في فهرسة السراج[9]. كما نقل عنه بعض النوادر كقوله :

«قال شيخنا أبو عبد الله الرعيني : كان شيخنا أبو عبد الله محمد ابن رشيد رحمه الله يقول : ما رأيت عالما بالمغرب إلا ابن البنا بمراكش، وابن الشاط بسبتة»[10].

2) ومع اشتغاله بالتدريس انكب على التأليف، فكان كما يقول تلميذه السراج : «مولعا بالتقييد والتصنيف، قل ما تراه إلا ناظرا في كتاب، أو مقيدا لفائدة»[11].

وقد تنوعت أعماله التأليفية لتشمل الجوانب العلمية والأدبية وكتابة الترجمة.

ويورد ابن القاضي في الجذوة لائحة تصانيفه وهي :

«تحفة الناظر ونزهة الخاطر في غريب الحديث، والجامع المفيد في سفرين، والرحلة، والمغرب في جملة من صلحاء المشرق والمغرب، والقواعد الخمس، والمقامات

3) سيكون أبو القاسم بن داود الصديني حلقة خاصة ضمن سلسلة «رجال وكتب».

4) توشيح الديباج : 80.

5) نيل الابتهاج 272.

6) الجذوة 236/1.

7) نثير الجمان : 23.

8) فهرسة السراج 30 أ.

9) تشغل هذه الترجمة في مخطوط باريس من 28 أ إلى 46 أ. وفي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط : ك 1242 من صفحة 61 إلى صفحة 100.

10) فهرسة السراج 29 ب.

11) فهرسة السراج 28 ب.

وشرحها، والوعظ والشعر، والمهاد والاعتماد في الجهاد، وتنبيه الغافل وتعليم الجاهل، واختصار المقدمات لابن رشد، والأسئلة والأجوبة، واختصار الحدود للشيرازي، ونظم مراحل الحجاز، والروضة البهية في البسملة والتصلية، وأرجوزة أخرى»[12].

ويبدو من خلال هذه اللائحة أن اهتمام الرعيني بالحديث وأصول الدين والفقه لم يحل دون اهتمامه بالأدب شعرا ونثرا. من هذه المؤلفات التي يبدو وضعها الأدبي واضحا : الوعظ والشعر، والمقامات وشرحها. ولعلها مقامات أدبية من إنتاجه.

ويؤكد هذا الجانب الأدبي عند الرعيني ما أورده السراج في فهرسته من إشارات متفرقة إلى مشاركة الرجل في الإنتاج الأدبي، فقد أنشده الرعيني من شعره وشعر غيره، وأجاز له ما أنتجه من منظوم ومنثور. كما أثار اهتمام الرعيني عند لقائه الشيوخ بما يأخذه عنهم من المادة الشعرية، فقد لقي أبا الفتح ابن سيد الناس اليعمرى بالقاهرة «وسمع من لفظه قصيدة ميمية، وهي التي ضمنها ستين اسما من أسماء النبي ﷺ، ووضع الأسماء فيها بالحمرة، وسمع عليه من نظمه أيضا قصيدة في مدح المصطفى ﷺ بائية، وعددها أحد وستون بيتا»[13].

وقد بدا واضحا في الترجمة الطويلة التي كتبها الرعيني لشيخه أثير الدين أبي حيان الغرناطي في برنامجه، والتي احتفظ بها المقري في النفح، اهتماماته الأدبية إذ أورد مجموعة من شعر أبي حيان، وبعض إنشادات شيوخه[14].

3) ومع التدريس والتأليف اتجه إلى النسخ والوراقة، (ونسخ بخطه كتبا تزيد على المئة وخمسين دون تآليفه)[15]. وما تزال مكتبة الاوسكوريال تحتفظ بأحد منتسخاته، وهو كتاب «التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن» لعبد الواحد الساكي[16].

### فهرسة الرعيني الفاسي أو برنامجه[17]

معظم الذين عرَّفوا بالرعيني الفاسي ذكروا أن له فهرسة. فالكتاني يروي[18] هذه الفهرسة بواسطة ابن الأحمر، والمنتورى، والسراج. وصاحب شجرة النور يختم ترجمته قائلا بأن له[19] فهرسة. ويحيل عليها صاحب نيل الابتهاج في ترجمة أبي القاسم التجيبي[20].

غير أنها لم ترد تسميتها صراحة ضمن لائحة المؤلفات التي ذكرها له ابن القاضي في الجذوة، وأحمد بابا في النيل[21]. ولعلهما يعنيان بالرحلة المذكورة ضمن مؤلفاته، هذه الفهرسة، إذ جرت العادة في عرف هذا العصر أن تحمل الرحلة على الفهرسة وتحسب من جهتها[22]، ولا سيما إذا كانت تراجم الشيوخ فيها مرتبة حسب المناطق التي زارها الشيخ في رحلته، كما هو الشأن في رحلة ابن رشيد (ملء العيبة) ورحلة القلصادى، وغيرهما.

ويظهر أن فهرسة الرعيني لم تكن بسيطة أو عادية، فقد كان حجمها يقع في مجلدين. ولأهميتها تم تداولها في الأوساط الثقافية في المغرب والمشرق، ورجع إليها غير واحد من مؤلفي الطبقات ليستقي منها مادة تراجم رجاله.

وإذا كان طبيعيا أن يتيسر نصها بين يدي السراج النفزى[23] ـ وهو تلميذ الرعيني الملازم له ـ ليلخص منها ما عرضه من أسماء شيوخ الرعيني وما أخذه عنهم وأين لقيهم فإن النقول التي تمت منها في مؤلفات القرن العاشر

12) الجذوة 235/1.
13) فهرسة السراج 29 ب.
14) نفح الطيب 560/2 وما بعدها.
15) الجذوة 235/1، ومثل ذلك في نيل الابتهاج : 272.
16) راجع مجلة البحث العلمي، عدد : 16، ص : 56. مقالة الأستاذ محمد المنوني : الوراقة المغربية.
17) بين مصطلحي الفهرسة والبرنامج، تراجع رسالتنا : فهارس علماء المغرب : 22 وما بعدها.

18) فهرس الفهارس 327/1.
19) شجرة النور 236.
20) نيل الابتهاج 222.
21) راجع الجذوة 235/1، والنيل 272. وقد أوردنا من قبل هذه اللائحة كما هي في الجذوة.
22) راجع عن ذلك : رسالتنا فهارس علماء المغرب : 90، 131.
23) راجع فهرسة السراج 28 أ. وقد لخص منها مشيخة شيخه المترجم.

والحادي عشر تفيد تداولها بشكل واسع، وتؤكد تعدد نسخها في المشرق والمغرب. فقد ورد النقل منها في :

أ) **الجذوة عند ابن القاضي**، في ترجمة أبي اسحاق اليزناسني، قال الرعيني في برنامجه :

«كان رجلا فاضلا متناصفا حافظا مفتيا قاضيا الحوائج للمسلمين ماضيا في مصالحهم»[24].

ب) **توشيح الديباج عند البدر القرافي**، في موضعين :

**الأول** عند ترجمة ابن عبد الرفيع التونسي قال :

««والذي رأيته في برنامج أبي عبد الله محمد الرعيني... فإنه قال في مشيخته : ومنهم القاضي أبو إسحاق خطيب جامع تونس الأعظم، دخلت عليه سقيفة داره بعد السلام والاستئذان، فرأيت شخصا مهيبا منقبضا، فدعا لي، وقال : انصرف في حمى الله. وزعم أنه لم يحضره ما يُسمعني، فقلت : ما يمكن من مصنفاتكم. فقال : وأي مصنفات لي غير أربعين مخرجة عن أربعين، وأربعين أخرى قريبة الإسناد من النبي ﷺ وقد بلغتكم ـ، وكتاب في الفقه نقلته من كتب الناس ـ لم يسمّه ـ ثم قال : وأي فائدة لك في سماعها الآن، حتى تعود من المشرق، إن شاء الله تعالى، وتكتبها وتحملها. فقلت في نفسي :

سهم أصاب وراميه بذي سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرماك

فتعجبت من كلامه إذ لم يخطر بباله موته أو موتي، أو رجوعي من طريق أخرى كما اتفق. فناولته الاستدعاء، فكتب في طرة الورقة الأولى من الاستدعاء تحت خط أبي علي[25]، ونص ما كتب : أجزت المذكورين في الصفح المثبت هذا بمنة منه، وكتب ابراهيم بن حسين بن عبد الرفيع في أخريات جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة»[26].

**الثاني** في ترجمة أبي اسحاق اليزناسني ونصه : «قال تلميذه الرعيني في **برنامجه** : كان رجلا[27]... في مصالحهم. قال يوما : الماء الذي تخالطه النجاسة يتنجس حقيقة. قلت : إنما منع استعماله لعدم الامتياز لأنك تسلم أن الماء والنجاسة جسمان، والتطهير والتنجيس معنيان، والأجسام لا تتداخل، والمعاني لا تنتقل. فقال رحمه الله : ننظر إن كان هذا مقولا. انتهى»[28].

ج) **عند المقري في نفح الطيب**، وبالأخص في ترجمة أثير الدين أبي حيان الغرناطي. وقد صدر هذا النقل بقوله : «وقال الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي في **برنامجه** عند ذكر شيخه أبي حيان... ما ملخصه»[29].

ورغم أنه لم يذكر الترجمة كما هي في برنامج الرعيني، بل انتقى منها ما ذكره، ولخص منها القدر الذي عرضه ـ فإن هذا الملخص قد استغرق ما يناهز الخمس صفحات. وقد استعرض فيه أحوال أبي حيان، وشيوخه، وكثيرا من أشعاره وإنشاداته، ويختم المقري هذا النقل بقوله :

«قال الرعيني : وهو شيخ فاضل ما رأيت مثله، كثير الضحك والانبساط، بعيد عن الانقباض، جيد الكلام، حسن اللقاء، جميل المؤانسة، فصيح الكلام، طلق اللسان، ذو لمة وافرة، وهمة فاخرة. له وجه مستدير، وقامته معتدلة

---

24) الجذوة 86/1.

25) المقصود به أبو علي منصور المشدالي، وكان قد لقيه ببجاية.

26) توشيح الديباج : 79. وقد وهم الوزير السراج في نسبة هذه الترجمة إلى مشيخة ابن مرزوق الخطيب. وقد نقلها كما هي أعلاه بنصها في كتابه الحلل السندسية في الأخبار التونسية، دون إحالة إلى المصدر الذي نقل منه، وهو توشيح الديباج. ولم يتنبه إلى ما ختم به القرافي هذه الترجمة بقوله : انتهى من تاريخ الرعيني. وقد نقل ذلك أيضا في كتابه الحلل. راجع الحلل السندسية للوزير السراج : الجزء الأول، القسم الثالث، ص : 625. وقد توفي ابن عبد الرفيع سنة 733.

27) هي نفس الفقرة التي نقلها ابن القاضي في ترجمة المذكور، وقد أوردنا نصها آنفا.

28) توشيح الديباج : 80.

29) نفح الطيب 560/2.

التقدير، ليس بالطويل ولا بالقصير. انتهى ما لخصته من كلام الرعيني»[30].

هذه هي النقول التي تحصلت بين يدي من برنامج الرعيني، وهي وإن كانت قليلة بالنسبة لحجم هذا البرنامج ومادته الواسعة، فإنه ليس أمامنا من خيار ـ ما دام البرنامج في حكم المفقود ـ إلا أن نعتمد عليها في تكوين صورة تقريبية للبرنامج المذكور واستخراج بعض مميزات الترجمة وطبيعة بنائها عند الرعيني.

ونقف عند النص الطويل الذي أورده المقري في النفح نقلا عن **برنامج الرعيني**، والذي خص به ترجمة أبي حيان الغرناطي، لنتخذ منه النموذج لتجميع الأدلة. وهو نص ـ رغم ما فيه من تلخيص ـ يكشف لنا عن مغالق هذا البرنامج، ويحدد لنا العديد من مميزاته.

فأول ما نعرفه عن هذا البرنامج أنه يقوم على التعريف بالشيوخ، يترجم لهم ويذكر أحوالهم ويعرض ما استفاده المؤلف منهم. فهو برنامج أشياخ وليس برنامج مرويات[31].

وما دام البرنامج قد ضم شيوخ المغرب وشيوخ الوجهة، فإننا نرجح أن يكون الرعيني قد بنى ترتيب التراجم فيه على حسب الجهات. فابتدأ بشيوخ المغرب، ثم شيوخ الوجهة حسب ترتيب مراحل الطريق التي سلكها. يؤكد هذا أن عرض مشيخة الرعيني في فهرسة السراج قد جاء على هذا الترتيب. وقد استخلص السراج هذه المشيخة من برنامج شيخه المذكور[32].

وتستوقفنا الكيفية التي يتناول بها الرعيني الحديث عن شيوخه ونوعية المادة التي يقتنيها في تراجم البرنامج. فمن خلال ترجمة أثير الدين أبي حيان نلاحظ ما يلي :

1) أنه يبدأ بعرض مشيخة المترجم به وعرض مروياته عنه، ثم يسند إليه بعض الإسنادات الحديثية والأدبية. ونكاد نتبين ما أسقطه المقري في اختصاره لترجمة أبي حيان، وهو ما يتعلق بمجموع المرويات التي أخذها الرعيني عن شيخه[33] وما أسنده إليه من حديث وأخبار، لأن طبيعة الترجمة عند محدث كالرعيني تستلزم منه أن يخصص قسطا من الترجمة لعرض مروياته عن شيخه، خصوصا وأنه أطنب في الحديث عن شيوخ أبي حيان، وما أخذه ـ أبو حيان ـ عن هؤلاء الشيوخ والكيفية التي أخذ بها. ولم يكن المقّري بحاجة إلى عرض مرويات الرعيني عن شيخه، لأنه اعتمد البرنامج لينقل منه ما يتعلق بأحوال الرجل وليكشف به عن جانب من جوانب شخصيته.

2) أنه يعْرِض تصانيف المترجم، وبعض أحواله وأخباره، كما فعل مع شيخه أثير الدين. فقد ذكر أن مصنفاته تزيد على الخمسين، ما بين طَويل وقصير، وأن خروجه من الأندلس تم في مفتتح سنة 679 هـ، ثم حج واستوطن القاهرة[34].

3) عرض نماذج أدبية من إنتاج شيخه أو إنشاداته لغيره. وقد عرض لشيخه أثير الدين مجموعة من الإنشادات الشعرية مما رواه أبو حيان وسمعه عن شيوخه. وهي في معظمها ذات طابع زهدي تعرض بالدنيا وفعل الزمان، وتدعو إلى القناعة، فأنشد «لشيخه أبي الحسن الدباج :[35]

رضيت كفافي رتبة ومعيشة
فلست أسامي موسرا ووجيها

ومن جر أثواب الزمان طويلة
فلابد يوما أن سيعثر فيها

30) نفس المرجع 565/2.
31) حول برنامج الشيوخ أو المرويات، راجع رسالتنا فهارس علماء المغرب : 36.
32) راجع فهرسة السراج 28 ب وما بعدها.
33) لم يرد في النفح 560/2 وما بعدها، ما حمله الرعيني عن شيخه من مرويات.
34) راجع النفح 563/2.
35) تنظر ترجمة الدباج في : برنامج الرعيني 88 ـ برنامج ابن أبي الربيع : 38 ـ الذيل والتكملة 198/5 والمراجع المذكورة بالهامش.

وأنشد بإسناده لموسى بن أبي تليد :

حـــالي مـع الـــدهر في تقلبـــه
كطــــــائر ضم رجلـــــــه شرك
فهمـــــه في خـــلاص مهجتـــــه
يروم تخليصهـــــا فتشتبـــــك[36]

كما ذكر مجموعة من شعر شيخه أثير الدين، وهي أيضا تحوم حول المغزى السابق كقوله :

وزهـــــدني في جمعي المــــال أنـــه
إذا مــا انتهى عنـــد الفتى فــارق العمرا
فـلا روحــه يـومــا أراح من العنـــا
ولم يكتسب حمـــدا ولم يـــدخر أجرا[37]

إن في ذكر هذه النصوص الشعرية لدليلا على طبيعة الرعيني الأدبية وميله إلى الشعر وإنشاده. وهي طبيعة تجاهلتها المصنفات التي عرفت بالرعيني فلم تشر إلى مشاركته الأدبية، بينما كان للرجل حظ وافر، تفصح عنه أسماء بعض مؤلفاته مثل : الوعظ والشعر، والرحلة والمقامات وشرحها.

ورغم أن هـذه النصوص الشعرية التي ذكرها في ترجمة شيخه لا تخرج على ذلك الخط الأدبي الزهدي الذي تعودناه في مختلف الفهارس المغربية[38]، فإن الرجل باعتباره محدثا عالما يغلب على ذوقه هذا اللون الأدبي، ويجد فيه التعبير عن نفسه، لأنه مما يناسب طبيعة العالم الزاهد. وقد عهدنا الرعيني عالما فاضلا يميل إلى الصلاح والزهد في الدنيا.

ثمّ إن عرض هذه النصوص الشعرية في ترجمة شيخه هذا تأكيد لخصوبة البرنامج في المجال الأدبي، ولا شك أن حظا وافرا من النصوص الأدبية قد توزعتها باقي تراجم هذا البرنامج.

36) نفح الطيب 563/2، 564.

37) نفس المصدر 564/2.

38) عن هذا الموضوع راجع رسالتنا فهارس علماء المغرب : 649 وما بعدها.

4) تصوير عام لطبيعة الشيخ ووصف دقيق لملامحه الجسمية. وقد كانت الصورة التي رسمها لشيخه أثير الدين[39] دقيقة ومثيرة، ولم نتعودها في فهارس المتقدمين أو المتأخرين من المغاربة، إذ تعري شخصية المترجم أمام القارىء فيتعرف على طبيعتها ومزاجها وملامحها النفسية والجسمية. وهي بالتالي تؤكد لنا دقة الملاحظة عند الرعيني وكيفية اكتشافه لشخصيات شيوخه.

وليس لدينا من شك في أن الرعيني قد عمم مثل هذا الوصف في أكثر تراجم برنامجه، فاهتم بطبيعة المزاج عند شيوخه، وسجل ملاحظاته حول شخصياتهم[40].

وعلى كل، فشكل الترجمة في برنامج الرعيني ـ كما حصلناه من هذه النقول ـ يثير فينا التلهف لمعرفة هذا البرنامج أكثر والاطلاع على محتوياته، لأنه لاشك من أحسن ما كتبه المغاربة في هذا الشأن، ولأن العثور عليه سيغير الكثير من الحقائق، سواء بالنسبة لصاحبه أو بالنسبة للنشاط الثقافي في عصره.

## لائحة المصادر والمراجع


☆ أبو الوليد ابن الاحمر للأستاذ عبد القادر زمامة، الدار البيضاء 1386/1966.
☆ برنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن الرعيني الإشبيلي. تحقيق إبراهيم شبوح. دمشق 1381/1962.
☆ برنامج ابن أبي الربيع الاشبيلي، صنعة أبي القاسم ابن الشاط السبتي. تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني. مجلة معهد المخطوطات : 1955.
☆ توشيح الديباج وحلية الابتهاج لبدر الدين القرافي. تحقيق أحمد الشتيوى. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1403/1983.


39) النفح 565/2.

40) راجع ترجمة ابن عبد الرفيع التونسي في توشيح الديباج 79 نقلا عن برنامج الرعيني الفاسي. وقد أوردنا نصها سابقا.

☆ الحلل السندسية في الأخبار التونسية لمحمد الأندلسي الوزير السراج. تحقيق محمد الحبيب الهيلة. الدار التونسية للنشر، تونس 1970.
☆ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس. لأحمد ابن القاضي المكناسي. دار المنصور للطباعة. الرباط 1973.
☆ درة الحجال في أسماء الرجال لأحمد ابن القاضي المكناسي. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. نشر دار التراث، القاهرة/والمكتبة العتيقة، تونس. 1970/1390.
☆ الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي. السفر الخامس. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت.
☆ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف. ط. بيروت.
☆ فهرسة أبي زكرياء السراج النفزي، خطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 758.
☆ فهرسة أبي عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري. مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط 12867 ك.
☆ فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني. المطبعة الجديدة. فاس. 1346.
☆ فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، لعبد الله المرابط الترغي رسالة جامعية. نسخة مرقونة لم تنشر.
☆ نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن) لأبي الوليد ابن الأحمر. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة. بيروت 1976/1396.
☆ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب... لأبي العباس المقري. تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت.
☆ نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا السوداني. طبعة بيروت بهامش الديباج.
☆ وفيات الونشريشي. تحقيق الدكتور محمد حجي. الرباط 1976/1396 ضمن كتاب ألف سنة 1976 ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات.
☆ الوراقة المغربية للأستاذ محمد المنوني. مجلة البحث العلمي. عدد 16.



من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر

# عيسى بن محمّد الرّاسي البطّوئي

5

للأستاذ حسن الفكيكي

**الصلحاء من الطلبة :**

تتألف قائمة تراجم عيسى بن محمد الراسي البطوئي علاوة على ما قدمناه عن شيوخ التربية الصوفية والتعليم، من فئة ثالثة مكونة من عدد لا يستهان به من طلبة مركز تيزي عدنيت، سواء كان هؤلاء من المستقرين ببني سعيد أو من المترددين على القبيلة، خلال الفترة التي حددناها سلفا بالنصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري وهي المدة الزمنية التي نعرفها من حياة الفقيه الراسي.

لقد شكل الصلحاء من الطلبة قاعدة للأسرة الثقافية التي أثمرت بفضل تواجد شيوخ التعليم وقادة التربية الصوفية، ولم تلبث تلك القاعدة أن أصبحت هي نفسها دعامة لا غنى عنها للثقافة الدينية ببوادي بطوية.

ومرة أخرى نعيد إلى الذاكرة، أننا إذا كنا قد أبرزنا هذه القائمة الجديدة المخصصة للصلحاء من الطلبة البطوئيين، فإننا توصلنا إلى ذلك بالإمعان الدقيق في التراجم، مصدرنا الوحيد في هذا الباب، للتأكد من الأوصاف التي كان يتحلى بها أفراد هذه الطائفة، بالمقارنة مع من أدرجناه في قائمة المتصوفين والمدرسين.

فالصلحاء من الطلبة هم من المتمسكين بالعلم والحريصين على تعليم أولاد المسلمين، ومن الملازمين للمسجد والساهرين على أداء ما وجب من أمور العبادة والزهد اقتداء بشيوخهم المدرسين وبأولياء التربية الصوفية».

ويوحي إلينا التأمل في تلك الأوصاف، واستعادة ما ذكره البطوئي في الباب السادس عن الطلبة، وما وضعه من الآداب اللازمة لهم[1] وللمريدين[2]، باحتضان مسجد تيزي عدنيت لمجموعتين من الطلبة الصلحاء :

**1) طلبة العلم :**

رسمت هذه المجموعة الهدف الأساسي من مقامها بالمسجد أو من ترددها عليه وحصرته في التزود بمختلف العلوم، بعد إنهاء مرحلة تعلم الكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويدخل في برنامج هذه المرحلة الثانية أن يصرف الطلبة جل أوقاتهم في استكمال تكوينهم السابق، بالتمكن من الحفظ النهائي لكتاب الله تعالى والانكباب على تعلم القراءات وحفظ الأذكار واستيعاب جملة من الأحاديث النبوية والاطلاع على ما لابد منه من أصول الفقه والتوحيد واللغة.

1) الباب السادس من مطلب الفوز والفلاح.
2) الباب السابع من مطلب الفوز والفلاح.

هـذا هو ترتيب المـواد الـدراسيـة والمستوى التعليمي الـذي لمسنـاه من تتبع تكـوين عيسى البطـوئي في بلـدتـه على شيوخه، قبل أن يشد رحيله إلى مدينـة فـاس في أول رحلة دراسية له خارج موطنه. وهو نفـسـه الذي تبين لنـا من خلال مراحل تكوين بعض الطلبة. ولا نجد العلة لإدخـال تغيير على هـذا البرنـامج العام، مع استمرار وجـود شيخين اثنين من شيوخ البطوئي[3].

والفرق واضح بين تكوين هذه الفئة التي اكتفت بمـا حصلت عليه في بطوية من مبادئ مختلف العلوم الـدينيـة، وبين مجمـوعـة شيـوخ التعليم الـذين أضـافـوا إلى تلـك الحصيلة، ما أمكن لهم اقتباسه من علماء فاس وتلمسان.

والملاحظة كذلـك أن الفرصة كـانت مواتيـة للطلبـة الصلحاء أن يتقاسموا مع شيوخ التعليم مكـانتهم الاجتمـاعيـة انطلاقـا ممـا نـالوه من حظوظ التعليم والميـل إلى الاقتفـاء بآثـار أهل الفضل والصلاح. فهم حسب البطوئي من «أحسن الناس خلقا وخلقا وأكثرهم تواضعـا وحرصـا على اكتسـاب الخير، كرمـاء الطبـع ومن ذوي الجـانب اللين والمحبين للصالحين والراغبين في خدمتهم».

وهـؤلاء لم يقـل دورهم في إسـداء العـون لمجتمعهم القروي، والفرق التي ينتمون إليها خاصة فمنهم من كان في استطـاعتـه أن يرشـد النـاس بفصاحـة اللسـان ويـذب عن الضعفاء منهم بحمـاس كبير. ولم يتـأخر بعض الصلحـاء عن المشاركة في حركة الجهاد القلعيـة، في الظروف التي سبق الحديث عنها[4].

ومن المـؤكـد أن عـددا من هـؤلاء الطلبـة المتفوقين والمتمكنين من دروسهم أسنـدت إليهم مهمـة التـدريس ويمكن أن تقبل أنهم انتـدبوا أثنـاء تغيب شيـوخ المسجـد. ونجـد الأمثلة في فترة غيـاب البطوئي، لأننـا لا نعرف من المدرسين المـتقرين بـالمسجـد خـلال تلـك الفترة سـوى الشيخ أحمـد الراسي، بينمـا ظل الشيخ علي وارث الغـاسي يتردد على المسجد من حين لآخر. وتقدر أن البطـوئي لم يفكر بصفة أسـاسيـة، حينمـا شرع في تسجيل جملـة الآداب التي يجب على المريـد أن يتمسـك بـأهـدابهـا، في إفـادة المجموعة المعاصرة له فحسب، بل كان يرمي من وراء ذلك إلى تقديم تقاييـد يسير على نهجها الطلبـة سواء كـانوا من جيل الربع الثـاني من القرن الحـادي عشر الهجري أو الـذي سيتلوه بعد ذلك. فهذا هو ما يعبر عنه قولـه، حينمـا عكف على تقييد الضروري من الديانات والآداب، مما يحتاج إليه السـالك : «يكون تذكرة لنا ولمن احتاج إليه»[4].

فعلى هؤلاء الصـالحين وعلى الـذين سيحلون مكـانهم من أهـل الفضـل أن يـداومـوا مراعـاة آداب القراءة على شيـوخهم، من احترام المجلس العلمي وصـاحبـه وسير الدروس. ويـدخل في هذا الاعتبـار أيضـا التزام السكينـة والتظاهر بالوقار أثناء الاستماع. كما يجب من جهة أخرى عدم اعتراض إلقـاء الـدرس إلا بمنتهى مـا يليق من الأدب. ومن جملة الآداب المرعيـة ألا يضـايـق الطـالب شيخـه بـالإكثـار من الأسئلة سـواء كـان ذلـك خـارج المجلس أو داخله. ومن الأمور المحظورة على الطالب، السعي لامتلاك ما سبق أن كان في حوزة الشيخ[5].

ولمـا كـان من بين هـؤلاء الطلبـة عـدد من معلمي الصبيان بصفتهم «مشارطين» على عادة طلاب العلم بالبوادي المغربية، فـإن عيسى البطوئي تعمـد أن يلفت أنظـارهم هم بدورهم إلى جملـة من الآداب الضروريـة يتحتم على المعلم الأخذ بها أثنـاء أداء مهمته. ويتعلق أولاها بشخصه هو، فعليه أن يتخلق بأقوم الخلق الذي يجعل منه القدوة الصالحـة في أنظار تلاميذه، حسبما تأمر بها السـنة النبوية.

ويـتـوجب الالتزام بالآداب من جهة ثـانيـة أن يكون المعلم يقظا وحريصـا على تقويم سلوك الصبيـان، فينهـاهم عن الشتم والفحش في الأقوال والأفعـال وعليـه أن يـزجرهم عن الكـذب والحلف ومصـاحبـة أقران الـسـوء. وعلى المعلم

3) نعني بهمـا : علي وراث الغـاسي المتـوفـق عـام 1033 هـ وأحمـد بن إبراهيم الراسي المتوفي عام 1039 هـ.

4) مقدمة الكتاب.

5) الباب السـادس، الفصل السـادس.

أيضا أن يراقب اعتناء التلاميذ بالنظافة وملازمة المسجد. ولم يغفل البطوئي عن إرشاد المعلمين إلى الابتعاد عن استخدام الأطفال وتسخيرهم لأغراضهم الخاصة وعلى الأخص يوم الخميس الذي هو يوم العطلة الأسبوعية[6].

**2) طلبة التصوف :**

نميز من بين فئة الطلبة من كانت تستهويه ملازمة شيوخ التربية الصوفية، واتباع طريقهم في الزهد والصلاح، فهم «المجدون في طريق أولياء الله... والإخوان في الله... والمجتهدون في العبادة... والمدمنون على تلاوة كتاب الله... وهم بذلك أكثر الناس خشية ومروءة وصبرا واحتمالا وحياء وسخاء وإيثارا... ومواظبة على قيام الليل».

ولا يتأتى اكتساب هذه الخصال إلا باتباع ما يأتي :

- سلسلة الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الزاهد المريد أثناء مجالسة شيخ التربية الصوفية نجد في مقدمتها الوقار والسكينة.

- خصال يجب ألا يتخلى المريد عن التمسك بها، كالمحافظة على الصلوات الخمس والقيام بالنوافل ومداومة قراءة القرآن واقترانها بصلاة العصر والمغرب، إلى جانب الإكثار من تلاوته ليلا. ومن المستحسن أن ترافق تلاوة القرآن قراءة الأذكار.

- على المريد أن يتجنب الانصراف إلى قراءة علوم الكنوز والكيمياء والاشتغال بالعزائم فهي معدة من ضمن العلوم الغير المهمة، ولأن الاهتمام بها يبعد المشتغل بها عن روح العبادة.

وكان عدد من أمثال هؤلاء الطلبة من المقيمين بالمسجد فترات متفاوتة، ويمكن التأكد من هذا بالتعرف على أولئك الذين التحقوا بتيزي عدنيت بمناسبة نزول الشيخ أحمد الفلالي ببني سعيد منذ 996 هـ على أقل تقدير، نجد منهم واحدا من بقوية واثنين من بني توزين وآخر من قلعية علاوة على ما يفهم من تعبير البطوئي «وأخذ عنه خلق كثير»[7].

وكيفما كان الأمر فإن التصنيف الذي قدمنا به طلبة تيزي عدنيت، يهدف إلى الكشف عن نوعية اهتمامات الطلاب في منطقة نائية وسط مرتفعات الريف الشرقي، والعادة الجارية في البوادي المغربية أن الطالب يبدأ حياته الدراسية الأولى متعلما يحصر اهتمامه آنذاك في التزود بأنواع المعارف المتداولة في محيطه. وقد ينتهي به الأمر، أثناء هذه المرحلة أو بعدها للانتساب إلى طائفة الزهاد المتصوفين. فهذا هو ما حدث بالنسبة لعدد من طلبة بطوية، مما سندركه أثناء استعراض التراجم المفصلة.

يصل عدد الطلبة الوارد ذكرهم في قسم تراجم البطوئي إلى تسعة عشر صالحا لم يخرج بهم المؤلف عن النطاق الجغرافي الذي تمثله بلاد بطوية، رغم أن واحدا منهم من أصل بقيوي إلا أنه كان من أهل القبيلة المستقرين بالمكان. واخترنا لتقديم هذه التراجم الترتيب الجغرافي :[8].

**- من بني سعيد :**

من الطبيعي أن تنال قبيلة البطوئي أوفر الحظ من التراجم والبديهي أيضا أن يزيد عددها في فرقة أولاد الفقيه أكثر مما سنجده في أية فرقة أخرى منضوية داخل حدود القبيلة. وأعني بهذا اهتمام الفقيه عيسى الراسي بالراسيين. والسبب دائما هو واحد يرجع بالضرورة إلى حصر الموضوع في عدد الأشخاص الذين لقيهم وتم التعرف عليهم. ويوحي هذا العدد من جهة أخرى أن حظ الراسيين من الدراسة بتيزي عدنيت ووردان كان هاما.

**- علي بن سالم الراسي :** درس بوردان بني أوليشك على أستاذه أحمد بن عبد الله المديني شيخ المركز آنذاك قبل أن يلتحق بمركز تيزي عدنيت في أواخر القرن العاشر الهجري. جمع «علي» بين طلب العلم وملازمة أستاذه، مما انتهى به إلى الزهد. وعنه يقول البطوئي :

«المجد في طريق أولياء الله في السكون والحركة المتمسك بالعلم الآخذ في ذلك بالعزم والحزم... كان من

---

6) الباب السادس. الفصل السادس.

7) الباب التاسع. الفصل التاسع.

8) جميع التراجم أوردها البطوئي في الباب السابع، الفصل التاسع.

أهل البلايا الصابرين المحتسبين لله الراضين بما قسم الله، بلغ في عبادة الله تعالى والصبر على مشقتها مبلغا لم يصل إليها أحد من أترابه».

على الرغم من أننا نجهل التاريخ الذي انصرف فيه إلى ملازمة تيزي عدنيت، إلا أننا نعرف عنه أنه كان خطيب مسجدها إلى جانب القيام بمهمة تعليم الفتيان. كما كان مشاركا في إصلاح ذات البين بين الفرق المتنازعة من قبيلته عام 1030 هـ.

ولم يخف عنا المزيد من أحوال علي بن سالم، سوى ما اختاره البطوئي من الاختصار في سردها فلولا خوفه من الإطالة «لأتى في حقه بما يثلج الصدر». وما نعلمه منه أن علي بن سالم «بلغ في الكبر ما لم يبلغه في شبابه من العلم والبركة، ونال تقدير الناس عامتهم وخاصتهم، وبقي مهيبا بينهم إلى أن وافته المنية يوم الجمعة 21 من المحرم عام 1032 هـ».

- **أحمد بن يحيى اليحيوي الراسي :** المدعو ابن زهرة، وهو عم المؤلف ولد قبل 940 هـ، درس بوردان على أحمد المديني. ونفهم من جملة البطوئي «كانت له رغبة في العلم ونشره» أنه كان يقوم بالتدريس بالمسجد، إلى جانب أحمد الراسي، في الحالات التي أشرنا إليها سابقا.

غير أن أهمية شخصية أحمد الراسي ترتبط بغلبة الاتجاه التصوفي عليه. وتبدأ هذه المرحلة من حياته قبل مستهل القرن الحادي عشر أي أثناء تواجد الشيخ الفلالي بالمسجد، فلربما كان لذلك أثر في بداية اتجاهه. فهو قد «خرج عن الدنيا بأسرها وأقام معتكفا بالمسجد منعزلا عن أهله ملازما للذكر والتلاوة والصلاة والصوم محتفظا على الأوقات مدة تزيد على الأربعين سنة». وهذا هو الذي دعانا إلى الاعتقاد بأنه تكلف بالإشراف على المسجد بعد وفاة أخيه محمد والد عيسى البطوئي طوال هذه المدة إلى حين وفاته يوم الجمعة أواخر المحرم من عام 1040 هـ. وقد زاد عمره على المائة سنة، ودفن بجوار الشيخ أحمد بن إبراهيم الراسي.

- **أحمد بن عيسى بن الفقيه الراسي :** اكتفى عنه بقوله : «الأخ في الله المشارك، كان رضي الله عنه ممن استنار بنور الله، وظهرت عليه عناية الله، مجتهدا ملازما للخير». وندرك من هذا أن صاحب الترجمة كان من الأحياء عام 1040 هـ.

وبالرجوع إلى نسبه نجد أن جده هو الفقيه الراسي، وهذا يذكرنا بالاسم الذي تحمله فرقة البطوئي، ويحق لنا أن نتساءل ما إذا كانت هناك علاقة بين الفقيه الراسي واسم الفرقة[9].

- **محمد بن صالح البقيوي :** من الواردين على تيزي عدنيت من بقوية منذ أواخر القرن العاشر الهجري. وصفه البطوئي بكرم الطبع ولين الجانب وألحقه «بأتراب السادة السالف ذكرهم». كان قد توفي على ما يبدو زمن اشتغال البطوئي بالتأليف لكن المؤلف لم يشغل باله بالإعلان عن تاريخ وفاته.

- **من ربع تشوكت :**

يندرج هذا الربع في قبيلة بني سعيد بموقع بين أمجاو وأغبال على ساحل المتوسط. اختار منه عيسى البطوئي اثنين من مدشر أولاد حساين ومن أسرة آيت تميرت، حيث يوجد أخواله :

- **أحمد بن موسى بن يحيى التمروي البوحساني :** هو خال المؤلف. اهتم بتعليم الصبيان بمدشره، ليخفي صلاحه الذي كشفه البطوئي حينما وصفه «بالخمول بين المسلمين». كان حيا سنة 1040 هـ.

- **محمد بن أحمد التمروي البوحساني :** ذكره لخصاله الحميدة وحصوله على تقدير جميع الناس.

---

9) أول وثيقة تحمل هذا الاسم مما عثرنا عليه، وثيقة بتاريخ أواسط شعبان عام 1309 هـ.

**من ربع أمجاو :**

انتقل البطوئي لاستقصاء أسماء أهل الفضل والصلاح إلى أقصى الشمال الشرقي من قبيلة بني سعيد، ليقع اختياره على أسرة توارثت الصلاح لاشتهارها بالزهد والورع ولمشاركتها في الحركة الجهادية القلعية، سهل عليها ذلك مجاورة أمجاو لقبيلة قلعية.

والأسرة من أصل عربي، من الشجع الهلاليين، الذين بدأوا الاستقرار بربوع الريف الشرقي منذ مستهل القرن السابع الهجري مع الدخول المريني إلى المنطقة. وقد وجدنا الأسرة مستقرة بأولاد عبد الجليل «بعين كرموس».

فمن أفراد هذه الأسرة ذكر البطوئي سيدي حناش بن موسى الاشجعي وقبره اليوم معروف بأيت فاق على السفح الشرقي من الجبل المطل على واد كرط. وكانت وفاته في أوائل المحرم عام 1029 هـ.

وعرف منها أيضا العابد الناسك المجاهد الحاج الحناشي الأشجعي وابنه أبو القاسم الذي نقل عنه أنه «كان ناصرا لدين الله ذابا عن الضعفاء بلسانه وماله، قامعا للجبابرة كما كان أبوه قبله.

ومن المنتمين إليها السيد الناصر العميري الأشجعي البزناتي، المتوفي قبل 1040 هـ، ذكر عنه البطوئي : «وقد استضافنا ذات يوم مع جملة من الطلبة، ومعنا سيدي أحمد بن ونيس[10]. فلما كان الليل أخذنا في قراءة أمداح النبي ﷺ الوتريات. شرعنا في قافية الباء : صلاتك ربي والسلام على النبي... حتى فرغنا من تلك القافية».

**- من بني أوليشك :**

التفت عيسى البطوئي بعد بني سعيد إلى القبيلة الريفية المجاورة غربا، فالتقط منها بعض الأسماء المعروفة بالورع، مثل الحاج علي الوليشكي والحاج يوسف الخزروني الخلفي وأحمد بن عمر حفيد الحاج يحيى الوردني، شيخ التربية الصوفية الآنف الذكر. ومن هؤلاء ميز المدعو الشيخ عمر بن حمو والمدعو أمزيان العبد سلامي البطوئي الذي «هاجر أوطانه فارا بدينه من شر العباد فسكن بلاد القلعية مقيما بها على اتباع السنة ومحبة في الجهاد» كان على قيد الحياة سنة 1040 هـ.

**من بني توزين :**

واسترجع ذهن البطوئي بعض من تذكره من طلبة أواخر القرن العاشر الهجري ممن التحق بتيزي عدنيت من بني توزين المستقرين على جبل تاسفت عند الحد الغربي لجبال بطوية المشرف على خانق واد النكور.

ومن الطلبة التوزانيين إثنان، دفعهما إلى الالتحاق ببني سعيد ما ذاع من صيت الشيخ أحمد الفلالي. وينطبق هذا على السيد علي بن القاسم الجريري[11] وهو من آيت جرير المشرفة على حوض تفرسيت من علو جبل أزرو علي أمحلي البطوئي[12]، وعلى مثيله السيد عمر بن الغازي التوزاني.

**- من تمسمان :**

استلفت أنظار البطوئي أحد المتجولين الغرباء عن بطوية المدعو أحمد الدراوي. كان قد ورد على تيزي عدنيت في آخر القرن العاشر وأخذ التصوف على أحمد الفلالي، وانتقل بعد ذلك إلى تمسمان حيث استقر بمدشر «أروجن» إلى أن وافاه أجله بمكانه في رمضان من عام 1028 هـ.

**- من قلعية :**

علاوة على ما ذكرناه عن الشيخ علي وارث الغساسي البوغافري، نجد طالبا ينتمي إلى نفس الجماعة اسمه أحمد بن الكيحل الغساسي. وهذا يوضح ارتباط آيت وارث الغساسية ببني سعيد لكونها أقرب الأراضي القلعية إلى القبيلة المذكورة. عاش أحمد الكيحل بالمسجد مشتغلا بالآذان زمن اشتغال البطوئي بالتأليف.

☆ ☆ ☆

10) أحمد بن ونيس الأحلافي الصحراوي، أحد رفقاء البطوئي، كان قد التقى به في قرية محاجة بجبال توارة الجزائرية حوالي 1008 هـ. كان دليله في تلمسان.

11) اول جرير بيت من غمارة.

12) علي أمحلي البطوئي التوزاني، والد أم اليمن والدة يعقوب المنصور المريني، وسمي المكان بمكان سكناه هناك.

بالعودة إلى صلب الموضوع الذي تطلب منا عرضه في حلقات منفصلة نكون قد حاولنا فقط تفصيل ما تعمد عيسى البطوئي إيجازه وتوضيح قدر المستطاع ما كان غامضا من نصوص البابين السادس والسابع من «مطلب الفوز والفلاح في آداب طريق أهل الفضل والصلاح» وإعادة تركيب ما كان مشتتا من الأفكار بين صفحات البابين ليتسنى لنا استحضار صورة المشروع الذي راود ذهن عيسى البطوئي بعد رجوعه من رحلته العلمية الأخيرة من تلمسان.

غير أن الهدف المتوخى من هذا العرض، يسعى إلى المساهمة لا يجاد الروابط التاريخية لثقافة البوادي المغربية بالريف الشرقي عبر العصور، من خلال مركز تيزي عدنيت.

وقد دلتنا قراءاتنا في كتب التراجم، سواء تلك التي ألفت بمدينة فاس أو ما ظهر منها على يد عبد الحق البادسي، أن هناك مراكز ثقافية ظهرت بالتناوب في جهات من الريف الشرقي، أقدمها مما نعرف تمثل في تأسيس رابطة «تغلال» بتمسمان على يد أبي داود مزاحم البطوئي المتوفى عام 500 استمر تأثيرها على مدى قرنين ابتداء من النصف الأول من القرن السادس الهجري.

ونعلم من القراءات نفسها أن لمركز «إيرمواس» التوزيني فضلا كبيرا على إمداد مدينة فاس المرينية بعدد من الفقهاء والعلماء يعرفون في كتب التراجم بالمواسيين البطوئيين.

وإذا ربطنا هذين المركزين بما أمكن استشفافه من كتاب رجال التصوف والمقصد الشريف فإننا سنضطر إلى إضافة مركز آخر بعنزورة من قبيلة المطالسة وآخر أيضا بكزناية لنصل إلى ربط هذه المراكز التي نجهل عنها الشيء الكثير بما سبق أن أومأنا إليه من شأن مركز وردان، وما قدمناه من التفاصيل عن مركز تيزي عدنيت السعيدي.

ويبدو إذن أن هذا الموضوع الذي يتجاوز إطاره النطاق المحلي الضيق ليشمل رقعة الريف الشرقي لا يمكن أن يستكمل ميادينه وإبعاده إلا إذا ظهرت دراسات موازية في جهات أخرى من الإقليم، وأنذاك فقط يمكن التحدث عن السمات الثقافية العامة ببوادي الريف الشرقي.


مطبعة فضاله . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3




# ديوان دعوة الحق

# وفاء وولاء

باقات شعرية مهداة إلى رمز الأمة المغربية،
وباني وحدتها الترابية، سليل الدوحة النبوية الشريفة
وجوهرة عقد الدولة العلوية المجيدة صاحب الجلالة
أمير المومنين الحسن الثاني أدام الله عزه وعلاه.

1381 — 1405
1961 — 1985



